دراسات
في
علم النفس

الدكتور فيصل عباس

الاختبارات الإسقاطيّة

نظرياتها - تقنياتها - اجراءاتها



دار المنهل اللبناني

الدكتور فيصل عباس

الاختبارات الإسقاطية

نظرياتها ـ تقنياتها ـ اجراءاتها

دار المنهل اللبناني

الطبعة الأولى

٢٠٠١م - ١٤٢٢هـ

الكتاب: الإختبارات الإسقاطية.

المؤلف: الدكتور فيصل عباس.

الناشر: دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر.

التوزيع: مكتبة رأس النبع - شارع محمد الحوت.

دار المنهل اللبناني - للطباعة والنشر

تلفون: ٠١/٦٣١٦٥٤ - ٠٣/٢٢٦٣٢٥ - تلفاكس: ٠١/٦٣٣٤٣٢ (بيروت - لبنان)

مقدمة

I ـ مفهوم الشخصية:

إن مفهوم «شخصية» Personnalité هو «مفهوم» في علم النفس. انحدرت هذه الكلمة من اللاتينية Persona ومعناها قناع يستعمل على خشبة المسرح. وتستعمل عادة بعدة معانٍ: ففيها أولاً العنصر الإنساني! وتستعمل أيضاً للإشارة إلى النواة المركزية للكائن البشري. «إن الشخصية هي بنية نشيطة موحدة وكاملة تحقق وحدة نسبية وتواصلاً مع الزمن لمجموع الأجهزة التي تأخذ في الاعتبار خصوصيات كل فرد، طريقته في الشعور والتفكير والفعل ورد الفعل في المواقف المحسوسة»(١). وهناك تعريفات عديدة للشخصية منها:

«الشخصية وحدة مميزة خاصة بالفرد» ـ أو الشخصية هي «تنظيم وتكامل، فهو هدف يسعى الفرد إلى تحقيقه» ـ الشخصية لها تاريخ ماضي، وحاضر.

وعرّف ألبورت Alport الشخصية بقوله: «هي ذلك التنظيم الدينامي الذي يكمن بداخل الفرد، والذي ينظم كل الأجهزة النفسية الجسمية التي تملي على الفرد طابعه الخاص في السلوك والتفكير»(٢).

من الواضح أن هذا التعريف يدرك الطبيعة المتغيرة للشخصية، كما أنه يركز الإهتمام حول الجانب الداخلي.

---

(١) فالادون سيمون كلايبه: نظريات الشخصية، ترجمة علي المصري، المؤسسة الجامعية، بيروت ١٩٩٩.

(٢) عبد السلام عبد الغفار: الشخصية والصحة النفسية، العرفان، بيروت ١٩٦٦.

إن مفهوم الشخصية في علم النفس هو «بناء علمي أُعد خصيصاً لعرض وتوضيح الحقيقة النفسية للفرد». وهدف النظريات النفسانية هو تحليل هذا المفهوم، تحديده بتفكيك أواليته وعناصره وعبر إظهار تكونه.

II ـ أهمية القياس:

يستند التقدم العلمي إلى دخول أساليب القياس والتجريب في مجالات البحث المختلفة. فعلم الطبيعة مثلاً لم يحرز هذا التقدم الهائل إلا بعد أن أقام نظرياته على أساس من البحث والدراسة الكمية. والناظر في تاريخ تطور المنهج العلمي، يلاحظ أن النظريات التي ظلت قائمة هي تلك التي استندت إلى الملاحظة الدقيقة والتجربة والتي درست العلاقات بين الظواهر المختلفة. حقيقة كانت هناك نظريات عديدة ظهرت قبل استخدام القياس والتجريب، وهذه قد تشترك في التسمية فقط مع نظائرها التي أقيمت على أساس القياس والتجريب، ولكنها تعد مع ذلك نظريات فلسفية أكثر منها علمية. فلقد تحدث فلاسفة اليونان القدامى من أيام ديمقريطس عن الذرة، ولكن أفكارهم ظلت مجرد تأملات فلسفية فحسب، ولم تصبح جزءاً من العلم إلا في العصور الحديثة عندما أخضعها العلماء إلى أساليب البحث العلمي الدقيق.

وإذا كان القياس والتجريب قد عرف طريقه إلى العلوم الطبيعية من وقت مبكر، فإن علم النفس والعلوم الإنسانية تعتبر بوجه عام حديثة العهد بهما. ولعل مرجع ذلك هو صعوبة إخضاع الظاهرة الإنسانية للتجربة والقياس، على عكس ما هو عليه الحال بالنسبة للمادة موضع علم الطبيعة. ولقد كان علم النفس خلال الخمسين سنة الأولى من هذا القرن مزيجاً من التعاليم والأفكار الفلسفية الشائعة، وكانت نظريات التربويين والباحثين في مجالات التعلم والتحليل النفسي تفتقر إلى استخدام مثل هذه الأساليب العلمية الدقيقة. وقد بدأنا منذ عهد قريب نستجيب إلى الدعوة بضرورة إخضاع الظواهر النفسية لأساليب العلم ومعالجة نتائجها ومعالجة كميتها.

ولعل هذا الجمع بين النظرية والتجربة من الأسباب التي دفعت علم النفس

خطوات سريعة إلى الأمام. فبدلاً من الإكتفاء بالتأملات الفلسفية التي لا تستند إلى التجربة، أصبحنا اليوم نقيم دراستنا على أسس علمية تجريبية. وهذا الجمع بين النظرية والتجربة يذكرنا بالقول المشهور للفيلسوف الألماني كانط: «التجربة بدون نظرية عمياء، والنظرية بدون تجربة عرجاء».

وإذا كان هدفنا الأساسي هو دراسة الشخصية سواء بقصد البحث النظري أو بقصد التطبيق الناجح في مجالات الحياة المختلفة، فإن الأمر يتطلب منا وضع أدوات وأساليب تساعدنا على الدراسة الدقيقة والتشخيص الدقيق للشخصية. وقد بدأ علم النفس في وضع الأدوات والوسائل التي أحرز بواسطتها تقدماً سريعاً إلى الأمام. ومن الواضح أن استخدام بعض هذه الوسائل قد دفع علم النفس دفعة قوية في سبيل التقدم العلمي. وليس من شك أيضاً أن ظهور الاختبارات المختلفة والوسائل المستحدثة في دراسة الشخصية، قد أفاد كثيراً في مجالات عديدة سواء في مجالات البحث النظري البحت، أو في مجالات العمل الإكلينيكي أو غيرها من المجالات كالتوجيه المهنى والتربوي والاختبار والتي تطبق أساليب القياس النفسي على نطاق واسع.

ولقد لقيت فكرة القياس واستخدامها في مجالات علم النفس المختلفة، القبول لدى الغالبية العظمى من علماء النفس في المجالات المختلفة كالتعلم والفروق الفردية والميول والإتجاهات والقيم وغيرها. ومن هنا بدأ علماء النفس في وضع الاختبارات التي تستخدم كأدوات للقياس، والتي بواسطتها يمكن الوصول إلى نتائج تجريبية وكمية، يمكن أن تعالج معالجة رياضية وإحصائية على نحو ما حدث في فروع العلم الأخرى.

ونظرة إلى تطور حركة القياس النفسي تشير إلى أن مقاييس الشخصية ظهرت متأخرة إذا قورنت من المقاييس في المجالات الأخرى لعلم النفس. فقد بدأ القياس في مجالات الإدراك والتذكر والنسيان والتفكير وغيرها منذ أيام فنت وتتستر. وبدأت أساليب العلم الطبيعي تظهر واضحة في دراسة العلاقة بين المثيرات الطبيعية والإستجابات الحسية، وفي دراسة العتبة الفارقة على نحو ما هو معروف في هذا الفرع من العلم الذي سمي باسم «السيكوفيزيقا». ثم أخذ القياس

يشق طريقه بعد ذلك في الدراسات الخاصة بعلم النفس الفارق على نحو ما ظهر في دراسات جيمس ماكين كاتل في الفروق الفردية في زمن الرجع. ثم اتسع مجال القياس بعد ذلك في دراسة الذكاء والقدرات العقلية على نحو ما اتضح في دراسات ألفرد بينيه وترمان وسبيرمان وثورنديك وثرستون وغيرهم. وكل هذه الدراسات أثرت تأثيراً واضحاً في تطور نمو حركة القياس النفسي إلى أن وصل إلى حالته الراهنة.

وإذا كان القياس في الشخصية قد ظهر متأخراً نسبياً بالقياس إلى بقية فروع علم النفس الأخرى، فما ذلك إلا لتعقد مجال الشخصية ككل، وكثرة الأبعاد والمتغيرات التي يمكن أن تخضع للدراسة والتي يمكن في ضوئها وصف الشخصية، ثم إلى نظرة الباحثين أنفسهم إلى إمكان أو عدم إمكان إخضاع الشخصية ذاتها للقياس. ولقد خضعت الشخصية أخيراً إلى وسائل القياس المختلفة وأخذ علماء النفس يحسون بضخامة المشكلة التي تواجههم. ومن ثم أصبحوا يهتمون بضرورة تطوير أدوات القياس وإخضاعها لأساليب البحث العلمي الدقيق حتى تصبح الصورة التى نضعها عن الشخصية أقرب ما تكون إلى الحقيقة.

III ـ طرق دراسة الشخصية:

هناك تصنيفات عديدة لأدوات ووسائل قياس الشخصية، وهذه التصنيفات تقوم على أسس منطقية كثيرة منها:

١ ـ حسب النظريات التي تكمن وراء الطريقة المستخدمة في القياس (كأن تكون مستمدة من التحليل النفسي أو التحليل العاملى أو النظرية السلوكية وغيرها).

٢ ـ حسب مناطق الشخصية المراد دراستها (سمات، أفكار، قدرات، خيالات، وظائف معرفية أو حركية).

٣ ـ حسب نمط المثير الذي يعرض على المفحوص (ورقة وقلم، أجهزة، مادة متشكلة في مقابل مادة غامضة غير متشكلة).

٤ ـ حسب نمط الإستجابة المطلوبة (اختيار مقيد بين متغيرين، اختيار بين أشياء متعددة، إستجابات غير موجهة أصلاً كما هو الحال في كتابة تاريخ الحياة).

٥ ـ حسب ظروف الإجراء (في المعمل أو في الفصل أو في مواقف الحياة العادية).

٦ ـ حسب أسس التعليمات (سواء كانت الأداة مقننة أو غير مقننة. موضوعة على أساس عقلي صرف أو على أساس تجريبي).

٧ ـ حسب طريقة التفسير (مفصلة أو غير مفصلة، كمية أو وصفية محددة بسمة واحدة أو كلية).

٨ ـ حسب الأهداف التي تخدمها الاختبارات (اختيار أو إنتقاء موظفين، توجيه مهني، توجيه تربوي، أغراض إكلينيكية).

وهناك مبادىء أخرى تفيد كأساس للتصنيف. ولكن الصعوبة في مثل هذه التصنيفات أنه إذا اتخذنا أحد المبادىء السابقة كأساس للتصنيف، فإننا نغفل المبادىء الأخرى والتي لا تقل أهمية عن هذا المبدأ الذي إتخذناه أساساً للتصنيف.

ومن المرغوب فيه عادة إتخاذ صورة مبسطة قدر الإمكان للتقسيم. وقد اقترح روزنزفيغ تقسيماً يشتمل على النواحي الآتية: طرق ذاتية وطرق موضوعية وطرق إسقاطية.

١ ـ أما الطرق الذاتية فيندرج تحتها أية صورة من التقارير التي يكتبها الفرد عن نفسه سواء كانت كتابة تاريخ حياة أو تقدير الذات، أو ما يقرره عن نفسه في مقابلة أو عن طريق اختبار ورقة وقلم لدراسة الشخصية.

٢ ـ أما الطرق الموضوعية فتشتمل على المقاييس الفسيولوجية، كما تشمل السلوك على نحو ما نلاحظه في المعمل أو في مواقف الحياة اليومية والتقديرات التي نصل إليها باستخدام الإختبارات والتجارب المختلفة.

٣ ـ أما الطرق الإسقاطية فيندرج تحتها أنواع ثلاثة: حركية ـ تعبيرية

(لفتات، وكتابة)، مواد إدراكية متشكلة إلى حد ما (كاختبار روشاخ) أو دينامیات تفهمية (تفسير الصور، تداعي الكلمات).

ورغم بساطة تقسيم روزنزفيغ، فإن التصنيف المناسب لإختبارات الشخصية يكون أفضل إذا نظر إليه من حيث هو نظام ملائم ومفيد أكثر منه نظاماً منطقياً غير متداخل. ولذلك يمكن أن نتخذ التقسيم التالي كتقسيم ملائم ومفيد لدراسة جوانب الشخصية. وهذا التقسيم هو:

١ ـ اختبارات الميول والإتجاهات.

٢ ـ اختبارات الشخصية.

٣ ـ الاختبارات الإسقاطية.

٤ ـ اختبارات الأداء.

ويمكن أن يندرج تحتها أيضاً أقسام أخرى كالطرق التعبيرية والإكلينيكية وغيرها.

هذا الكتاب يتضمن قسمين:

الأول يتضمن نظريات الشخصية، وقد اخترنا وجهة نظر التحليل النفسي لما تقدمه لنا من عناصر غنى ومفاهيم نفسانية متنوعة تفيد فهمنا للشخصية الإنسانية.

أما القسم الثاني فيحتوي على الأساليب الإسقاطية وطرق كشفها للشخصية.

وأخيراً زودنا الكتاب بدراسة حالة ميدانية تكشف لنا عن اضطراب الشخصية ـ وقد طبق على هذه الحالة اختبار «تفهم الموضوع» ـ كل ذلك من أجل إزالة أي التباس، وجعل مادة علم النفس سهلة التناول والقراءة والفهم.

د. فيصل عباس

القسم الأول

نظريات الشخصية

الفصل الأول

التحليل النفسي والشخصية

نظرية «فرويد» FREUD (١٨٥٦ ـ ١٩٣٩)

إن من يتعرض لنظريات الشخصية، عليه أن يبدأ بفرويد، أو أن ينتهي به. فكما يعتبر فرويد رائد التحليل النفسي، فإنه يعتبر كذلك «رائد نظرية الشخصية»، ذلك أن الغالبية العظمى ممن كتب في هذا المجال، قد بدأ من المقدمات المنطقية الأساسية التي أقامها فرويد، على نحو ما نجد في كتابات يونغ وآدلر من قدامى المحللين النفسيين، وكارن هورني وسوليفان من المحدثين.

مما لا شك فيه أن التحليل النفسي قد أحرز انتشاراً واسعاً لدى علماء النفس، بل ولدى غير المتخصصين في هذا المجال. وإذا كان بعض علماء النفس يقفون منه موقف المعارضة والنقد الشديد، إلا أنه قد شق طريقه أيضاً إلى مجالات أخرى غير علمية وفنية، على نحو ما يتمثل في كتابات كثير من الأدباء والفنانين في العصر الحديث.

ورغم ما أثير حول التحليل النفسي، وما وجه إليه من نقد، فقد أمدت حركة التحليل النفسي، علم النفس باتجاه دينامي في دراسة الشخصية. فكتابات فرويد تعتبر إحدى المحاولات الحقيقية الهامة في توكيد أثر خبرات الماضي ـ وبخاصة خبرات الطفولة المبكرة ـ في تكوين الشخصية. فالشخصية في نظر

فرويد هي تنظيم نفسي أشبه بالبناء يتكون طبقة طبقة، وترتكز طبقاته العليا على طبقاته السفلى إلى حد بعيد.

ولذا سوف نقتصر على تقديم المبادىء الأساسية التي تقوم عليها أفكاره ونظريته في الشخصية.

I ـ مبادىء السلوك الإنساني

تخضع شخصية الإنسان في نموها وتطورها من وجهة نظر فرويد لمجموعة من المبادىء أهمها:

١ ـ مبدأ اللذة Principe de Plaisir :

يحتمل أن يكون الإنسان في نظر فرويد «حيوان باحث عن اللذة». وليست اللذة هنا بمعناها الفلسفي الذي نجده لدى أنصار «مذهب اللذة»، والذي يذهب إلى أن من «واجب» الإنسان البحث عن اللذة؛ وإنما معناها عند فرويد هو أن الإنسان «تحركه» الرغبة في اللذة وتجنب الألم. ذلك أن السلوك يرجع في أساسه إلى حالة من التوتر المؤلم، وأن الكائن الحي يهدف إلى الأشياء والأفعال التي تؤدي إلى خفض ذلك التوتر وبلوغ حالة التوازن. فالإنسان إذن يهدف بطبعه إلى تجنب الألم وتحصيل اللذة[١].

وينظر فرويد إلى هذه التوترات على أنها فطرية، ولكن يمكن أن ترتبط أيضاً بعديد من المثيرات خلال عملية التعلم. وهذه التوترات حالات أساسية ترتبط بإحساسات الألم، وتسلك سبيلها الذي يهدف إلى خفض حدتها، ومن ثم إلى تحقيق اللذة. وكما يقول فرويد: «نحن نعتقد أن أية عملية معينة إنما تصدر عن حالة توتر مؤلم، ومن ثم تحدد لنفسها السبيل الذي يتفق وهدفها النهائي من أجل خفض التوتر، أعني بتجنب الألم أو إحداث اللذة».

---

(١) فرويد: ما وراء مبدأ اللذة، ترجمة إسحق رمزي، المعارف، القاهرة ١٩٨٠، الفصل الأول.

فمبدأ اللذة ينظر إليه إذن على أنه نزعة فطرية لدى الإنسان تحدد الأسلوب الذي به يخفض ثوراته النفسية. ومن هنا، فإن أشكال السلوك التي من شأنها أن تزيد من حدة هذا التوتر، تكبت في اللاشعور، بينما يسهل عمل تلك التي تؤدي إلى خفض هذا التوتر.

وحياة الطفل الصغير، وبخاصة في تلك السن التي يسعى فيها لإشباع غرائزه الأولية، يسيطر عليها مبدأ اللذة. فهو يهدف فحسب إلى إشباع حاجاته الأولية وفي أي وقت يشاء، من طعام وراحة وحنان. وقد يظهر لدى بعض الكبار أيضاً مثل هذا السلوك، الذي يتمثل في عدم الترحيب بكبت الرغبة للإشباع المباشر لنزعاتهم وشهواتهم. وهؤلاء هم الذين نسميهم عادة «طفليين»، فهم يخضعون كما يخضع الصغير، لمبدأ اللذة.

وباختصار فإن الكائن الحي في هذا الوجود يهدف إلى جعل حياته سارة قدر الإمكان. وليس معنى ذلك أن فرويد كان يتلمس الأعذار لشهوات الفرد ولا أخلاقياته. ويسير مع فكرة جعل الحياة سارة قدر الإمكان، فكرة أخرى هي أن الإنسان يجب أن يبحث أيضاً عن تجنب الألم والخبرات المؤلمة. فإن واجه الفرد خبرات مؤلمة، فعليه حلها، وإن فشل في حلها، فعليه أن يتجنب مواجهتها مرة أخرى إذا أمكنه ذلك.

٢ ـ مبدأ الواقع Principe de Réalité :

والمبدأ الثاني لتفسير سلوك الإنسان هو «مبدأ الواقع». فالإنسان ليس فقط يبحث عن اللذة، ولكنه أيضاً مرتبط بحدود الواقع الذي يكشف له «أنه في لحظة ما، عليه أن يؤجل لذاته العاجلة المباشرة من أجل لذة أخرى آجلة أكثر أهمية». فهو، وإن كان يبحث أيضاً عن اللذة، إلا أنه واقعي في بحثه، مما يترتب عليه وجود تدرج في مراتب اللذة. فاللذات الأخيرة الآجلة التي تعتبر أكثر أهمية، ولها الأولوية على اللذات الراهنة العاجلة التي ينظر إليها على أنها أقل أهمية. فالمبدأ العام الذي يميز سلوك الكبار عن السلوك الطفلي حسب فرويد، هو مبدأ الواقع، ومؤداه «أن اللذة المباشرة أو تجنب الآلام في اللحظة الراهنة يمكن أن يؤجل من

أجل لذة أكبر أو من أجل التخلص من ألم أعظم في مناسبة أخرى مقبلة»، ولنأخذ مثالاً، في تلك اللحظة التي تجلس فيها إلى مكتبك تقرأ هذه الصفحات. وبدون أن نذهب بعيداً في الخيال، يمكن القول بأنك ربما كنت تفضل في هذا الوقت الذهاب إلى السينما أو الخروج مع بعض أصدقائك للنزهة أو القيام ببعض الأعمال التي تدر عليك بعض المال، بدلاً من الجلوس إلى مكتبك تطالع هذه الصفحات التي يفرض عليك مطالعتها وحفظها من أجل الامتحان مثلاً. فما الذي يدعوك إذن إلى مواصلة الدراسة والمثابرة؟ يجيب فرويد إن ذلك يرجع إلى أنك إنسان يحكمه مبدأ الواقع. فأنت ترغب في الحصول على درجتك العملية أو النجاح في هذه المادة بتفوق، وهو هدف يربطك بهذه الصفحات بدلاً من الذهاب إلى تحقيق رغبة مباشرة وعاجلة، وربما كانت أكثر لذة. وعلى ذلك فنحن جميعاً نحس أن الحياة مرتبطة بقواعد وقوانين إذا اتبعت فسوف تحقق لنا لذات أخرى أكبر.

ومبدأ الواقع يعتبر مبدأ مكتسب متعلماً، وليس غريزياً نولد مزودين به. وإذا كان الطفل يأتي إلى هذا الوجود مزوداً بمبدأ اللذة، فإنه من خلال دروس الحياة وحسب، ومن خلال التوجيه والتنشئة الاجتماعية، يكتسب الإحساس بالواقع في تعامله مع نفسه ومع البيئة.

وعلى ذلك، يعتبر فرويد مبدأ اللذة ومبدأ الواقع قانونين ديناميين يحكمان سلوك الكائن الحي العضوي. فالمطالب البسيطة المباشرة لإشباع الرغبات النظرية تميز سلوك الطفل الصغير، وهذه يمكن أن توصف بواسطة مبدأ اللذة. أما القدرة على تأجيل اللذات وتحمل المتاعب من أجل كسب أكبر في المستقبل، وإشباع الرغبات بإنشطة بديلة يوافق عليها المجتمع، فهذه كلها تميز سلوك الكبار وتوضح مبدأ الواقع. وبالمثل فإن كل صور السلوك التي يقوم بها الكائن الحي الإنساني يمكن أن تفسر كحالات تخضع لهذا المبدأ أو ذاك.

ومن الواضح أن عملية خفض التوتر تربط ارتباطاً وثيقاً بالمبدأين السابقين ويتضح هذا الإرتباط الوثيق عندما تتحقق ضرورة القيام ببعض الأعمال عند الانتقال بين هذين الطرفين المتباعدين: اللذة والواقع. فكما أن الشيء في علم الطبيعة والعالم المادي، إذا جذب في اتجاهين مختلفين متضادين يصبح في حالة

شد وتوتر، فكذلك الإنسان يصبح في حالة شد وتوتر وبنفس الطريقة، إذا جذب أو شد إلى مجالين مختلفين في وقت واحد. وسوف لا يحس الإنسان وهو في هذه الحالة بالسعادة، بل سوف يحس بالألم، لأن الضغوط تمزقه وتشده وتسبب له التوتر والقلق. وطريقة تجنب هذه القوة المؤلمة هي خفضها أو إزالتها أو أن يكون الفرد من القوة بحيث تصبح الضغوط بالنسبة له ضعيفة نسبياً ويمكنه تحملها.

ولما كان الإنسان لا يمكنه إغفال ما ولد مزوداً به (مبدأ اللذة)، ولما كان من الضروري أن يواجه الواقع (مبدأ الواقع)، فإن التوتر يصبح أمراً ضرورياً لوجوده. فمن الأمور الهامة بالنسبة له إذن هو أن يخفض توتره بأحسن طريقة ممكنة أو أن يستسلم ويخضع له.

٣ ـ مبدأ إجبار التكرار Compulsion de répetition:

في هذا المبدأ يؤكد فرويد دور العادة وتكرار الخبرات في سلوك الإنسان. فالإنسان يميل بطبيعته إلى تكرار الخبرات القوية الماضية التي يمر بها. فما أن يعتاد الإنسان على القيام بنشاط ما بطريقة معينة، حتى يميل إلى تكرار هذا النشاط وبنفس الطريقة لدرجة تجعله يؤديه دون كثير من التفكير الشعوري. فالإنسان في نظر فرويد حيوان تسيره العادة، وطالما أنه يميل إلى تكرار كل ما هو ناجح. فإنه كلما زاد تكراره له، أصبح أسلوباً أكثر ثباتاً وجموداً في حياته العادية. وبسبب أن هذا الأسلوب يصبح ثابتاً وجامداً فإن الإنسان يتبعه في معالجة مشكلاته ومواجهتها، سواء كانت نتيجة ذلك ناجحة تؤدي إلى خفض التوتر عنده، أم مؤلمة فتؤدي إلى زيادة هذا التوتر. ويذهب فرويد إلى أن هذا المبدأ أكثر تغلغلاً وقدماً في حياة الإنسان، بالرغم من أنه قد يبدو معارضاً لمبدأ اللذة الذي تقوم وظيفته على خفض التوتر النفسي إلى أقل درجة ممكنة.

II ـ بناء الشخصية

تتكون الشخصية من ثلاثة نظم أساسية: الهو، الأنا، الأنا الأعلى. ورغم أن لكل جزء منها وظائفه وخصائصه ومكوناته ومبادئه ودينامياته وميكانزماته التي

يعمل وفقاً لها، إلا أنها جميعاً تتفاعل معاً تفاعلاً وثيقاً بحيث يستحيل فصل تأثير كل منها عن الآخر وتقدير وزنه النسبي في سلوك الإنسان. فالسلوك هو في الأغلب محصلة تفاعل هذه الأنظمة الثلاثة. ونادراً ما ينفرد إحداها بالعمل دون الآخرين. وسوف نوضح في ما يلي كل واحدة منها على حدة.

١ ـ الهو Le ça :

الهو: لقد كتب الكثير عن هذا المصطلح الذي وضعه فرويد. و«الهو» هو النظام الأصلي للشخصية والذي يعتبر أساساً لكل حياة إنسانية. فهو يوجد مع الإنسان منذ لحظة ولادته، ويظل معه طول حياته. هو ذلك الجزء من النفس الذي يحوي كل ما هو موروث أو غريزي، كما يحوي العمليات العقلية المكبوتة التي فصلتها المقاومة عن الحياة النفسية الشعورية. إنه مستودع الطاقة النفسية، كما أنه يزود العمليات التي يقوم بها النظامان الآخران بطاقاتها.

والهو يخضع لمبدأ اللذة فقط، ولا يهتم بأي شيء آخر. إنه هذا الجزء الخام، غير المرتب، غير المهذب، الباحث عن اللذة، إنه الزاد الأساسي الذي يحرك الإنسان خلال حياته، إنه لا يعرف قوانين ولا يخضع لقواعد ويبحث فقط عن شهواته. إنه القوة المحركة لوجود الإنسان، وعلى الرغم من أنه وثيق الصلة بالعمليات الجسمية التي يستمد منها طاقته، فإن «الهو» نظام نفسي حقيقي.

ولا يمكننا أبداً أن ندرك الهو في صورته الخام، وربما كانت أقرب صورة للهو، ما يبدو لنا في دراسة الطفل الصغير أو في سلوك الذهاني. فالطفل الصغير يسلك سلوكاً أنانياً تماماً، يهدف إلى إشباع رغباته وتحقيق لذاته دون مراعاة لحاجات الآخرين، فهو يخضع فحسب لمبدأ اللذة، وكذلك الذهاني الذي يسلك كيفما يحب ويعجبه. فسلوك الطفل والذهاني أقرب إلى ما يعنيه فرويد بمفهوم «الهو».

ويستخدم الهو في تحقيق اللذة وتجنب الألم عمليتين هما «الفعل المنعكس» و«العمليات الأولية». والفعل المنعكس هو رد فعل طبيعي يؤدي إلى خفض التوتر مباشرة. أما العملية الأولية فتتضمن رجعاً سيكولوجياً أكثر تعقيداً بعض الشيء،

وتحاول تفريغ التوتر بتكوين صورة لموضوع من شأنه أن يزيل هذا التوتر. وخير مثال للعملية الأولية أحلام النوم التي يعتقد فرويد أنها تمثل دائماً تحقيق، أو محاولة تحقيق رغبة ما. ولكن العملية الأولي وحدها غير قادرة على خفض التوتر، فالجائع لا يأكل الصور الذهنية للطعام. ولذلك تظهر عمليات جديدة ثانوية، وعندئذ يبدأ تكوين النظام الثاني للشخصية وهو الأنا.

٢ ـ الأنا Le moi :

ومن المفترض أن الهو في صورته الخام، إذا ترك لأساليبه الخاصة: فقد يحطم نفسه، فهو في حاجة إلى ما يضبط طاقته ويوجهها نحو أكبر إشباع وبقدر ما تسمح به مطالب الحياة، ودون أن يهدم نفسه ويحطمها. ويذهب فرويد إلى أن الأنا تحقق هذه الوظائف وتحققها جيداً. فالأنا تتبع مبدأ الواقع وتعمل وفق العمليات الثانوية. فإذا كان الهو يعمل وفق مبدأ اللذة ويستخدم العملية الأولية، وتفريغ التوتر بتكوين صورة لموضوع من شأنه أن يزيل التوتر، إلا أن الكائن الحي يتطلب معاملات مناسبة وإشباع واقعي، ومن ثم يفرق الأنا بين الأشياء التي توجد في العقل والأشياء التي توجد في العالم الخارجي. ومن هنا تطيع الأنا مبدأ الواقع الذي يعمل على الحيلولة دون تفريغ التوتر حتى يتم اكتشاف الموضوع المناسب لإشباع الحاجة. فمبدأ الواقع يرجىء اللذة مؤقتاً، لأن مبدأ اللذة هو الذي سوف يخدم في نهاية الأمر، عندما يوجد الموضوع المرغوب فيه، ومن ثم يخفض التوتر.

فالأنا إذن امتداد للهو وغير مستقل عنه أبداً، والأنا هو الجزء المنظم وهو الذي يبحث فقط عن إيجاد مخارج تخدم أغراض الهو، دون أن يترتب على ذلك تحطيمه، وإذا أمكن اعتبار الهو الجزء العضوي للشخصية، فإن الأنا هو جزؤه السيكولوجي. إن الأنا يستمتع بكل الإشباعات التي يسمح للهو أن يستمتع بها أيضاً، ولكنه يستمتع بها بذكاء ويتعقل في ضبط واختبار وتقرير ما يشبع وكيف يشبع.

فالأنا إذن يخضع لمبدأ الواقع، يفكر تفكيراً موضوعياً ومعتدلاً ومتمشياً مع

الأوضاع الاجتماعية المتعارف عليها. أما وظيفته فهي الدفاع عن الشخصية والعمل على توافقها مع البيئة، وحل الصراع بين الكائن الحي والواقع أو بين الحاجات المتعارضة للكائن الحي. فالأنا هو ذلك الجزء المنظم من الهو... وأن كل قوته مستمدة من الهو، وليس له وجود مستقل عن الهو[1].

٣ ـ الأنا الأعلى Le sur-moi :

وهذا هو المكون الثالث لشخصية الفرد، وهو مكون يقع في الطرف الآخر من الهو. والأنا الأعلى هو الأخير في عملية النمو لهذه الأبعاد الثلاثة للشخصية. إنه الممثل الداخلي للقيم التقليدية للمجتمع، وهو شيء موجود داخل الفرد وليس خارجه. إنه مكون داخلي، وليس مجموعة من القوانين الحاكمة. وعندما ينمى الفرد «أنا أعلى» داخل نفسه، يكون حينئذ قد أصبح شخصية ناضجة. فالأنا الأعلى هو هذا الجانب الخلقي للشخصية. إنه مثالي، وليس واقعياً. هدفه الكمال وليس اللذة. إنه هو الذي يقرر ما إذا كان نشاط ما حسناً أم سيئاً وفق معايير المجتمع التي يتقبلها. والقوانين الاجتماعية لا تعني شيئاً بالنسبة إليه ما لم يتقبلها ويتوحد معها.

وهذا الأنا الأعلى بوصفه الحكم الخلقي الموصل للسلوك ينشأ استجابة للثواب والعقاب الصادرين عن الوالدين. فالطفل لكي يحصل على ثواب الوالدين ويتجنب عقابهما: عليه أن يتعلم كيف يسلك حسب المعايير والقواعد التي يحددها الوالدان. فكل ما يعاقبه عليه الوالدان ينزع إلى أن يُستدخل داخل ضميره. أما كل ما يثيبابه عليه، ينزع إلى أن يُستدخل داخل أناه المثلى، الذي يمثل الشق الآخر من نظام الأنا الأعلى. ويطلق على الميكانزم الذي تتم به عملية الإستدخال هذه، اسم «الإجتياق». فالضمير يعاقب الشخص بأن يجعله يشعر بالإثم، بينما أناه المثلى تثيبه بأن تجعله يشعر بالفخر بنفسه. وبتكوين الأنا الأعلى يحل الضبط الذاتي محل الضبط الصادر عن الوالدين.

---

(١) فرويد: الأنا والهو، ترجمة محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت ١٩٨٨، الفصل الثاني.

ويمكن تلخيص الوظائف الأساسية للأنا الأعلى في ما يلي:

١ ـ كف دفعات الهو، وبخاصة تلك الدفعات ذات الطابع الجنسي أو العدواني، حيث أن هذه الدفعات هي التي يقابل التعبير عنها من المجتمع، بأشد صور الإدانة والرفض.

٢ ـ إقناع الأنا بإحلال الأهداف الأخلاقية محل الأهداف الواقعية[١].

٣ ـ العمل على بلوغ الكمال، أي أن الأنا الأعلى يميل إلى معارضة الهو والأنا معاً، وإلى تشكيل العالم على صورته. إلا أنه يشبه الهو في أنه غير منطقي، ويشبه الأنا في محاولته ممارسة التحكم في الغرائز. ويختلف الأنا الأعلى عن الأنا في أنه لا يحاول فحسب إرجاء الإشباع الغريزي، بل إنه يحاول الحيلولة دونه على الدوام.

الخلاصة:

تلك هي النظم الثلاثة الأساسية لبناء الشخصية، ورغم أن خصائصها تكتب وتناقش مستقلة، إلا أنها بالفعل ليست وحدات منفصلة في الشخصية، فالهو والأنا والأنا الأعلى أنظمة متداخلة متشابكة بقوة في ما بينها في كل ما يقوم به الإنسان. إن لكل منها وظيفته، ولكن كلاً منها لا يوجد أبداً مستقلاً عن الآخرين فقط في حالة الطفل الصغير أو في حالة الذهاني يمكن أن نجد أحد هذه العناصر واضحاً بارزاً يعمل في غير اعتبار للآخرين.

III ـ دينامية الشخصية

ونظرية التحليل النفسي ـ ككل النظريات الدينامية تدور حول القوى أو الحوافز: فهي أساساً نظرية واقعية. والظواهر العقلية ينظر إليها على أنها نتيجة

---

(١) ك. هول. ولندزي. نظريات الشخصية. ترجمة د. فرج أحمد فرج وقدري محمود حفني ولطفي محمد فطيم . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. القاهرة ١٩٧١، ص٥٦.

قوى متفاعلة يمكن أن تفهم من وجهة نظر تاريخية. وبعبارة أخرى، إن فرويد ينظر إلى الأحداث الراهنة باعتبارها نتائج نمو سابق تمتد جذوره إلى الماضي.

والمصطلح الذي استخدمه فرويد للدلالة على الطاقات أو القوى التي تستثير النشاط الإنساني هو المصطلح الألماني Trief والذي ترجم إلى اللغة الإنكليزية بالمصطلح instinct والذي يعرف في اللغة العربية بالغريزة. ولكن هذه الترجمة للمصطلح الألماني أدت إلى الخلط في فهم هذا المصطلح. فـ Trief، كما استعمله فرويد، لا يتضمن معنى النمط الثابت غير القابل للتغير الذي يعينه المصطلح instinct. فتحت الظروف والتأثيرات البيئية يمكن للغريزة، بمعناها في المصطلح الألماني، أن تغير من أهدافها وموضوعاتها[1] (النزوة Pulsion).

ومفهوم الغريزة من المفاهيم الأساسية في كتابات فرويد وتفكيره. ومعظم كتابات فرويد تمليها فكرته أن الإنسان ولد مزوداً بغرائز معينة. وليس ثمة مصطلح في علم النفس أثار من الجدال والنقاش بين علماء النفس مثلما أثار مصطلح الغريزة. وقد ظهرت مواقف ثلاثة لحل هذه المشكلات التي أثارها هذا المصطلح إحداها إنكار المصطلح من أساسه ورفضه، والثاني الدخول في دوامة تعريف هذا المصطلح والوقوف عند هذا الحد، والثالث استعمال المفهوم كمصطلح مساعد له قيمته في التفكير التحليلي دون أن نلقي الكثير من الإهتمام لوضع تعريف محدد له. ولعل فرويد كان أقرب ما يكون إلى هذا الإتجاه الأخير حيث استخدم هذا المصطلح دون الوقوف عند وضع تعريف محدد دقيق له.

ولقد صادر فرويد على وجود نوعين من الحوافز الإنسانية أو الغرائز، وكلاهما بيولوجي في طبيعته. أما النوع الأول فيتكون من الحاجات الجسمية البسيطة كالجوع والعطش والإخراج والتنفس. وهذه الحوافز أو الدوافع تستثيرها التغيرات البدنية التي تحدث داخل الكائن الحي العضوي. وإشباع هذه الحوافز أو الحاجات الأساسية أمر حيوي لبقاء الإنسان، كما أن أهدافها لا يمكن تغييرها أو

---

(١) Shaffer, G.W. and Lazarus H.S. Fundamental Concepts in Chinical Psychology. N.Y. Mc. Graw -Hill. Book Company. 1952 p.184.

تعديلها. ولذا فإن الاختلاف بين الأفراد بالنسبة لهذه الحاجات قليل للغاية، ومن هنا فإنها تعد قليلة الأهمية نسبياً بالنسبة لعالم النفس.

أما المجموعة الثانية من الحوافز فهي تلك التي وصل إليها فرويد من دراسته للمرضى النفسيين. وهذه المجموعة الثانية يمكن تقسيمها إلى نوعين أساسيين: الأول نزوة الحياة (Eros)، والثاني نزوة الموت (thanatos). وقد قصر فرويد استعمال لفظ الغريزة عنده على هذين النوعين: غريزة الحياة وغريزة الموت. وغرائز الحياة تخدم غرض الحفاظ على حياة الفرد وتكاثر الجنس. ويطلق فرويد على القوة الحيوية الدافعة لغريزة الحياة اسم «الليبيدو». والليبيدو هو هذا الجزء من تركيب الهو الذي يبحث عن إشباعه من الحوافز «الجنسية». وقد أدى استعمال لفظ جنس إلى كثير من الخلط في فهم مفهوم فرويد فمعنى الجنس عند فرويد أوسع بكثير من المفهوم العادي الدارج في حياتنا اليومية ولغتنا الدارجة. فهو يتضمن ـ بالإضافة إلى معناه المتصل بالحوافز الجنسية عند الكبار ـ كل ما يؤدي إلى الشعور باللذة من خلال استثارة المناطق الشهوية للجسم erogènoes zones والمنطقة الشهوية هي أي جزء من جسم الإنسان له القدرة على إثارة الإحساس السار أو الشعور باللذة عند الفرد. ومن المناطق الحساسة في جسم الإنسان: الشفاه، والتجويف الفمي والمنطقة الشرجية وأعضاء التناسل ويعتقد فرويد أن أنواع كثيرة من السلوك التي لم تكن ننظر إليها من قبل على أنها جنسية، هي في الحقيقة صور من الإشباع للدوافع الجنسية.

وتتميز الغريزة في نظر فرويد بأربع خصائص مميزة هي: المصدر والهدف والموضع والقوة الدافعة.

١ ـ المصدر **Source**: هو الحالة البدنية. وهو هنا الألم الذي يحسه الفرد في جسمه.

٢ ـ الهدف **But**: هو التخلص من الإستثارة أو التهيج البدني. وهو هنا إزالة الألم الناتج عن الجسم، والعودة إلى حالة الإرتياح التي كان يحس بها قبل حدوث الألم.

٣ ـ **الموضوع Object**: وهو يشير إلى جميع ضروب النشاط التي تقع بين ظهور الحاجة وتحقيقها. فهو لا يشير فحسب إلى شيء بعينه أو حالة تشبع الحاجة، بل إنه يتضمن كذلك كل أشكال السلوك الذي يحدث مستهدفاً الحصول على الشيء أو الحالة اللازمة.

٤ ـ **القوة الدافعة Impetus**: ويقصد بها قوة أو شدة الحاجة المحركة.

ويرى فرويد أن مصدر الغريزة وهدفها يظلان ثابتين طوال الحياة، ما لم يتغير المصدر أو يزول نتيجة النضج الفيزيقي. أما الموضوع أو الوسيلة التي يحاول بها الفرد إشباع الحاجة فهي تتباين تبايناً ملموساً خلال حياة الفرد، وذلك نتيجة قابلية الطاقة النفسية للإزاحة من موضوع لآخر. وإذا كان هذا الإبدال أو هذه الإزاحة ممكنة بالنسبة للموضوع، فهي غير ممكنة بالنسبة لمصدر الغريزة أو هدفها.

IV ـ مراحل نمو الشخصية

ولفظ مراحل يشير إلى تتبع نمو الإنسان وشخصيته ابتداء من الولادة حتى الكبر. فالطفل يمر عبر سلسلة من المراحل المحددة تكوينياً. وما لم يتعرض هذا النمو في سيره إلى تدخل ظروف شاذة أو معوقة، فمن المتوقع له أن يسير على نحو طبيعي، وعلى شاكلة ما نجده عند الغالبية العظمى من الناس.

والشخصية ترسي قواعدها في السنوات الأولى من حياة الكائن الحي. وهذا الأساس غير قابل للتغيير، وهو يحدد ما يمكن أن يقام عليه بعد ذلك. فإن كان الأساس ضعيفاً مهزوزاً وغير مستقر، نشأت الشخصية وتطورت بشكل ضعيف مهزوز غير مستقر كذلك. ومن هنا فإن «الطفل هو أب الرجل»[1]، وأن الأساس الذي يوضع في الطفولة هو الذي يحدد ما سيكون عليه الفرد في الكبر. ولكن ليس معنى ذلك أنه حين ينمو البناء لا يمكن تغييره. إن من الممكن إحداث

---

(١) فرويد، معالم التحليل النفسي، ترجمة محمد عثمان نجاتي، الشروق، بيروت ١٩٨١.

تغييرات طفيفة، ولكنها لا تتجاوز أبداً حدود ما يتحمله الأساس أو الشكل الذي اتخذه. فإن حدث هذا التجاوز، إنهار البناء (على نحو ما نجد في الشخصيات الذهانية والعصابية). وفي العادة يتغير الكثيرون منا مع النمو، ولكن إحساساً منا بخطر الإنهيار، وخوفاً على أنفسنا من اهتزاز البناء، فإننا نحذر الإبتعاد كثيراً عما يمكن أن يتحمله بناء شخصياتنا.

وعلى هذا النحو، نجد فرويد يعطي أهمية كبرى لعملية البناء من أجل بناء شخصية الفرد في المستقبل. كما أنه يعطي أهمية كبرى للخمس سنوات الأولى من حياة الفرد، باعتبارها الأساس الذي يقام عليه كل بناء شخصيته في ما بعد. ويمكن أن نشير باختصار إلى مراحل النمو عند فرويد.

١ ـ المرحلة الفمية:

وترتبط أول مرحلة من مراحل النمو في تكوين شخصية الفرد بالمنطقة الشهوية الفمية، وعلى وجه الخصوص بالشفتين. فالطفل يبدأ عقب الولادة بتليل استخدام الشفتين في الحصول على الطعام. وليس ثمة شك أن هذا الطعام الذي يحصل عليه الطفل يعتبر مصدر إشباع ولذة، فهو طعام شهي ولذيذ (وهذا هو مبدأ اللذة). وسواء كان يحصل عليه عن طريق الثدي أو بالرضاعة الصناعية، فإن الوليد في شهره الأول سرعان ما يتعلم (عن طريق مبدأ إجبار التكرار)، أن التجويف الفمي واللسان والشفتين عندما تمس هذه الأشياء تصبح مصدر لذة وسعادة بالنسبة له (منطقة غلمية). ومن الطبيعي أن يتعلم الطفل استخدام الشفاه كلما أراد الحصول عى هذا الإحساس السار أو اللذة فهو عندما يحس ثانية بالجوع، تقوم المنطقة الفمية بدورها وتؤدي به إلى شعور باللذة.

ولما كان الطفل في هذه المراحل الأولى من حياته يعتمد كثيراً على العادات التي يكونها، فإنه يلجأ إلى استخدام الشفاه في الحصول على اللذة أيا كانت حالة الجوع التي يكون عليها، وتبعاً لذلك، وبعد أن يكون قد درب الشفاه على إحداث اللذة، فقد يلجأ أيضاً إلى استخدام الأصابع أو أي شيء آخر (كأصابع القدم مثلاً)

من أجل الحصول على اللذة سواء كان جائعاً أو غير جائع (خفض التوتر). وهكذا تصبح الشفاه من الآن فصاعداً مصدراً للحصول على اللذة (غلمة ذاتية).

ولما كانت الأشياء التي تظهر أولاً في نظام ما، تكون آخر ما يترك هذا النظام، فإن المرحلة الفمية والمنطقة الشهوية الفمية تكونان على هذا الأساس أطول وأقوى مراحل حياة الإنسان. فهو دائماً يبحث عن لذة المنطقة الفمية، وهو يقوم بذلك حتى إذا كان مثل هذا النشاط غير مجد في حل المشكلة أو في خفض التوتر.

٢ ـ المرحلة الشرجية:

وحين يتجمع قدر كاف من فضلات الطعام لدى الطفل، فإن ذلك يسبب له توتراً في الأمعاء يؤدي إلى الشعور بعدم الإرتياح أو الألم. وطرد الفضلات وإخراجها يزيل عنه مصدر القلق، ويحدث له الشعور بالراحة وعند بدء التدريب على النظافة، وهذا يحدث عادة عندما يلتقي الطفل بأول خبرة حاسمة له مع التنظيم الخارجي لدفعة غريزية. فعليه أن يتعلم إرجاء اللذة التي يحققها له تخلصه من توتره الشرجي، أي عليه أن يتعلم الخضوع لمبدأ الواقع، وأن يقوم بعملية الإخراج حين تصل هذه الضغوط إلى حد معين، وأن يقوم بها في أماكن معينة وليس في أي مكان يشاء. وتتوقف نتائج هذا التدريب على الأسلوب الذي تتبعه الأم في تدريبه على ضبط عملية الإخراج. فإن كان أسلوباً شديداً صارماً، فقد يقبض الطفل على فضلاته ويصاب بالإمساك. وحين يعمم هذا الأسلوب في الإستجابة إلى مجالات أخر من السلوك في ما بعد، فقد ينمو لدى الفرد خلق قابض ويصبح عنيداً شحيحاً... أما إذا كانت الأم من النوع الذي يتودد إلى الطفل ليخرج فضلاته وتسرف في مديحه عندما يستجيب لذلك، فإن الطفل تتكون لديه فكرة قوامها أن النشاط الإخراجي بأكمله بالغ الأهمية. وقد تكون هذه الفكرة أساس الخلق والإنتاج، وعلى العموم يقال إن العديد من السمات الأخرى ترجع جذورها إلى المرحلة الشرجية(هول ولندزي ص٧٦).

وبذلك تصبح منطقة الشرج هي المنطقة الشهوية الثانية التي تلي المنطقة الفمية طولاً وقوة.

٣ ـ المرحلة القضيبية :

ومن المحتمل أن يكون طفل السنتين قد اجتاز في نموه المرحلة الفمية والشرجية، وشرع في اكتشاف المناطق الشهوية الأخرى المتبقية بجسمه والإستمتاع بها. ومن بين هذه المناطق الأعضاء التناسلية، فالطفل يستمد اللذة من العبث بهذه الأعضاء. وتكون حياة الطفل الإنفعالية، أي علاقته الوجدانية بأفراد الوسط المحيط به في هذه الفترة، أشبه بالحياة العاطفية للكبار. وفي خلال هذه الفترة (من سن ٣ ـ ٥) تكون علاقاته العاطفية والاجتماعية بوالديه، قد أخذت تنمو وتتعقد وتهيء السبيل لظهور عقدة أوديب. وتستمد عقدة أوديب اسمها من أساطير الإغريق حيث كان أوديب طفلاً لأحد الملوك وتكهن المنجمون أنه سوف يقتل أباه حين يكبر، فنبذه الملك في العراء. ولما كبر أوديب التقى بالملك وتنازعا على أمر ما، فقتل أوديب الملك ـ دون أن يعرف أنه أبوه ـ ثم دخل المدينة وتزوج ملكتها وهي أمه، دون أن يعرف كذلك أنها أمه. وقد اتخذ فرويد من هذه الأسطورة صورة لما يعانيه الطفل الإنساني إبان طفولته المبكرة في صلته بوالديه والتي تسمى باسم عقدة أوديب.

ذلك أن أول موضوع يمر بخبرة الطفل ـ عدا نفسه ـ هي أمه. إنها أول إنسان يطعمه ويلبسه ويحبه ويجيب كل مطالبه وحاجاته. والطفل يعتمد على الأم في هذه المرحلة الأولى من حياته اعتماداً كلياً، ومن هذا الاعتماد ومن أجل الحياة والتماهي معها، ينمو الإحساس بالحب للأم.

ثم إن الطفل بالإضافة إلى حبه لأمه واكتشافه جسمه وأعضاءه التناسلية يصبح أيضاً على معرفة بالدور الذي يقوم به الأب في حياته. فالأب إنسان أقوى وأكبر، وأقل وجوداً معه في البيت، ويشبهه في الجنس، ثم إنه يشاركه في حب الأم ويحظى باهتمامها، وفي الحقيقة يبدو أن له بعض الأولوية في وقت الأم ومحبتها. وتكون النتيجة الطبيعية لهذا، هو الإحساس بمنافسة خفية وغيرة مصاحبة وفي المراحل الأولى لهذه المعرفة، لا يفعل الطفل الذكر شيئاً لكبح إحساسه بالغيرة، ومع ذلك يبدأ الكبت في الظهور مع استمرار النمو. ثم هو يلاحظ أيضاً أنه من الناحية الجسمية، أقرب شبهاً بأبيه منه بأمه، وهي حقيقة تؤدي

به إلى التماهي مع الأب مثلما تماهى مع الأم. وينشأ التناقض الوجداني (مبدأ الإزدواج أو الثنائية) عن هذه الشحنة الوجدانية نحو شخصين مختلفين كلاهما يعتبر ضرورياً وهاماً لسعادته وراحته. فهو من ناحية يحب أن يشارك الأب في حب الأم، تلك المشاركة التي لا يحبها نظراً لرغبته في الإستئثار بحبها، ولكنه من ناحية أخرى أكثر شبهاً بالأب منه بالأم، وهو إحساس بالتماهي يجلب له السرور والرضا، وطالما أن مع استمرار النمو، ينمو أيضاً مبدأ الواقع، فإنه قد يتوقع نوعاً من العقاب يوقعه به الأب، أعني عقاب الأب له على مشاركته في حب الأم. ولما كانت معرفته بالعالم لا تزال قاصرة، ولما كانت تربيته لا تزال تدور حول المناطق الفمية ـ الشرجية ـ القضيبية، فإن أي عقاب يمكن أن يوقعه به الأب، سوف يتصل بهذه المناطق الشهوية. ولما كانت الصفة الجسمية الوحيدة التي تميزه عن الأم هي عضوه الذكري، إذن فإن هذا العضو هو الذي يمكن أن يوجه إليه الثأر والانتقام من جهة الأب، حتى يجعله أقرب شبهاً بالأنثى ويبعد عنه في الوقت نفسه صفته الذكرية الوحيدة. ويشبه ذلك من حيث الأهمية أيضاً، أن عضو الذكر هو عضو التحريم الذي يجب أن يزال من أجل استبعاد أي احتمال لمجرد التفكير في قيام أية علاقة محرمة مع الأم. وهذا الخوف الشديد هو الذي أشار فرويد باسم عقدة الخصاء. فالطفل الذكر يخاف من إزالة هذا العضو الذي يجعل منه ذكراً شبيهاً بالأب، مما يترتب عليه فقد التماهي مع الأب. كما يخاف أيضاً من منافسته المستمرة للأب في حب الأم وجذب اهتمامها. ومبدأ الثنائية هذا يترتب عليه ظهور القلق عند الطفل بشكل يعجز معه عن إحداث التوافق، إلى أن يدخل مبدأ الواقع ميكانزم الدفاع عن الأنا، ونعني به ميكانزم الكبت، وبذلك قد يجد الطفل طريقاً لحل مشكلته.

وتعتبر الفترة من الثالثة حتى الخامسة أو السادسة من أقوى فترات النضال العنيف بالنسبة لعقدة أوديب. ومع ذلك فهي تستمر كعامل حيوي خلال حياة الفرد. كما يكون لها أثر في اتجاه المراهق نحو الجنس الآخر ونحو مصادر السلطة وفي علاقته بزوجته وأطفاله.

هذا في ما يتصل بالولد الذكر. أما عن البنت فإن عقدتها تسمى باسم «عقدة

الكترا». وتتطور علاقاتها بأبيها تطوراً أكثر تعقيداً، يتأثر بما تستشعره من وجودها بغير هذا العضو الذكري واعتبارها أمها مسؤولة عن ذلك. وإلى جانب اعتبار أمها المسؤولة عن حالة الفقد هذه، فإنها تتماهى بقوة مع الأب، لأنه يمتلك هذا العضو الذي تحسده عليه. ويظهر حسدها واضحاً من المقارنة مع أبيها الذي يمتلك شيئاً تفتقده هي.

ومرة أخرى تظهر الثنائية عند الفتاة. ذلك أن مشاركتها لأمها من حيث افتقارهما إلى شيء ما، يقوي تماهيها الأول والأصلي مع الأم. ويحدث التناقض الوجداني حالة قلق انفعالي عند الفتاة. وقد أطلق فرويد على حالة القلق هذه اسم «حسد القضيب». ولا تصل البنت بسهولة إلى حل هذا التناقض الوجداني مع وجود فروق سيكولوجية عديدة بين الذكر والأنثى. ويستمر هذا الحسد لدى الفتاة فترة أطول، كما تصبح أكثر تمرداً على الأم مع المراهقة، وتعدل اتجاهها تدريجياً حتى توفق هي الأخرى في الحصول على شريك حياتها بالزواج. ومرة أخرى تكشف ـ كأم ـ عن تناقضها الوجداني نحو الجنس. وذلك في دورها كأم لأولاد وبنات، وكزوجة لرجل.

٤ ـ المرحلة التناسلية:

والمراحل الثلاث السابقة ـ الفمية والشرجية والقضيبية تعرف باسم المراحل قبل التناسلية. وتتميز شحناتها بأنها ذات طابع نرجسي حيث يحصل الفرد على اللذة من تنبيه مناطق معينة من جسمه، وأن شحناته تستهدف الآخرين لأنهم فحسب يتيحون له أشكالاً إضافية من اللذة الجسمية. ومع المراهقة يبدأ بعض هذا الحب يتلمس طرقاً تقود إلى اختيارات موضوع حقيقي ويشرع المراهق في حب الآخرين تحدوه دوافع الإيثار، وليس لمجرد أسباب نرجسية. فالجاذبية الجنسية والتنشئة الاجتماعية والنشاط الجماعي والتخطيط المهني والإستعداد للزواج وتكوين الأسرة تبدأ جميعها في التعبير عن نفسها بصورة واضحة. وفي نهاية المراهقة تصبح الشحنات الإنفعالية الاجتماعية الغيرية أكثر ثباتاً. ويتحول الفرد من النرجسية أو البحث عن اللذة الذاتية إلى راشد تسيره الحقيقة الواقعية والمجتمع (هول ولندزي ص٨٠).

وعلى الرغم من أن فرويد قد ميز بين أربع مراحل في نمو الشخصية، إلا أن هذه المراحل ليست منفصلة بعضها عن بعض، أو أن الإنتقال يكون فجائياً من مرحلة إلى أخرى. فالتنظيم النهائي للشخصية هو نتيجة إسهامات هذه المراحل.

٧ ـ حالات الوعي/ اللاوعي

لا يمكن بالطبع أن نعرض لنظرية فرويد دون أن ندرس نظامه الوصفي الذي يعالج حالات الشعور. وسوف نشير باختصار ما يعنيه فرويد بهذه المصطلحات الثلاثة: الشعور وما قبل الشعور واللاشعور.

١ ـ الشعور:

هو هذا الجانب من الحياة العقلية للفرد، والتي يكون على وعي تام بها. وحالة الشعور هي التي تمكّن الفرد من أن يعرف أين هو، وما يدور حوله، وما يحسه وكيف تجري الأحداث من حوله. وحينما يحدث شيء ما، فإنه يكون على وعي به، ويمكنه أن يوجه انتباهه إليه عن قصد. وحواسنا تنقل إلينا الكثير من المعلومات والخبرات عن الأشياء التي تجري في العالم الخارجي وتحدث انطباعاتها في أنفسنا ونستجيب لها حسب الموقف الذي توجد فيه.

٢ ـ ما قبل الشعور:

ويقع في منطقة بين الحالة العقلية الشعورية والحالة العقلية اللاشعورية. وهي منطقة وهمية تتجمع فيها الذكريات التي اكتسبناها في الماضي والتي تتلمس طريقها إلى الشعور ولكنها لم تتمكن بعد إلى العبور إلى مسرح الشعور. وأمثلة الذكريات التي توجد في القبشعور أمثلة عديدة: منها أن الطالب وهو في قاعة الامتحان يحاول أن يصل إلى بعض المعلومات التي يتعذر عليه تماماً الوصول إليها، ولكن ما أن يخرج من قاعة الامتحان أو وهو سائر في طريقه إلى منزله، سرعان ما تقفز هذه المعلومات ثانية إلى ذهنه. فهذه المعلومات يقال عنها إنها كانت طافية في ما قبل الشعور، ولكنها لم تدخل بعد مسرح الشعور.

٣ ـ اللاشعور:

ويتكون اللاشعور من القوى والدوافع التي لم تنسجم مع الشخصية الشعورية والتي كبتت في أعماق النفس. فمادة اللاشعور قد مرت من قبل في الشعور، ولكن لما كانت غير منسجمة مع الشخصية الشعورية فإنها تكبت. ومن اللازم أن يكون هناك نوع من المستودع تختزن فيه مثل هذه الخبرات التي تستبعد من الشعور. ومن اللازم أيضاً أن يكون هناك نوع من المنطقة العقلية التي يجول فيها العقل بحرية كاملة كيفما يحب، مع الإحساس التام باللذة، ودون التقيد أو الخضوع لمطالب الأنا أو قيود الأنا الأعلى. واللاشعور هو هذا المستودع العقلي لخبرات الإنسان الماضية، فكل ما حدث للإنسان في الماضي يختزن في العقل سواء أراد الإنسان أم لم يرد. وقد تفرض الكثير من الرقابة على مادة اللاشعور، ولا يسمح لها بالعبور إلى مسرح الشعور. وطالما تكون الرقابة قوية، فإن هذه المادة لا يمكنها أن تفلت لتدخل إلى مسرح الشعور. لكن ما أن تخمد هذه الرقابة أو ينام الرقيب حتى تفلت بعض هذه الخبرات وتمر إلى الشعور، وتظهر في صور مختلفة كالأحلام أو في صور رمزية عديدة.

٧١ ـ الأواليات الدفاعية

ورغم التعديلات والإضافات التي أدخلت على هذه العمليات، فإن فرويد هو الذى أرسى قواعد هذه العمليات. وأحد الخصائص الهامة للعمليات الدفاعية للأنا هي أنها تعمل على مستوى لاشعوري، ومن ثم فإن الشخصية لا تعرف أنها تدافع عن «أناها». وثمة خاصية أخرى لهذه العمليات الدفاعية هي أنها قد تحرف الواقع أو حتى تنكره. ومن ثم ليس غريباً أن يكذب الفرد على نفسه كي يحفظ لها احترامها أمام نفسه، كما قد يحرف الحقيقة دون وعي منه بهذا التحريف وسوف نشير باختصار إلى بعض هذه العمليات.

١ ـ الكبت Refoulement:

عملية دفاعية أساسية، وهو حجر الزاوية لكثير من العمليات الدفاعية

الأخرى، ويقوم بدوره في وقت مبكر جداً من حياة الفرد، ونظرية الكبت أصبحت بمثابة حجر الأساس لفهم العصاب. ومن الممكن النظر إلى عملية الكبت كمركز تدور حوله بقية عناصر نظرية التحليل النفسي أو تكون على علاقة به[1].

والكبت بمعناه العام عملية استبعاد تتخذ صورتين: أولاهما طرد الدوافع والإنفعالات والأفكار والذكريات الشعورية المؤلمة والمخيفة والكريهة والمخزية، وإكراهها على التراجع والبقاء في تلك المنطقة الخافية المظلمة من الحياة النفسية، والتي تسمى باللاشعور. وثانيهما منع الدوافع والأفكار والذكريات التي أصبحت لا شعورية من اقتحام مسرح الشعور، وذلك لأن مثل هذه الدوافع والأفكار والذكريات إذا تسنى لها دخول مسرح الشعور سببت للأنا القلق والألم أو الخجل والخزي.

ويقوم الكبت بوظيفتين أساسيتين في الحياة النفسية الأولى وقائية دفاعية، إذ يدفع الفرد عن نفسه كل ما يسبب له الألم أو الخجل أو يجرح كبرياءه. فنكبت كل ما يتنافى مع المثل الخلقية والاجتماعية وما يسبب الضيق النفسي.

أما الوظيفة الثانية: فهي صد الدوافع الثائرة المحظورة وخاصة الدوافع الجنسية من أن تفلت من زمام الفرد وأن تتحقق بالفعل بصورة صريحة سافرة مباشرة. ولكن مثل هذه الدوافع المكبوتة في أعماق اللاشعور لا تكون ميتة، بل تظل حيّة قلقة، تتحين الفرصة للظهور والتعبير عن نفسها متى سمحت الظروف وكثيراً ما تعبر عن نفسها بصور ملتوية رمزية، في صورة أحلام النوم وفلتات اللسان وزلات القلم وفي ألعاب الأطفال، إلى غير ذلك من الوسائل التي تكشف عن هذه النزعات المكبوتة في أعماق اللاشعور.

٢ ـ النكوص Regression:

هو رجوع المرء إلى الوراء، والعودة إلى الأساليب السابقة التي كان يتبعها

---

(١) فرويد: حياتي والتحليل النفسي، ترجمة مصطفى زيور، عبد المنعم المليجي، المعارف ١٩٨١، الفصل الثالث.

في مراحل نموه الأولى للتعبير عن دوافعه الغريزية. ويحدث هذا عادة إذا فشل الفرد في تحقيق بعض رغباته، وأمثلة النكوص واضحة في كثير من سلوك الطفل والكبير. فالطفل الذي يكون قد ضبط عملية التبول ثم ولد للأسرة طفل جديد وشعر أن مركزه الممتاز قد اهتز في الأسرة نتيجة حلول هذا الطفل الجديد، فقد يرتد إلى مراحل سابقة كان يلقى فيها المزيد من العطف والحنان. ومن هنا فقد يرتد إلى مرحلة سابقة فيتبول لا إرادياً مما يجبر الأم على توجيه بعض الإهتمام والانتباه إليه ومن أمثلة النكوص عند الكبار ما نشاهده في الشاب الذي يتطلع إلى الزواج من زوجة لا تقوم منه إلا مقام الأم الحنون. والفتاة التي تتطلع عند الزواج إلى رجل يقوم منها مقام الأب.

ومعظم كتابات فرويد عن النكوص تتصل بمسألة عودة المريض إلى ألوان من السلوك المميزة لمراحل طفولتهم أو مراحل سابقة في النمو. ومن هنا أصبح لفظ «طفلية» عند فرويد مرادفاً في معناه للنكوص وليس من الضروري أن يكون النكوص كما سبق أن أوضحنا، ارتداداً إلى مراحل الطفولة، ولكن يمكن أن يكون إلى مرحلة سابقة على تلك التي من المفروض أن يوجد بها الفرد حسب مستويات نضجه.

والنكوص هو تعبير عن مبدأ إجبار التكرار فالشخصية الإنسانية تميل مرة أخرى إلى تكرار الأنشطة التي نجحت من قبل في أدائها أو الأنشطة السارة على الأقل. ولما كانت هذه الأنشطة من نوع إجبار التكرار، فإنها قد لا تحل بطريقة ما المشكلة الحالية التي يوجهها الفرد، بل قد تزيدها تعقيداً. والصورة النكوصية للسلوك لا تعيد عادة خلق الخبرة الماضية بأكملها، ولكن فقط أجزاء منها تدعم الحدث الماضي. وعندما تحبط الشخصية وتنكص إلى صور طفلية من صور السلوك، كمص الإصبع مثلاً، فإنها نادراً ما تنكص كلية، وإنما الذي يعود إلى الظهور هو بقايا من صور السلوك السابقة التي يقوم بها الفرد.

٣ ـ تكوين رد الفعل Réaction :

وهذه العملية الدفاعية من أصعب المفاهيم إدراكاً، وقد لا يفهمها بعض

المبتدئين في دراسة علم النفس، وتتضمن هذه العملية الدفاعية إبدال المشاعر المثيرة للقلق في الشعور بنقيضها، كإبدال الكراهية بالحب، وتصل الدفعة الأصلية قائمة وموجودة في النفس، إلا أنها تغطى أو تقنع بواسطة تلك التي تسبب القلق للفرد.

ويظهر تكوين رد الفعل في صورة سلوك مسرف متطرف، فعادة ما يتميز تكوين رد الفعل بالإسراف في التظاهر. فيسرف الفرد في إظهار الشجاعة لتغطية مظاهر الخوف التي تعتمل في نفسه. كما يتميز أيضاً بطابعه القهري، فالصورة المتطرفة من السلوك من أي نوع تشير عادة إلى تكوين رد الفعل. وينجح تكوين رد الفعل أحياناً في إشباع الرغبة الأصلية التي يستهدفها الدفاع، مثال ذلك عندما تغرق الأم طفلها بالمحبة والانتباه[١].

٤ ـ الإسقاط Projection :

وقد ظهر هذا المصطلح عند فرويد في مقال له عن عصاب القلق ١٨٩٤. وقد صحح فرويد في هذا المقال أن: «عصاب القلق يظهر لدى الفرد حين يشعر بعجزه عن السيطرة على المثيرات (الجنسية)؛ وفي هذه الحالة تسلك النفس كما لو كانت تُسقط هذه المثيرات على العالم الخارجي». وفي مقالة أخرى له عن العمليات الدفاعية للعصاب (١٨٩٦)، ذهب فرويد إلى أن «الإسقاط هو أحد العمليات الدفاعية التي يعزو بها الفرد دوافعه وإحساساته ومشاعره إلى الآخرين أو إلى العالم الخارجي، ويعتبر هذا بمثابة عملية دفاعية تتخلص بها الأنا من الظواهر النفسية غير المرغوب فيها والتي ـ إن بقيت ـ سببت الألم للأنا».

وقد أوضح فرويد هذه العملية الدفاعية في سياق حديثه عن إحدى حالات البارانويا التي تأخذ صورة ميول جنسية مثلية تتحول تحت ضغط الأنا الأعلى من «أنا أحبه» إلى «هو يكرهني» في عملية معقدة على النحو التالي.

١ ـ اشتهاء جنسي مثلي يتمثل في «أنا أحبه». وهذا دافع غير مقبول من دوافع الهو.

---

(١) مول، لندزي: نظريات الشخصية.

٢ ـ تكوين رد فعل يحوله من «أنا أحبه» إلى «أنا أكرهه».

٣ ـ لكن الكراهة أو العدوان دفاع غير مقبول كذلك فيكبت. هذا الكبت كعملية دفاعية ليس حلاً نهائية للموقف وقد لا يؤدي إلى حماية الأنا تماماً. ولكي تتخلص الأنا من هذه الدوافع العدوانية تقوم بإسقاطها على الشخص الآخر، وبذلك ننتقل إلى المرحلة الرابعة والأخيرة وهي:

٤ ـ تتحول الدوافع من «أنا أكرهه» إلى «هو يكرهني»[1].

والإسقاط عند فرويد عملية دفاعية تسير وفق مبدأ اللذة. وبمقتضاها تعزو الأنا الرغبات والأفكار اللاشعورية إلى العالم الخارجي؛ تلك الرغبات والأفكار التي ـ إن سمح لها بالدخول إلى مسرح الشعور ـ لأحدثت الألم للأنا.

ويمكن أن نلخص الأسس التي تقوم عليها فكرة الإسقاط عند فرويد في النقط الآتية:

١ ـ الإسقاط عملية لاشعورية.

٢ ـ أنه يستخدم كعملية دفاعية ضد القلق والدوافع اللاشعورية.

٣ ـ يحدث نتيجة عزو هذه الدوافع والرغبات والأفكار التي تسبب الألم للذات، إلى الآخرين والعالم الخارجي.

٤ ـ يترتب عليه خفض حدة التوتر لدى الفرد.

٥ ـ التعيين Fireation:

هي الطريقة التي يتمثل بواسطتها الشخص، سمات شخص آخر ويجعلها جزءاً مكوناً لشخصيته ذاتها. فهو يتعلم خفض التوتر بصياغة سلوكه على غرار سلوك شخص آخر. والتوحد أو التعيين هو أكثر من مجرد تقليد الشخص الآخر،

---

(١) فرويد: خمس حالات من التحليل النفسي، ترجمة صلاح مخيمر، عبده رزق، الأنجلو، القاهرة ١٩٧٣، الجزء الثاني، حالة برانويا، شريبر، ص٩٢٦.

وأكثر من مجرد المشاركة الوجدانية معه. إنه يعني أن الفرد يحس أنه هو الشخص الآخر. وليس من الضروري أن يتعين شخص بشخص آخر من جميع الجوانب، بل إنه عادة ما يختار ويستدمج فحسب تلك السمات التي يعتقد أنها ستساعده في بلوغ الهدف الذي يرغب فيه.

ويمكن للمرء أن يتعين بالحيوانات والشخصيات الخيالية والأنظمة والأفكار المجردة والموضوعات غير الحية بقدر ما يمكنه أن يتعين بالكائنات البشرية الأخرى.

والبناء النهائي للشخصية يمثل تراكم العديد من التعيينات، وهو تراكم يحدث في فترات متباينة من حياة الشخص، وإن كان الاحتمال أن الأب والأم هما أهم الشخصيات التي يتعين بهما الطفل في حياته (هول ولندزي ص٧٠).

تلك هي بعض المعالم البارزة والمبادىء الهامة لنظرية فرويد في الشخصية ومن أهم ما كتبه فرويد في الشخصية مثل «تفسير الأحلام» (١٩٠٠) و«علم النفسي المرضي في الحياة اليومية (١٩٠١) ومقدمة عامة في التحليل النفسي» (١٩١٧) و«محاضرات تمهيدية» جديدة في التحليل النفسي (١٩٣٢) ومعالم التحليل النفسي (١٩٣٨).

ومع ذلك، فلم تتعرض أية نظرية أخرى في علم النفس لأوجه النقد مثلما تعرضت له نظرية فرويد، وقد جاء الهجوم من جوانب عديدة، وحتى في حياة فرويد نفسه، وفي المراحل الأولى من وضع النظرية. فقد خرج عليه بعض أتباعه الكبار من أمثال يونغ وآدلر، كما قام المحدثون من المحللين النفسيين بإدخال بعض التعديلات على نواحي هامة في نظرية فرويد على نحو ما نجد في كتابات «كارن هورني وسوليفان» وغيرهما. وليس من السهل هنا استعراض كل ما وجه إلى هذه النظرية من نقد وتجريح، فالكثير منها، على نحو ما يذهب هول ولندزي، لا يكاد يكون أكثر من صوت أناس ملكهم الغضب. لكن من الممكن أن نشير إلى بعض أوجه النقد الهامة التي وجهت إلى هذه النظرية.

VII ـ نقد نظريات فرويد

إن ثمة قصوراً في الخطوات التجريبية التي استخدمها فرويد في إثبات صدق فروضه، فقد أجرى فرويد ملاحظاته في ظروف تفتقر إلى عوامل الضبط. وكذلك يعترف فرويد أنه لم يسجل لفظياً ما يقوله هو والمرضى وما يفعلونه في ساعة العلاج، وإنما كان يعمل من مذكرات يسجلها بعد ذلك بساعات عديدة. وليس ثمة شك أن النسيان والتحريف والحذف تؤثر بدورها في كل ما تحصل عليه من مادة مما يضعف من عامل الثقة.

وثمة نقد آخر يؤخذ على فرويد هو قبوله لما يقوله مرضاه كما هو، دون محاولة التيقن منه، عن طريق استخدام أي شكل من أشكال البرهان الخارجي. وليس ثمة شك أن ذلك يبعد هذه الطريقة عن الأسلوب العلمي المتبع في فروع العلم المختلفة. أي أنه كان من الواجب على فرويد الحصول على برهان أو دليل من الأقارب أو المعارف أو الوثائق أو نتائج الاختبارات والمعلومات الطبية وغيرها. إلا أن فرويد كان يرى أن ما هو هام لفهم السلوك الإنساني هو المعرفة الشاملة باللاشعور الذي يمكن الوصول إليه عن طريق التداعي الحر وحده وتحليل الأحلام.

ثم إن فرويد تجنب أية معالجة كمية لمواده التجريبية، الأمر الذي يجعل من المستحيل وزن الأدلة الإحصائية لملاحظاته وثباتها في أي عدد من الحالات. مثلاً، وجد فرويد ارتباطاً بين جنون البارانويا(جنون العظمة والإضطهاد) والجنسية المثلية، وبين الهستيريا والتثبيت على المرحلة الفمية، وبين الرغبة والفوبيا وبين مشهد أولي وعدم الاستقرار والثبات. فكم عدد الحالات التي درسها ممن تنتمي إلى نمط معين، وإلى أي الطبقات والأصول تنتمي هذه الحالات؟ وما هي المقاييس والمعايير التي استخدمت في نسبة حالة معينة إلى فئة إكلينيكية محددة؟ وهل كان يحدث أن يراجع فرويد تفسيراته على تفسيرات محلل آخر كفء حتى يتيقن من ثبات حكمه؟ إن هذه الأسئلة وغيرها تلقى الكثير من الشك في نفوس علماء النفس الذين يدينون بالإتجاه الكمي (هول ولندزي ص٩٦).

ثم إن البعض ينتقد استخدام فرويد في تفسيره لجوانب الشخصية، مفهومات أقرب إلى التصورات الخرافية منها إلى المفهومات العلمية. فهو يتحدث مثلاً عن

«أجهزة» الشخصية. ويجعل الشخصية أشبه بمسرح تتصارع فيه قوى مختلفة وكأن لها كياناً خاصاً. فهناك الهو والأنا والأنا الأعلى، والأخير يتصارع مع الأول، والثاني يحاول أن يوفق بينهما. وهناك العقد النفسية الموجودة في اللاشعور والتي تحاول جاهدة أن تدخل إلى مسرح الشعور لتثير القلق والاضطراب في الأنا والتي يحول الرقيب بينها وبين مسرح الشعور، فتلجأ إلى الرمزية والتخفي والقيام بصور مقنعة لعلها تفلح في ما تريد. كل هذه أقرب إلى التشبيهات والصور الخرافية. ولا يمكن لمثل هذه التشبيهات أن يستند إليها في بناء نظرية علمية في الشخصية، فمثل هذه التشبيهات لا تساعد على تفسير أو فهم مظاهر السلوك المختلفة أو التنبؤ بها وهي جميعها جوانب هامة في أية نظرية علمية.

ورغم كل ذلك، فقد فتحت نظرية فرويد أفاقاً جديدة، ووجهت النظر إلى الكثير من الحقائق التي تتصل بالنفس البشرية، لم تكن معروفة من قبل. فقد كشفت بوضوح عن العلاقة بين تنظيم الشخصية وماضي الشخص، والآثار التي تتركها خبرات الطفل الإنفعالية في سنواته الأولى. كما كشفت أيضاً هذه النظرية عن أن شخصية الفرد تتحدد أيضاً نتيجة تفاعله أو صراعه مع العوامل البيئية المحيطة به، بما في ذلك البيئة الداخلية، وأن ذلك يتم في الغالب على مستوى لاشعوري، وهي نقطة لم تكن معروفة بوضوح من قبل.

وعلى العموم فقد كانت الكثير من أفكار فرويد مثيرة ومتحدية، كما كان تصوره للإنسان تصور شامل وعميق، كما أن نظريته كانت «محاولة لتصوير الشخص المكتمل الحي الذي يعيش جزئياً ـ في عالم الواقع ـ، وجزئياً ـ في عالم الوهم، تحاصره الصراعات والتناقضات الداخلية. وبرغم هذا، فهو قادر على التفكير والعمل العقلي، تحركه قوى لا يعرف عنها إلا القليل، وطموح لا طاقة له على بلوغه، آناً تختلط الأمور عليه. وآناً آخر يصفو ذهنه ويتقاذفه الإحباط والإشباع، والأمل، واليأس والأثرة والإيثار، إنه بإيجاز كائن بشري معقد[1].

---

(١) لـ. هول. ولندزي: نظريات الشخصية: ترجمة د. فرج أحمد فرج وقدري حفني ولطفي محمد فطيم القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١، ص٩٩.

الفصل الثاني

نظرية الشخصية عند ألفريد آدلر (١٨٧٠ - ١٩٣٧)

ولد أدلر في إحدى ضواحي مدينة فيينا، من أب يعمل بالتجارة، درس أدلر علم النفس والاقتصاد السياسي والاجتماع، ثم أتم دراسة الطب في جامعة فيينا. وفي أثناء دراسته للطب كان يحضر محاضرات في الفلسفة وعلم النفس. وقد بدأ حياته العملية عام ١٨٩٨ طبيباً للعيون. ثم اشتغل طبيباً عاماً وتخصص في دراسة الأعصاب. تعرف إلى فرويد، وأصبح أحد الأعضاء المؤسسين لجمعية التحليل النفسي بفيينا. ولكن سرعان ما بدأ يكوّن لنفسه رأياً مستقلاً يختلف عن رأي فرويد وانسحب من جماعة فرويد عام ١٩١١، حين طلب فرويد من أتباعه أن يقبلوا نظريته عن الميول الجنسية قبولاً مطلقاً. وكوّن أدلر مع سبعة آخرين الجماعة الحرة للتحليل النفسي والتي أطلق عليها في عام ١٩١٢ اسم «جماعة علم النفس الفردي». وقد أصبح له أتباع عديدون في مختلف أنحاء العالم.

ولقد قام أدلر بإلقاء سلسلة من المحاضرات عن نظريته في بوسطن وشيكاغو وغيرهما من مدن الولايات المتحدة. وعين أستاذاً بجامعة كولومبيا ١٩٢٩. ودعاه عمدة برلين لإلقاء بعض المحاضرات عن مذهبه، ثم ذهب إلى إبردين باسكتلندا لإلقاء بعض المحاضرات في جامعتها وتوفي هناك عام ١٩٣٧.

وكان أدلر من أصحاب النزعة الإنسانية والتي ينتمي إليها بعض المحدثين من علماء النفس، من أمثال «كارل روجرز» و«جوردون ألبورت». وكان متفائلاً

بالنسبة لمستقبل الإنسان؛ إذ يرى أن الإنسان لديه الفرصة ليصبح أفضل وأحسن مما هو الآن، وأن يتحرك قدماً إلى الأمام وأن يقلل من مشكلاته في الحياة ويصل إلى درجة كبيرة من التوافق مع الحياة. ومن هنا كان اهتمام أدلر بالطريقة التي يتبعها الفرد في تكييف نفسه مع المجتمع. فالإنسان في نظره كائن اجتماعي في أساسه، ويربط نفسه بالآخرين، ويفضل المصلحة الاجتماعية على المصلحة الأنانية ويكتسب أسلوباً خاصاً للحياة يغلب عليه الإتجاه الاجتماعي.

ويمكن أن نقدم صورة مختصرة عن نظرية أدلر في الشخصية في معالجة بعض المبادىء الهامة التي تقوم عليها هذه النظرية.

I ـ المبادىء العامة

١ ـ القصور ـ الشعور بالدونية ـ:

إن فكرة أن الإنسان مخلوق تدفعه مشاعر النقص قد تكونت لديه عندما كان يمارس عمله كطبيب في فيينا مع مطلع هذا القرن. وفي ذلك الحين لاحظ أدلر أن كثيراً من مرضاه يميلون إلى تركيز شكواهم حول أعضاء معينة من الجسم. وقد اكتشف أدلر ـ قبل ظهور الطب النفسي الجسمي ـ أن الإنسان يتحول إلى المرض لكي يحل كثيراً من مشكلاته غير الجسمية. وغالباً ما تكون جملة الأعراض التي يشكو منها المرضى غير مرتبطة بالأعضاء التي يشكون منها. وقد توصل أدلر من ذلك إلى نظرية القصور العضوي. فالإنسان يولد ولديه استعداداً لقصور أحد أعضاء جسمه. ويقصد بقصور العضو عدم استكمال نموه أو توقفه أو عدم كفايته التشريحية أو الوظيفة أو عجزه عن العمل بعد المولد. ووجود مثل هذا العضو القاصر يؤثر دائماً على حياة الشخص النفسية لأنه يحقره في نظر نفسه ويزيد شعوره بعدم الأمن. لكن هذا الشعور بعينه هو الذي يدفع الفرد على بذل المزيد من الجهد لتعويض هذا الشعور بالنقص. وأحياناً يتخذ هذا التعويض أشكالاً من العنف تبلغ حداً متطرفاً لا تنتظره منه، وهو ما يعرف باسم التعويض النفسي الزائد. وتعويض العضو القاصر يحدد عادة أسلوب حياة الفرد، والطريقة التي

يهدف بها الفرد إلى تحقيق السيطرة. فالشخص ضعيف البنية في الطفولة غالباً ما يعوض هذا القصور البدني بممارسة الرياضة بشكل غير عادي لتقوية بنيته، وقد يصبح في ما بعد من الأبطال المحترفين. وأمثلة التعويض المشهورة كثيرة منها: ديموستين الأغريقي الذي بلغ شأواً عالياً في الخطابة رغم ما كان لديه من لثغة وعيوب كلامية في طفولته. وبتهوفن الذي أخرج أعظم قطعه الموسيقية بعد أن أصيب بالصمم.

ولم يلتزم أدلر حدود القصور البدني وما يتطلبه من تغير في الحياة النفسية، بل عمم فكرته حتى شملت القصور المعنوي والاجتماعي، وبالمثل لم يقصر أدلر حديثه على الحالات المرضية، بل وسع فكرته حتى شملت أيضاً الحالات السوية. يقول أدلر: «إن ما يصدق على القصور العضوي يصدق أيضاً على القصور الاجتماعي أو الاقتصادي الذي يثقل كاهل الفرد فيضيق به ذرعاً حتى لا يرى في الدنيا إلا خصماً لدوداً. والطفل منذ سنواته الأولى يحس إحساساً واضحاً بهذا القصور في علاقته بالبيئة التي يعيش فيها. فالكبار من حوله يستطيعون القيام بالعديد من الأشياء التي يعجز هو عن القيام بها، ففي إمكانهم أن يصلوا إلى الأشياء المرتفعة التي لا يستطيع هو الوصول إليها، وفي إمكانهم أن يتحكموا في الأشياء أفضل مما يستطيع هو. وهذا الإحساس بالقصور يدفعه إلى محاكاة قوى وقدرات الآخرين. وفي بعض الحالات الشاذة قد يحدث أن يثبت الفرد عند هذا المستوى القاصر، أو يصبح غير قادر على محاولة أي شيء جديد، أو قد ينكص إلى مستوى أدنى. وقد تظهر هضبات في نمو الفرد. وهذا أمر طبيعي يحس عنده الفرد بشعور وقتي بالرضا والإرتياح، ولكنه يكون أشبه بمن يستريح ويلتقط أنفاسه لينتقل إلى ما هو أفضل وأكثر كمالاً. وهكذا تسير العملية من مشاعر القصور إلى محاولة تعويض وبذل جهد لبلوغ أهداف جديدة ومستوى جديد (وقد تكون أهدافاً فعلية أو وهمية). وهذا هو جوهر الحياة كما يقول أدلر. فهذا الشعور بالقصور والذي يوجد مع الإنسان منذ بداية الحياة هو الذي يحفظ الإنسان بقاءه وحياته عبر الأجيال.

وفي سياق نظرته إلى القصور العضوي، ذهب أدلر إلى اعتباره حيلة يلجأ

إليها الفرد للتخلص من واجبات قاسية مؤلمة لا يمكنه تذليلها أو القيام بها. ومعنى هذا أن الإنسان يولد ولديه استعداد لضعف عضو من أعضاء الجسم يمكن أن يفيده في مواقف معينة حين تواجهه ضغوط الحياة التي لا يقوى على تحملها. فإذا أعيقت الرغبة في السيطرة فقد يبحث الفرد عن تبرير لضعفه بإعلان مرض العضو الضعيف.

وبعد أن ربط أدلر القصور بالضعف العضوي، ذهب إلى القول بما أسماء «النزوع للرجولة» أو الاحتجاج الذكري Masculine Protest. ولقد جمع أدلر بطريقة ما تفسيره بين القصور والضعف والأنوثة، كما جمع بين القوة والرجولة. فالقصور مرادف في نظره للأنوثة، بينما القوة ترادف الرجولة. ومن المفروض أن كلا من الذكر والأنثى يوجد لديه هذا النزوع للرجولة أو هذا الاحتجاج الذكري ضد الضعف. وهو أيضاً ما نفسر به محاولات الإناث التشبه بالرجال في الزي والتدخين والمطالبة بالمساواة بالرجل في الحقوق السياسية، كما نفسر به أيضاً ما يقوم به بعض الغلمان من محاولة التشبه بالرجال. ولكن أدلر لم يقف عند حد هذا المفهوم المقتضب بل أخضع هذا الرأي لرأي آخر أكثر شمولاً واتساعاً، وهو أن الجنس البشري كله يشعر بالقصور منذ الولادة، وأن هذا القصور غير مرتبط بالأنوثة، وإنما ينشأ من إحساس بعدم الاكتمال أو عدم الإتقان في أي مجال من مجالات الحياة. فمشاعر النقص إذن ليست علامة على الشذوذ، وإنما هي سبب كل ما يحققه الإنسان من تحسن. أما ما قد يحدث من شذوذ فهو بفعل ظروف خاصة يمر بها الطفل كالتدليل الزائد أو القسوة الزائدة.

وهكذا تطور مفهوم القصور عند أدلر فمن القصور العضوي إلى النزوع للرجولة إلى المفهوم العام بأن كل إنسان لديه مشاعر القصور منذ الولادة، وأنهم يبدأون صراعهم مع الحياة ليتغلبوا على هذا القصور ويبلغوا مستويات أعلى من مستوياتهم الراهنة.

٢ ـ السيطرة:

ومن الخطأ معالجة مبدأ السيطرة مستقلاً عن مبدأ القصور. فالمبدآن

مرتبطان ارتباطاً وثيقاً. فالحديث عن أحدهما يستلزم الحديث عن الآخر. ومع ذلك فبسبب نمو مبدأ السيطرة وتطوره في تفكير أدلر، لزم معالجته هنا كمبدأ مستقل، وإن كان من حيث الواقع غير منفصل عن مبدأ القصور.

لقد بدأ أدلر بقبول فكرة فرويد في الجنس كمحرك أساسي في الحياة، ولكنه سرعان ما تحرر من هذه الفكرة وذهب إلى القول في مرحلة من مراحل تفكيره، إلى أن الإنسان حيوان عدواني، وأنه بسبب هذا السلوك العدواني بقي الإنسان على قيد الحياة مما دعاه إلى استنتاج أن العدوان أكثر أهمية من الجنس، ولكنه بعد ذلك انتقل في تفكيره إلى مرحلة تالية. ففي خلال مرحلة النزوع للرجولة، استنبط أدلر خلال علاجه لمرضاه، أن الإنسان ليس مجرد حيوان عدواني، وإنما يهدف إلى بلوغ القوة بمعناها المحسوس، وبمعناها الرمزي أو هما معاً. فكثير من مرضاه الذين قام بعلاجهم كانوا يفتقرون كلية إلى العدوان، ويمكن وصفهم بأنهم كائنات إنسانية عديمة القوة. ومن هنا وصل أدلر إلى أن الإنسان كائن يبحث عن القوة. وقد أشار إلى أن الأمر لا يمت بسبب إلى الحقائق البيولوجية، لأن سيطرة الرجل (في الجماعة) ليست وضعاً طبيعياً، بل إن الذي أوجد ذلك هو العراك العنيف الذي قام بين الجماعة البدائية، وما أدى إليه من توكيل الكفاح إلى الرجال، مما دفع إلى رفع مكانة الرجل وتمجيد شأنه تقديراً لقيامه بواجب الدفاع وشؤون الحرب والكفاح، فالقوة عنده مرتبطة إذن بالرجولة. ولكن أدلر لم يقف عند هذه الفكرة طويلاً، بل انتقل منها إلى المفهوم الذي ظل ينميه خلال بقية حياته المهنية، وهو أن الإنسان يهدف إلى السيطرة وأن الرغبة في السيطرة تبزغ من الإحساس بالقصور أو العجز أو عدم الكفاية. ومن المفهوم الجديد للسيطرة استمر أدلر يشعر أن الرغبة في أن تكون مسيطراً رغبة عامة وخاصية من خصائص شخصية الإنسان.

وهكذا سار تفكير أدلر في تتابع يسير من الجنسية إلى العدوانية إلى القوة إلى السيطرة.

والجدير بالملاحظة أن السيطرة عند أدلر لا تعني فرض السيطرة على الآخرين أو الامتياز الاجتماعي أو الزعامة والمنزلة المرموقة في المجتمع. وإنما

يعني به السيطرة على الذات. وهو أشبه بمبدأ «تحقيق الذات»، فهو عمل من أجل بلوغ الكمال التام أو هو الدفع الأعظم إلى الأمام.

٣ ـ أسلوب الحياة:

أسلوب الحياة هو المبدأ الأساسي الفردي عند أدلر، فهو الذي يفسر لنا تفرد الشخص. ذلك أن الشخص من أجل أن يبلغ السيطرة على مشاعر القصور عنده، فمن الضروري أن يتخذ أسلوباً محدداً في حياته. وهذا الأسلوب المحدد المعين للسلوك والذي يترسمه ألفرد طول حياته هو ما أطلق عليه أدلر اسم «أسلوب الحياة».

(أ) وأسلوب حياة الفرد هو نتاج قوتين: ذات داخلية موجهة، وقوى خارجية بيئية تساعد أو تعوق أو تعيد تشكيل الإتجاه الذي ترغب الذات الداخلية في سلوكه. ويعطي أدلر أهمية عظمى للذات الداخلية. فالحادثة الواحدة قد يستجيب لها شخصان مختلفان إستجابتين مختلفتين. فالإنسان لديه القدرة على تفسير القوى الخارجية وتجنب مواجهة الهزيمة أمامها. فالإنسان لديه «إرادة القوة» ـ بدرجة كافية وليس بدرجة مطلقة ـ بحيث يمكنه أن يهيء وينظم حياته الخاصة. ورغم أن أدلر كان من أوائل الذين اعترفوا بآثار القوى البيئية في إحداث السلوك، وأعطى العوامل الاجتماعية دوراً كبيراً، واهتم بالتنشئة الاجتماعية للفرد ـ إلا أنه لم يقبل وجهة النظر البيئية المتطرفة التي تجعل من الإنسان نتاج القوى البيئية وحدها. فهناك الشيء الكثير الذي يولد مع الإنسان وينمو بداخله ويؤثر تأثيراً كبيراً في أسلوب حياته.

ولكل شخص أسلوب حياته الفريد المميز. وربما ـ كما يعتقد أدلر ـ لا يوجد شخصان على ظهر الأرض يكون لهما نفس أسلوب الحياة والذي هو نتاج قوتين: داخلية تنشأ وتنمو مع الفرد، وخارجية تؤثر بدورها في سلوكه. وطالما أنه لا يوجد شخصان مختلفان يمكنهما أن يشغلا مكاناً واحداً في وقت واحد، فإن البيئة تكون مختلفة إذن بالنسبة لكل منهما؛ وحتى القوائم المتشابهة تتعرض لظروف بيئية مختلفة كذلك. فمع تغير البيئة واختلاف الذوات الداخلية يختلف

أسلوب حياة الأفراد. فلكل شخص أسلوب حياة فريد. إن سلوك الشخص بأسره ينبع من أسلوب حياته[1].

وأسلوب حياة الفرد له صفة تفسيرية بالنسبة لسلوك الفرد وخبراته. فالشخص الذي يدور أسلوب حياته حول مشاعر الإهمال والنبذ والشعور بأنه غير مرغوب فيه، يفسر خبرات حياته المختلفة وفق هذا الأسلوب الذي يعد بمثابة إطار رجعي له. وما لا يتفق وهذا التفسير من أنشطة، فإنه إما أن يغفلها أو يحورها حتى يمكن أن تدخل تحت هذا الأسلوب. فالشخص الذي تركز أسلوب حياته حول مشاعر العدوان والقوة، يعتبر كل عمل تقوم به قوة مضادة، إنما هو تحدي لذاته، بينما كل عمل يتسم بالتعاون والهدوء، هو عمل يكشف عن قوته الذاتية. ففي ضوء أسلوب الحياة يفسر الكثير من سلوك الفرد. فهو إذن عامل تفسيري وعامل يساعد على ربط ألوان السلوك المختلفة بإطار مرجعي واحد.

وأسلوب حياة الفرد يتكون في سن مبكرة من طفولته، قرابة سن الخامسة أو السادسة، ويكون أسلوباً ثابتاً تقريباً. فأسلوب الحياة الذي يقوم على قدرات الطفل الموروثة، واستعماله وتفسيره لهذه القدرات، نادراً ما يتغير في نظر أدلر. أما الذي يتغير - بل ويتغير كثيراً - فهو صورة التعبير التي يتخذها الفرد لبلوغ غاياته المرجوة.

(ب) قد تواجهنا العديد من الأسئلة المتصلة بأسلوب الحياة، منها: كيف ينمي الفرد أسلوب الحياة، وما هي القوى التي تخلق أسلوب حياة ثابت. ولماذا يختلف أسلوب حياة الأطفال الذين يعيشون في ظل أسرة واحدة وحيث تتشابه البيئة إلى حد كبير. إن الإجابة تكمن - جزئياً وفي ناحية منها - في الشعور العام بالقصور الذي يولد به الإنسان، والعمل المستمر نحو تحقيق هدف السيطرة والتفوق. ولكن هذه الناحية تعتبر عامة بين الناس جميعاً. فكيف نفسر الاختلاف والفروق بين أساليب حياة الأفراد. إن هذه الفروق يمكن أن ترد إلى مصادر

---

(١) هول ولندزي: نظرية الشخصية ترجمة د. فرج أحمد فرج وآخرون. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. القاهرة ١٩٧١، ص١٦٨.

مختلفة تكمن في الظروف المختلفة لكل فرد في النواحي البدنية والنفسية والاجتماعية. فالفرد في محاولته التغلب على نواحي القصور الصادرة عن هذه النواحي الثلاثة يبدو مختلفاً عن غيره. فنواحي القصور النفسية والاجتماعية. مثلاً تختلف من شخص لآخر، وكذلك النواحي النفسية والاجتماعية. ومن هنا يكون اختلاف الأسلوب، فأسلوب حياة الطفل العليل يأخذ شكل القيام بالأشياء التي تؤدي إلى القوة البدنية، وأسلوب حياة يأخذ شكل الكفاح من أجل تحقيق التفوق العقلي.

(جـ) من خبرته العلاجية، يرى أدلر أن ثمة عوامل ثلاثة يمكن أن تخلق ـ ما لم تهذب أو تعوض ـ أساليب حياة غير متكيفة إلى حد ما، وهي نواحي القصور البدنية أو العقلية، ثم الطفولة المدللة أو المتسامحة بشكل زائد عن الحد، ثم النبذ والإهمال الشديد في الطفولة. فالطفل المعتل بدنياً قد تكون مشاعر النقص عنده أكثر بكثير مما هي عند السليم. وسواء فشل في تحقيق السيطرة أو استطاع تحقيقها، فإن الأمر الذي لا يمكن إغفاله هو أن علته البدنية كانت الوسيلة الكبرى في تشكيل أسلوب حياته. وقد لا يقوى بعض الأشخاص التغلب على مشاعر النقص البدني طوال حياتهم، ويتخذون أسلوب حياة الهزيمة والضعف في مواجهة مشكلات الحياة؛ على حين يقوى البعض الآخر لتعويض نواحي القصور بقوة، ويبلغون درجة كبيرة من التفوق أكثر مما قد لا نجده عند الأسوياء. وليس ثمة شك أن مثل هذا التعويض للقصور البدني لا يتم بطريقة آلية وبسيطة، بل قد يبذل الفرد جهوداً مضاعفة من أجل بلوغ أهدافه. فالقصور البدني في مثل هذه الحالات يعطي قوة إضافية ونشاطاً تعويضياً لبلوغ هدف ما يؤدي إلى السيطرة والتفوق داخل الذات.

وليست نواحي القصور العقلي بأقل تأثيراً من نواحي القصور البدني، بل قد يكون تأثيرها أقوى، نظراً لما تعطيه المجتمعات الحديثة من أهمية للنواحي العقلية لدى الفرد. ومن هنا يمكن أن نتوقع أن نجد ـ بل ونحن نجد بالفعل ـ أساليب حياة أكثر خطأ لدى ضعاف العقول، منها لدى المعتلين جسمياً. ومهما فعل ضعيف العقل، فإن أسلوب حياته يتحدد في ضوء العجز الذي لديه.

أما درجة السيطرة التي يبلغها نمطا القصور البدني والعقلي، فهي في نظر أدلر تتوقف إلى حد كبير على مقدار التشجيع والتوجيه الواقعي الذي يلقاه الطفل من والديه والمربين ومن لهم تأثير في تنشئته الاجتماعية. ومن المهم أن يكون الأباء نماذج طيبة أمام الطفل. وقد أكد أدلر هذه الناحية كمظهر أساسي في بلوغ الطفل هدف السيطرة والتفوق. ومثل هذا الإتجاه الذي ذهب إليه أدلر ليس غريباً، خصوصاً إذا عرفنا أن أدلر كان من أوائل السيكولوجيين الذين أسسوا عيادات لتوجيه الأطفال، وكان يقوم فيها بتقديم النصائح لمعلمي الشواذ وأهليهم. وقد تعددت تلك العيادات حتى بلغت ثماني وعشرين في فيينا وحدها.

ولقد وجه أدلر اهتماماً كبيراً للقوى البيئية التي يعيش فيها الطفل. فرغم أنه لم ينكر الإستعدادات الغريزية الأساسية للعمل، فإنه أعطى أيضاً إهتماماً للإطار الاجتماعي الذي ينشأ فيه الطفل. فالأسلوب الخاطىء في التربية قد ينتج أنماطاً من السلوك قد تؤثر في أسلوب حياته. فالطفل المدلل طفل معوق نفسياً بالنسبة لحياة تفتقر تماماً إلى السيطرة الحقيقية للذات. فالتدليل الزائد والإستسلام لرغبات الطفل، تحرم الطفل من فرص لا تعوض للتدريب على السيطرة وتحقيقها وإنمائها داخل الذات. وأصابع الإتهام هنا - وفي غيره من الأساليب الخاطئة في التنشئة - موجهة إلى الأباء. فالطفل لا يمكنه أن ينمى بنفسه أسلوب حياته مستقلاً تماماً عن هؤلاء الذين يرعونه ويربونه منذ نعومة أظفاره. فإذا لم يكن أمام الفرد أهداف يكافح من أجلها، وإذا كانت كل الصعاب تذلل له، وترفع من طريقة، فإنه سوف لا يتعلم كيف يتغلب على مشكلات الحياة التي تواجهه بعد ذلك. فالشخصية المدللة في نظر أدلر هي ضحية المجتمع[١].

II ـ الذات الفردية

والذات الفردية عند أدلر هي صاحبة السيادة في بناء الشخصية. إن الإنسان

(١) Ganz M: The psychology of Alfred Adler and the development of the child: Routledge and Kegan Paul 1958.

هو أكثر من مجرد كونه حيواناً لديه استعدادات تخضع لماضيه الغريزي الموروث، كما أنه أيضاً أكثر من كونه نتاج البيئة، إنه مفسر الحياة ومترجمها. وينمي تراكيب الذات من ماضيه الموروث، ويترجم انطباعات حياته اليومية ويبحث عن خبرات جديدة لإشباع رغبته في التفوق والسيطرة، ويصير هذا كله في خلق ذات تختلف عن كل ذوات الآخرين، وتصف أسلوب حياته الخاص. فالذات الخلاقة هي خطوة إضافية وراء أسلوب الحياة. إنها ذات أصيلة مبدعة تخلق شيئاً لا على غرار سابق. تخلق شخصية فريدة فهي إذن ذات خلاقة.

١ ـ الأهداف الوهمية:

رغم اعتقاد أدلر أن الماضي له أهمية بالغة في الحياة النفسية للفرد ـ فمنه ينمو أسلوب حياته وكذلك ذاته الخلاقة ـ، فإن الإنسان تحركه توقعاته للمستقبل أكثر مما تحركه خبرات الماضي. فالمستقبل هو الذي يشكل ما سوف تفعله ذاته الخلاقة في أية لحظة معينة.

ولكن رغم أن الإنسان تحركه حاجات عضوية ومادية كالمأكل والملبس والمأوى، إلا أن هذه الحاجات الأساسية قد تتمثل للشخص بصور وهمية أو رمزية. فالسيارة قد تعني للمراهق أو الشاب شيئاً أكثر من مجرد وسيلة انتقال. فهي رمز التقدير والمباهاة وغيرها من الرموز التي قد تكون ذات أهمية كبيرة بالنسبة للمراهق أو الشاب. وبعبارة أخرى إن الأهداف التي يهدف إليها الفرد قد تكون وهمية. وقد تأثر أدلر في ذلك بفلسفة «كأن» التي قال بها فايهنجر Vaihinger (والتي هي خليط من فلسفة «كومت» الوضعية والبرجماتية وفلسفة شوبنهور وفسلفة مِلْ). فقد اعتقد أدلر أن كثيراً من الأفكار ليست في الحقيقة إلا نوعاً من القصص والأساطير يعمد العقل إلى خلقها ليستعين بها على حل المشكلات التي تعرض له وأنه يتخذ الرموز، بعد أن كانت طريقة للقول ووسيلة للتعبير، غاية في ذاتها يندفع المرء إلى تحقيقها ويعمل على الوصول إليها[1].

---

(١) د. إسحاق رمزي: علم النفس الفردي: القاهرة، دار المعارف ص٩١.

والهدف قد يكون وهماً وخيالاً لأنه بعيد عن الواقع، كما أنه قد يكون بعيد المنال بالنسبة للذات الخلاقة التي تهدف إلى السيطرة. ومع ذلك فلا يمكن فصل هذه الأهداف الوهمية أو عزلها عن أسلوب حياة الفرد وذاته الخلاقة. فالإنسان يسير إلى الأمام نحو السيطرة تجذبه دائماً مثل هذه الأهداف.

وموقف أدلر في هذا الصدد يختلف عن موقف فرويد. فنظرية فرويد تسير حسب مبدأ العلّية. أما نظرية أدلر فتسير حسب نظرية الغائية. فلو كانت الغرائز والقوى الفطرية هي التي تحكم وحدها قياد سلوك الفرد من كل ناحية، لما كان في قدرة المرء أن يعدل من شخصيته ليستجيب لما تتطلبه منه البيئة التي يعيش فيها إلى حد محدود. فمن الواضح أن كل خصائص الفرد، بل شخصيته بأكملها تتكون من الموقف الذي يتخذه إزاء البيئة منذ الطفولة المبكرة. ولا يمكن أن تتكون الشخصية وتنمو، إلا إذا كانت النفس تتجه في نشاطها اتجاهاً غائياً، لأن الغاية التي يسعى نحوها الشخص وينشط لتحقيقها هي العامل الحاسم في توجيهه. فأدلر يصرّ على أهمية الغائية في تفسير جميع الظواهر النفسية. ولا يمكن إلا أن نتصور للحياة النفسية هدفاً تتجه نحوه صفوف النشاط. ورغم أن بعض الغايات تكون وهماً، إلا أنها مع ذلك تكون بمثابة حافز يحفز الفرد لمواصلة بذل الجهد وتحقيق الأهداف التي يهدف إليها. فأدلر بذلك يلح على الدوام في تأكيد أهمية الغائية وحدها. ويفسر كل ظواهر الحياة النفسية تبعاً لذلك على أنها إعداد لبعض المواقف المقبلة، حتى لكأنه من غير المحتمل أن نرى في النفس سوى قوة تعمل نحو غاية. ولهذا ينظر علم النفس الفردي إلى كل ما يصدر عن النفس الإنسانية كأنه موجه نحو هدف معين.

٢ ـ الإهتمام الاجتماعي:

هذا المبدأ الأخير يلقي الضوء على تطور نمو الفكر عند أدلر. فبعد أن نظر إلى الإنسان باعتباره كائناً عدوانياً، انتقل إلى النظر إليه باعتباره متعطشاً للقوة. ثم في ضوء فكرته عن القصور طورّ نظرته إليه ككائن حي يسعى إلى التفوق والسيطرة، بما يكشف عنه من أسلوب حياة ثابت وذات خلاقة. وفي آخر المطاف وسع أدلر من نظرته إلى الإنسان باعتباره كائناً حياً له اهتمامات اجتماعية. وبذلك

هو أكثر من مجرد كونه حيواناً لديه استعدادات تخضع لماضيه الغريزي الموروث، كما أنه أيضاً أكثر من كونه نتاج البيئة، إنه مفسر الحياة ومترجمها. وينمي تراكيب الذات من ماضيه الموروث، ويترجم انطباعات حياته اليومية ويبحث عن خبرات جديدة لإشباع رغبته في التفوق والسيطرة، ويصير هذا كله في خلق ذات تختلف عن كل ذوات الآخرين، وتصف أسلوب حياته الخاص. فالذات الخلاقة هي خطوة إضافية وراء أسلوب الحياة. إنها ذات أصيلة مبدعة تخلق شيئاً لا على غرار سابق. تخلق شخصية فريدة فهي إذن ذات خلاقة.

١ ـ الأهداف الوهمية:

رغم اعتقاد أدلر أن الماضي له أهمية بالغة في الحياة النفسية للفرد ـ فمنه ينمو أسلوب حياته وكذلك ذاته الخلاقة ـ، فإن الإنسان تحركه توقعاته للمستقبل أكثر مما تحركه خبرات الماضي. فالمستقبل هو الذي يشكل ما سوف تفعله ذاته الخلاقة في أية لحظة معينة.

ولكن رغم أن الإنسان تحركه حاجات عضوية ومادية كالمأكل والملبس والمأوى، إلا أن هذه الحاجات الأساسية قد تتمثل للشخص بصور وهمية أو رمزية. فالسيارة قد تعني للمراهق أو الشاب شيئاً أكثر من مجرد وسيلة انتقال. فهي رمز التقدير والمباهاة وغيرها من الرموز التي قد تكون ذات أهمية كبيرة بالنسبة للمراهق أو الشاب. وبعبارة أخرى إن الأهداف التي يهدف إليها الفرد قد تكون وهمية. وقد تأثر أدلر في ذلك بفلسفة «كأن» التي قال بها فايهنجر Vaihinger (والتي هي خليط من فلسفة «كومت» الوضعية والبرجماتية وفلسفة شوبنهور وفسلفة مِلْ). فقد اعتقد أدلر أن كثيراً من الأفكار ليست في الحقيقة إلا نوعاً من القصص والأساطير يعمد العقل إلى خلقها ليستعين بها على حل المشكلات التي تعرض له وأنه يتخذ الرموز، بعد أن كانت طريقة للقول ووسيلة للتعبير، غاية في ذاتها يندفع المرء إلى تحقيقها ويعمل على الوصول إليها[١].

---

(١) د. إسحاق رمزي: علم النفس الفردي: القاهرة، دار المعارف ص٩١.

والهدف قد يكون وهماً وخيالاً لأنه بعيد عن الواقع، كما أنه قد يكون بعيد المنال بالنسبة للذات الخلاقة التي تهدف إلى السيطرة. ومع ذلك فلا يمكن فصل هذه الأهداف الوهمية أو عزلها عن أسلوب حياة الفرد وذاته الخلاقة. فالإنسان يسير إلى الأمام نحو السيطرة تجذبه دائماً مثل هذه الأهداف.

وموقف أدلر في هذا الصدد يختلف عن موقف فرويد. فنظرية فرويد تسير حسب مبدأ العلّية. أما نظرية أدلر فتسير حسب نظرية الغائية. فلو كانت الغرائز والقوى الفطرية هي التي تحكم وحدها قياد سلوك الفرد من كل ناحية، لما كان في قدرة المرء أن يعدل من شخصيته ليستجيب لما تتطلبه منه البيئة التي يعيش فيها إلى حد محدود. فمن الواضح أن كل خصائص الفرد، بل شخصيته بأكملها تتكون من الموقف الذي يتخذه إزاء البيئة منذ الطفولة المبكرة. ولا يمكن أن تتكون الشخصية وتنمو، إلا إذا كانت النفس تتجه في نشاطها اتجاهاً غائياً، لأن الغاية التي يسعى نحوها الشخص وينشط لتحقيقها هي العامل الحاسم في توجيهه. فأدلر يصرّ على أهمية الغائية في تفسير جميع الظواهر النفسية. ولا يمكن إلا أن نتصور للحياة النفسية هدفاً تتجه نحوه صفوف النشاط. ورغم أن بعض الغايات تكون وهماً، إلا أنها مع ذلك تكون بمثابة حافز يحفز الفرد لمواصلة بذل الجهد وتحقيق الأهداف التي يهدف إليها. فأدلر بذلك يلح على الدوام في تأكيد أهمية الغائية وحدها. ويفسر كل ظواهر الحياة النفسية تبعاً لذلك على أنها إعداد لبعض المواقف المقبلة، حتى لكأنه من غير المحتمل أن نرى في النفس سوى قوة تعمل نحو غاية. ولهذا ينظر علم النفس الفردي إلى كل ما يصدر عن النفس الإنسانية كأنه موجه نحو هدف معين.

٢ ـ الإهتمام الاجتماعي:

هذا المبدأ الأخير يلقي الضوء على تطور نمو الفكر عند أدلر. فبعد أن نظر إلى الإنسان باعتباره كائناً عدوانياً، انتقل إلى النظر إليه باعتباره متعطشاً للقوة. ثم في ضوء فكرته عن القصور طوّر نظرته إليه ككائن حي يسعى إلى التفوق والسيطرة، بما يكشف عنه من أسلوب حياة ثابت وذات خلاقة. وفي آخر المطاف وسع أدلر من نظرته إلى الإنسان باعتباره كائناً حياً له اهتمامات اجتماعية. وبذلك

يتجه البحث إلى أثر الجماعة في السلوك. يقول أدلر[1]: «إن الشعور الاجتماعي، بعد الميل إلى القوة، يلعب أهم الأدوار في نمو الخلق. ويتضح وجود ذلك الشعور، كما يتضح الميل إلى الظهور، في ميول الطفل الأولى وخاصة في شغفة بتوثيق صلاته مع غيره، وفي المتعة بما يبدونه نحوه من عطف وحنان».

وهذا الميل الاجتماعي في نظره يتصف بأنه فطري عام بين أفراد الجنس، شأنه في ذلك شأن الغريزة. وهو يحتاج للتعبير عن نفسه إلى الاتصال بالآخرين في الجماعة التي يعيش الفرد بين ظهرانيها. وهذا الاتصال شرط ضروري للكشف عن هذا الميل. فكما أنه يولد من أناس، فكذلك يقوم هؤلاء برعايته في تنشئته. فالإنسان إذن لديه استعدادات لأن يهتم أو يميل إلى غيره من الناس. ويظهر هذا الإهتمام عادة في البيئة الاجتماعية. فالعنصر الاجتماعي إذن بالغ الأهمية في حياة الأفراد. يقول أدلر: «إن دراسة الحياة الواقعية للفرد، تدفعنا إلى تقدير أهمية العنصر الاجتماعي فيها، إذ أن الفرد لا يصير فرداً إلا في مجتمع. وإذا كانت مدارس علم النفس الأخرى تفرق بين ما يسمى سيكولوجية فردية وما يسمى سيكولوجية اجتماعية، فنحن لا نؤمن بهذه التفرقة على أي وجه من الوجوه»[2].

والطفل ينشأ تحت رعاية والديه واهتمامهما، وكذلك المحيطين به في الأسرة فهم يرعونه ويطعمونه وينظفون جسمه ويدخلون عليه الإرتياح عند الإحساس بالألم. وكل ذلك من شأنه أن يحدث في الطفل انطباعاً أن العالم الذي يعيش فيه عالم طيب. وأن الواحد فيه يساعد الآخر ويهتم به. وهذه التنشئة الاجتماعية تعتبر بالغة الأهمية لنقل هذا الكائن الحي من كائن حيواني إلى كائن إنساني اجتماعي يعيش في مجتمع يتأثر به ويؤثر فيه.

وعملية التنشئة الاجتماعية تستغرق وقتاً طويلاً وتبدأ منذ الأيام الأولى في حياة الطفل داخل المنزل. والواقع أن عملية التنشئة الاجتماعية ليست بالمشكلة

---

(1) Adler A: Understanding Human Nature, Fawcett Publications Inc. Greenwich Inc. 1954.

(2) Adler A. The Science of Living. Messrs George Allesa Unwin.

الهينة السهلة، كما أنها تحتاج إلى فترة طفولة طويلة تتم خلالها. وكلما تعقدت الثقافة زادت مشكلات التربية. ولذلك وجه أدلر اهتماماً كبيراً بمشكلات الأطفال وأنشأ العيادات النفسية لتوجيه الأطفال والآباء من أجل تنشئة اجتماعية سويّة. ومن خلال عملية التنشئة الاجتماعية السويّة يمكن للطفل السيطرة على ميوله العدوانية والتعطش الزائد إلى القوة وتوجيه رغبات التفوق في مسالك اجتماعية ونفسية مقبولة. وبذلك تتم عملية التكيف السويّ مع المجتمع الذي يعيش فيه.

ولا تتوقف التنشئة الاجتماعية عند حدود المنزل، بل إن المدرسة تلعب دوراً هاماً في هذا الصدد[1]: فهي البيئة التي ينتقل إليها الطفل والتي تستمر فيها عملية التنشئة على نطاق أوسع، ويلعب المربون دوراً لا يقل أهمية عن دور الآباء في هذا الصدد. ومن الملاحظ أن محيط الطفل مع النمو يأخذ في الاتساع. فبدلاً من التكيف مع محيط الأسرة الضيق، فإنه يتكيف مع محيط الزملاء والرفاق، وهو محيط أوسع بكثير من محيط الأسرة. ويساعد حسن التوافق في هذا المجال على حسن التوافق مع العالم الخارجي الكبير في ما بعد.

وفي المدرسة يشعر الطفل أن كل شيء قد أعد لمصلحته. المدرسون يربونه ويرعونه، كما أن فرص التعاون وتكوين علاقات متبادلة مع الآخرين والتوحد بالجماعة والتعاطف، كل ذلك يجده الطفل داخل جدران المدرسة، وفي علاقته بمدرسيه وزملائه مما يقوي عنده الميل الاجتماعي والإهتمام بالآخرين.

ومن خلال التربية الاجتماعية في البيت والمدرسة يتعلم الطفل الكثير من العادات الاجتماعية. يتعود أن يكون نافعاً للجماعة التي يعيش فيها، يتعود ضبط النفس وعدالة التقدير واحتمال الأخطاء وتحمل الهزيمة بروح طيبة، وهي كلها صفات تنميها أجواء البيت والمدرسة من أجل إعداد الطفل إعداداً طيباً للمجتمع الكبير.

وقد ألح أدلر في الحديث عن الميل الاجتماعي حتى نسب إليه نشوء التفكير

---

(1) Way, Lewis. Alfred Adler: An introduction to his Psychology Penguin Books, 1956.

والعقل والمنطق والأخلاق والجماليات. وقال إنها جميعاً أمور لا تنشأ إلا في المجتمع، وأنها في نفس الوقت روابط بين الأفراد. فهي تحفظ الحضارة من التحلل. «ذلك أن كل الكفايات الإنسانية لا يمكن أن تنمو وتنضج إلا من خلال اهتمامنا برفاقنا في المجتمع، وليست اللغة أو الكتابة سوى جسر الوصول إلى غيرنا من الناس. كما أن التفكير من الأمور المشتركة بينهم جميعاً، وليست وظيفة مستقلة في كل واحد منهم، لأن فهم الأمر هو فهمه على الوجه الذي يخيل إلينا أن الناس جميعاً يفهمونه عليه[1].

(١) د. إسحاق رمزي: علم النفس الفردي: القاهرة، دار التعارف ص ١١٤.

الفصل الثالث

نظرية الشخصية عند يونغ (١٨٧٥ ـ ١٩٦١)

كارل جوستاف يونغ طبيب نفسي سويسري. اهتم بأعمال فرويد ونظريته بعد قراءة كتابه في «تفسير الأحلام» عقب نشره مباشرة عام ١٩٠٠. وبدأ يراسل فرويد بانتظام سنة ١٩٠٦، ثم زار فرويد وجماعة الأربعاء بفيينا سنة ١٩٠٧. وتصادق الرجلان ونظر إليه فرويد على أنه أحد زعماء حركة التحليل النفسي وخليفته. وقد رافق يونغ فرويد في زيارته إلى أمريكا عام ١٩٠٩ لإلقاء محاضرات بجامعة كلارك، وعاد مرة أخرى لأمريكا لإلقاء محاضرات إضافية. وعندما أسس الاتحاد الدولي للتحليل النفسي سنة ١٩١٠، نصب يونغ أول رئيس للإتحاد رغم معارضة جماعة فينا، وكان أغلبهم من اليهود الذين كانوا يرون الإحتفاظ برئاسة هذه الحركة بأيديهم. ولكن فرويد تمكن من التغلب على مقاومتهم، وأختير يونغ لهذا المنصب. غير أن العلاقة بدأت تفتر بين الرجلين بعد ذلك بفترة وجيزة وربما كان سبب ذلك اختلاف وجهات النظر، ورفض يونغ الأخذ بمبدأ الجنسية الشاملة عند فرويد كمبدأ لتفسير كل مظاهر السلوك، وكذلك آراءه في بعض المفاهيم التي وضعها فرويد كالليبيدو. وقد انقطعت المراسلات بينهما منذ ١٩١٢، وانسحب يونغ من الإتحاد الدولي للتحليل النفسي عام ١٩١٤ وأسس لنفسه مدرسة خاصة به. وأصبح منهجه في التحليل والعلاج النفسي يعرف باسم علم النفس التحليلي Analytical Psychology. ولم يتقابل الرجلان بعد تلك السنة قط.

وسوف نقصر دراستنا هنا على نظرية يونغ في الشخصية من ناحية بنائها

ودينامياتها ونموها دون التعرض لمنهجه التحليلي كتداعي الكلمات أو تحليل الحلم وغيرها، رغم أهمية ذلك بالنسبة لعمله.

ويمكن أن نلقي نظرة على الإتجاهات الأساسية عند يونغ. فعلى الرغم من أن نظرية يونغ للشخصية تعتبر عادة نظرية في التحليل النفسي بسبب توكيدها للعمليات اللاشعورية، إلا أن ثمة اختلافاً جوهرياً بينها وبين نظرية فرويد. فعلى حين يؤكد فرويد الرابطة الوثيقة بالماضي، فإن يونغ يؤكد الحاضر كعامل أساسي في تفسير سلوك الفرد. ولم يكتف يونغ بتوكيد الحاضر فحسب، بل أعتقد أيضاً بضرورة النظر إلى المستقبل. فمستقبل الفرد ومقاصده يعد في نظر يونغ له أهمية كبيرة في توجيه سلوك الإنسان، كأهمية الماضي تماماً. ومن هنا يمكن القول بأن السمة البارزة في نظرية يونغ والأكثر تمايزاً، هي جمعه بين الغائية والعلّية. فسلوك الإنسان ليس مشروطاً فحسب بتاريخه الفردي والعنصري (العلّية)، بل وكذلك بأهدافه وبمختلف ضروب طموحه (الغائية)؛ وكل من الماضي كدافع، والمستقبل كإمكان، يقود سلوك الفرد في الحاضر. إن نظرة يونغ إلى الشخصية نظرة إلى المستقبل، بمعنى أنها تنظر إلى الإمام متطلعة إلى مستقبل نمو الشخص وإلى تطوره؛ كما أنها نظرة إلى الخلف، بمعنى أنها تأخذ الماضي في اعتبارها. وكما عبر يونغ نفسه عن هذه النظرة «إن الإنسان تحركه الأهداف بقدر ما تحركه الأسباب»(١).

وقد انعكست هذه النظرة في أسلوبه في العلاج الذي أخذ يقلل من الإهتمام بماضي الفرد، وتوجيه الإهتمام أكثر وأكثر نحو حاضره وأهدافه المستقبلة. كما نظر إلى الإنسان باعتباره أكثر قدرة على الإبداع، وأنه أقل سلبية في موقفه بالنسبة للتأثيرات البيئية من فرويد ولذا فإن سيكولوجيته ونظرته إلى الإنسان أكثر تفاؤلاً.

ويمكن أن نشير إلى أهم المبادىء الأساسية التي تقوم عليها نظرية يونغ في الشخصية.

---

(١) هول ولندزي: نظريات الشخصية ترجمة د. فرج أحمد فرج وآخرون. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١، ص١٠٩.

I ـ المبادئ الأساسية

١ ـ مبدأ القطبية :

من الأفكار الهامة التي اقتنع بها يونغ أن العالم ـ وربما الكون بأسره أحياء وجمادات ـ قد وجد بسبب التعارض القائم بين الأشياء. فهناك دائماً ـ ويجب أن يكون هناك دائماً ـ تعارض. والتعارض يستدعى الصراع. والحياة بدون صراع لا تساوي شيئاً. فالصراع هو المادة الخام الأساسية للحياة. وهذا الصراع هو الذي يدفع إلى الأمام ويحدث التقدم. وبدون الصراع لا يحدث شيئاً. فالتقدم والحركة وتغير الأوضاع كلها تكون ممكنة فقط تحت ظروف الضغط. والرغبة في إزالة الضغط عن طريق القوة المضادة هي التي تجعل الشيء الأصلي يتحرك في صورة عمل. فالتعارض والصراع والضغط الناتج وإزالة التوتر هي أشياء لا بد منها لتقدم العالم الذي نعيش فيه. وهناك تعارضات كثيرة في هذا الوجود على نحو ما يتجلى لنا مثلاً بشكل محسوس في الصدام الذي يحدث بين قوتين كبيرتين في حالة حرب. وهذا يوضح لنا وجود كميات حقيقية واقعية في حالة تعارض.

وعلى عكس نظرة فرويد إلى الشخصية، فإن يونغ يقترح نهاية سعيدة لقصة التعارض هذه. فهناك حالة توازن تحدث بين هذه القوى المتعارضة. حقيقة إن التوازن الحقيقي يكون قصير الأمد، ولكنه مع ذلك دليل على حدوث تقدم. لقد اقترح يونغ أساليب ثلاثة تتخذها النفس لحل صراعاتها هي التعويض والإتحاد والتعارض.

(أ) أماالتعويض فهو عندما تشعر الشخصية بأنها في حالة صراع نتيجة عجزها من تحقيق هدف مرغوب فيه، فإنها قد تبحث لها عن أهداف أخرى لها نفس الجاذبية ويترتب على تحقيقها بإزالة هذا الصراع. وهذا التعويض يحرك الشخصية ويدفعها إلى الأمام نحو موقف جديد، رغم أنه قد لا يكون هو الموقف الأصلي الذي تهدف إليه. المهم في نظر يونغ أن الشخصية قد فعلت شيئاً وتحركت بعيداً عن الموقف الذي أحدث عدم تحقيقه صراعاً. وقد لا يكون للفعل الرمزي نفس قوة الفعل المادي وأهميته في عملية التعويض. فالحلم بتحقيق شيء

ما والسيطرة عليه ـ رغم أهمية الحلم كظاهرة سلوكية في نظر يونغ ـ ليس فعلاً تعويضياً حقيقياً.

وقد يظهر التعويض بين الإتجاهات والوظائف المختلفة للشخصية. فقد يظهر التعويض بين الإنطواء والإنبساط. فإذا كان الإنطواء هو السائد في الأنا الشعوري، فإن اللاشعور يقوم بعملية تعويض وتقوية الإنبساط المكبوت. فإذا أحبط الإنطواء بشكل ما، أحكم الإنبساط قبضته على الشخصية وفرض نفسه عليها. وكذلك الحال بالنسبة للوظائف. فالشخص الذي يكون من النوع الفكري الوجداني في عقله الشعوري، يكون نمطه اللاشعوري من النوع الحسي ـ الحدسي. وعلى كل حال، فإن التعويض الناتج عن الصراع يفيد في نظر يونغ إذ يعين على دفع الشخصية إلى التقدم وإلى الأمام.

(ب) أما الأسلوب الثاني وهو الإتحاد، فقد تتحد قوتان معاً للبحث عن حل مناسب لكليهما. والإتحاد أو الوحدة تؤدي إلى التقدم. فعندما يتدخل شخص في صراع أو نزاع بين فردين من أسرة واحدة، فقد يتحول النزاع بينهما إلى نزاع مع الشخص الآخر الذي يتدخل لفض النزاع بينهما، أي أنهما يتحدان معاً ضد هذا الشخص المتدخل. وما أن يسود الوئام بين الطرفين المتنازعين، فإن الطاقة المكبوتة تكون قد استنفدت واستهلكت في قوة ثالثة. وقد نجد ذلك أحياناً بين الأمم حين تتحالف دولتان متصارعتان من أجل مواجهة عدو ثالث يتربص بكلتيهما. وباختصار، فإن اتحاد القوى المتصارعة قد يكون سبيلاً لحل الصراع.

(جـ) أما الأسلوب الثالث من الفعل الذي يؤدي فيه التعارض إلى الحركة واحتمال التقدم، فيمكن أن يتمثل جيداً في المنافسة بين تلميذين من أجل الحصول على أعلى تقدير في الامتحان، فقد يؤدي الصراع بينهما إلى حفز كل منهما على العمل وأن يصل إلى ما وراء مجرد التعلم للمادة الدراسية.

وفي ضوء مبدأ القطبية، أمكن ليونغ دراسة الجوانب المختلفة التي رأى أنها تكمن في الشخصية الإنسانية والتي تخضع لهذا المبدأ. ويرتبط مبدأ القطبية بمبدأين آخرين هما مبدأ التعادل ومبدأ الإنتقال.

* **مبدأ التعادل**: وهذا المبدأ مستمد من مجال الطبيعة ويعرف باسم المبدأ الأول للديناميكا الحرارية. ويسمى أحياناً بمبدأ حفظ الطاقة. فالطاقة التي تستخدم لتغيير حالة شيء ما، لا تختفي، ولكن سوف تعود إلى الظهور وبصورة أخرى في شيء آخر. وهذا المبدأ على نحو ما يستخدمه يونغ في الوظيفة النفسية يقرر أنه إذا ضعفت قيمة معينة أو اختفت، فإن مجموع الطاقة التي تمثلها هذه القيمة لن تفقدها النفس، وإنما تعود إلى الظهور مرة أخرى في قيمة جديدة. فانخفاض قيمة ما يعني بالضرورة رفع قيمة أخرى. والرغبة في التحول من نشاط واحد، قد توجه إلى أنشطة أخرى مختلفة. ولكن ماذا يحدث عندما نكبت الرغبة. هذا السؤال هام بالنسبة ليونغ، لأن منه تصدر الحياة الرمزية للإنسان والتي خلالها يحلم الفرد أي يوجه أنشطته في الخيال نحو هدف مرغوب فيه. فالطاقة المحفوظة يعاد توجيهها نحو الشيء المرغوب فيه خلال عالم الحلم، سواء كانت أحلام نوم أم أحلام يقظة. فالإنسان يستطيع أن يحلم طريقه الذي يسلكه نحو حل صراعاته.

* **مبدأ الإنتقال**: وهذا هو المبدأ الثاني المستمد من مجال الطبيعة وهو ما يعرف باسم المبدأ الثاني للديناميكا الحرارية، وهو يقرر أنه عندما يوصل جسمان تختلف درجة حرارتهما، فإن الحرارة تنتقل من الجسم الأعلى درجة إلى الجسم الأقل درجة. المهم أن يكون الجسم من نفس النوع أو نفس النمط، كالإنسان والإنسان أو الحيوان والحيوان والمعدن والمعدن، وعندما تكون الأجسام متصلة، فإن الجسم الأعلى شحنة يفقد بعض شحنته إلى أن يتساوى الجسمان بالنسبة للخصائص المتبادلة، فمقداران من الماء على مستويين مختلفين سوف يتساويان من حيث المستوى عندما يوصل أحدهما بالآخر. والحالة التي تنتج عن ذلك هي فقد الطاقة عندما يبلغ الجسمان حالة التوازن. ولكن عند تطبيق هذا المبدأ الطبيعي على ديناميات الشخصية، يلزم تقديم اتساعات أخرى للنظرية، فالشخصية ليست نظاماً مغلقاً تماماً. ولذا فلن تبلغ الشخصية حالة التوازن التام داخل الفرد الواحد بالنسبة لنشاطين، أو حالة توازن حقيقي بين شخصين. ورغم أن حدوث التوازن التام صعب تحقيقه، لكون الإنسان نظاماً مغلقاً جزئياً يخضع لتأثيرات داخلية وخارجية، فإنه كلما اقترب من تحقيق ذلك، أصبح أقرب إلى الطمأنينة والأمن.

وفي ضوء مبدأ القطبية وما يرتبط به من مبدأي التعادل والإنتقال، يفسر يونغ الكثير من الظواهر والنظم التي تظهر واضحة في الشخصية. فهناك العلّية ضد الغائية، والإعلاء ضد الكبت، و«الأنيما ضد الأنيموس»، والحاجات العضوية ضد الحاجات الثقافية، والطاقة المادية ضد الطاقة النفسية، والوظائف العليا ضد الوظائف الدنيا، والشعور ضد اللاشعور، واللاشعور الشخصي ضد اللاشعور الجمعي، والتقدم ضد النكوص، والإنبساط ضد الإنطواء، وفي ضوء هذا كله، فإن مبدأ القطبية يعد من المبادىء الهامة التي تفسر سيكولوجية يونغ، وبه يرتبط كثير من الظواهر الهامة التي درسها يونغ في بناء الشخصية ونموها ودينامياتها.

٢ ـ تحقيق الذات:

ولعل الهدف الأساسي من نمو شخصية الفرد هو تحقيق ذاته، ولقد كان يونغ من النوع المتفائل بالنسبة للإنسان ومستقبله. ورغم أنه اطلع بعمق على الكثير مما كتب وقيل عن ماضي الإنسان سواء في الميثولوجيا أو علم النفس، إلا أن اهتمامه الأساسي كان منصباً على دراسة مستقبل الإنسان. لقد وجد المستقبل حسناً، فهو أفضل من الماضي. وجميع الدلالات تشير إلى أن مستقبل الإنسان سوف يظل يتحسن عما كان عليه في الماضي. فالرجل الحديث في نظره قد تقدم كثيراً عما كان عليه الرجل البدائي. وليس ثمة ما يدعو إلى الشك أن الإنسان سوف يتغلب على الكثير من مشكلات الحياة التي واجهته في الماضي كمشكلة الجوع والفقر والمرض، وأن يصل إلى أسباب السعادة في كثير من أمور الحياة.

والتحسن التدريجي للإنسان لا يصدر عن جهد جمعي كتلي، وإنما يصدر فقطُ من خلال تحسن الشخصية الفردية. والإنسان يعمل في إتساق مع غيره من الأفراد أساساً من أجل السعادة ومن أجل التعاون المتبادل. وتوكيد يونغ في هذا الصدد كان يتركز أكثر على الشخصية الفردية. فكيف تصل شخصية الإنسان إلى أعلى مستوى من تحقيق الذات. وما هي المكونات الأساسية لنظام الشخصية التي عليه أن يستخدمها وكيف يعمل على استخدامها؟.

أما في ما يتعلق بمكونات تحقيق الذات، فإن الشخصية تتكون من أجزاء أو

نظم متعددة هي الأنا والذات وحالات الشعور واللاشعور والوظائف والقناع واتجاهات الإنطواء والإنبساط ونظم الطاقة النفسية والجسمية، وعلى قمة هذا كله توجد الذات. ويستعمل يونغ لفظ «نفس psyché» مرادفاً للفظ الشخصية. وأعلى مستوى للتفاعل داخل النفس هو الذات. وهذا يدعونا إلى دراسة بناء الشخصية ومكوناتها عند يونغ بما يلقى الضوء على نظريته في الشخصية.

II ـ بناء الشخصية

لقد قدم هول ولندزي في كتابهما نظريات الشخصية صورة واضحة عن البناء النفسي أو بناء الشخصية عند يونغ في قولهما: إن الشخصية الكلية أو النفس كما يسميها يونغ تتكون من عدد من الأنظمة المنفصلة ولكنها متفاعلة مع ذلك في ما بينها. وأهم هذه الأنظمة هي: الأنا واللاشعور الشخصي وعقده، واللاشعور الجمعي وأنماطه الأولية، والقناع والأنيما أو الأنيموس وأخيراً الظل. وبالإضافة إلى هذه الأنظمة المترابطة في ما بينها، توجد الإتجاهات الإنطوائية والإنبساطية ووظائف التفكير والوجدان والإحساس والحدس. وأخيراً توجد الذات التي هي الشخصية المكتملة النمو والمكتملة الوحدة.

وسوف نعرض باختصار لهذه المكونات الأساسية للشخصية:

١ ـ الأنا Ego:

مفهوم الأنا عند يونغ يشمل نفقط الأنشطة العقلية الشعورية للإنسان. إنه العقل الواعي في صلته بالواقع، ويتكون الأنا من المدركات الشعورية والذكريات والأفكار والوجدانات. فالأنا مسؤول عن العمليات الشعورية كالتفكير والإدراكات وإحساسات التوحد في العالم الذي نعيش فيه. وعن طريق الأنا يعرف الإنسان نفسه، بل هو خير ما يعرفه الإنسان من مكونات شخصيته، ويعمل على مستواه في حياته اليومية. فالأنا هو الذي يوقظه وينبهه، وهو الذي يذكره بالأشياء التي يجب عليه القيام بها، وهو الذي يتخذ له القرارات الهامة في حياته اليومية. والأنا في نظر يونغ، يوجد في مركز العالم الشعوري للفرد، ولكنه بسبب ذلك، قد

يدخل في صراع مع العالم اللاشعوري. فالناس الذين يحيون أساساً على مستوى الأنا الشعوري، يحسون بالغضب لفكرة أن جزءاً من أنفسهم أو شخصياتهم يوجد في خارج مستوى الشعور، وهذا يمكن تفسيره في نظر يونغ. فالشعور واللاشعور متعارضان، والفرد الموجه شعورياً بشكل أساسي، يشعر بالضيق والإستياء من تدخل اللاشعور وتطفله.

فهو يحس أن ذلك ضعف أو نقص في الحقيقة على نحو ما يعرفها في عالمه الشعوري ومع ذلك يقوم اللاشعور بمحاولات ليعبر بها عن نفسه من خلال الأحلام والتفكير الاجتراري والاعتماد على الرمز، ويكون الصراع أحياناً قوياً بين الشعور واللاشعور، فكلما زاد إنكار الأنا الموجه شعورياً لفكرة اللاشعور، زادت محاولة اللاشعور لإثبات وجوده. وأخيراً تمهد الأنا السبيل لظهور الذات، والتي تمثل في نهاية الأمر ذروة البناء، والتي تستخدم كل من الحالات الشعورية واللاشعورية عند الفرد. فالذات هي وريثة دور الأنا القديم.

٢ ـ اللاشعور الشخصي Personal Unconscious :

الخبرات التي يمر بها الفرد لا تنسى أو تختفي تماماً، وإنما تصبح بدلاً من ذلك جزءاً من لاشعوره الشخصي. وهذا الشعور الشخصي هو مستودع خبرة الفرد. ومن هنا فإن لكل فرد «لا شعوره الشخصي» الذي يختلف عن «اللاشعور الشخصي» للفرد الآخر. والخبرة التي تدخل اللاشعور الشخصي إما أن تكون قد كبتت لا إرادياً، أو قمعت إرادياً، باعتبارها ذكرى مؤلمة تسبب الاضطراب للأنا، أو أنها من الضعف بحيث لم تترك أي انطباع شعوري في النفس. واللاشعور الشخصي منطقة مرتبطة بالأنا. ولهذا فهناك تبادل وحركة بين الأنا واللاشعور الشخصي. ومن الممكن استحضار الكثير من مادة اللاشعور الشخصي إلى الشعور لتساعد الفرد في حياته اليومية. ولكن ـ كما هو الحال بالنسبة للكبت عند فرويد ـ قد يصبح الفرد عاجزاً أحياناً عن استحضار الأفكار المكبوتة. ورغم ذلك فتيار الإنتقال حر بين الشعور واللاشعور الشخصي. ويرى يونغ أن الفرد لا يقدر تقديراً كاملاً قيمة اللاشعور الشخصي في حياته اليومية.

٣ ـ العقد Complexes :

ما أن يباشر الإنسان حياته ويجمع خبراته من مجالات متعددة، حتى تبدأ تتكون محاور أو نواة أو تجمع من الذكريات والوجدانات والأفكار والمشاعر حول ظواهر معينة. وهذه المحاور الرئيسية للخبرة هي التي تعرف باسم العقدة. ومن أمثلتها عقدة الأم، وعقدة الأب، وعقدة القوة، أو أي نوع من العقد التي لها محور رئيسي من الخبرات يكون من القوة لدرجة يبقى في مجال الأنا. وكما تنشأ هذه العقد من الخبرات المتكررة المشبعة والقوية لدرجة تترك آثارها في الأنا، فإنها تحقق بالمثل وظيفة أخرى هي جذب وتفسير خبرات جديدة حول العقدة التي سبق أن تكونت. وهذا ما يسميه يونغ باسم «قوة تجمع العقدة». فمثلاً الناس الذين لديهم عقدٌ تتركز حول الحياة الخلوية والمعيشة البدائية البسيطة، قد ينحرفون ويشكلون أية خبرة لتفسيرها في ضوء عقدة «قيمة الحياة الخلوية».

وفي معظم الأحيان توجد العقدة ونواتها الرئيسية في اللاشعور الشخصي. والفرد لا يكون على معرفة تامة بأنه يفسر أو يستخدم الكثير من الظواهر العرضية الغريبة في خدمة عقدته. ومع ذلك، فقد توجد العقدة في مستوى الأنا الشعوري. وغالباً في مثل هذه الأحوال، قد يبرر الفرد تفسيره النمطي للأحداث في ضوء عقدته وبخاصة إذا كشف له عنها آخرون من ذوي العقلية غير المعقدة. ومع ذلك، ففي أغلب الأحيان، فإن العقدة سوف تفيد من الخبرة المشابهة أكثر مما تفيد من الخبرة المتنافرة. والأشخاص الذين لديهم عقدٌ من نفس نمط قوة التجمع، غالباً ما يتجمعون معاً في تنظيمات واحدة.

وقد يعاون اللاشعور الشخصي اللاشعوري الجمعي أحدهما الآخر في استخدام الفرد للعقد. وليس من النادر أن يعيد اللاشعور الشخصي بعض يقظة الأنماط الأولية القديمة والموجودة في الماضي البعيد الذي ينتمي إلى اللاشعور الجمعي. فالحياة الخلوية أو الحياة في المعسكرات قد تكون امتدادات لوجود الإنسان القديم على ظهر الأرض. وبالمثل؛ فإن حياة الصيد والقنص قد تقوي هذا النمط الأولي على نحو ما جاء إلينا عبر الأجيال عن طريق اللاشعور الجمعي. فأحدهما يعطي العقدة «خلفية» من الإمكانات الموروثة، بينما الآخر يثري على

خلفية ويعدها للأجيال المقبلة التي قد ترث هذا النمط الأولي. ويجب أن نتذكر أن اللاشعور الشخصي هو ماضي الفرد على نحو ما خبره بالفعل في حياته. فإذا لم تكن هناك مُثلٌ أو خلفيات لخبرة الحياة الخلوية، فإنه من الصعب إذن أن نوقظ من جديد الخبرات الأولية. حتى ولو كانت هذه الخبرات قد كمنت في اللاشعور الجمعي كأنماط أولية.

٤ ـ اللاشعور الجمعي Collective Unconscious :

واللاشعور الجمعي من السمات المميزة لنظرية يونغ في الشخصية. وقد أثار هذا المفهوم الكثير من الجدل بين علماء النفس، فكما سلم يونغ باللاشعور الشخصي الذي تختزن فيه الخبرات التي تمر بالفرد. كان من المنطقي أيضاً أن يسلم بوجود «لا شعور جمعي» تختزن فيه الخبرات الماضية المتراكمة عبر الأجيال، والتي مرت بالأسلاف القدامى والعنصر البشري عامة. فما دام الفرد يمكنه أن يختزن خبرته في لاشعور شخصي، فما الذي يمكنه أن يختزن خبرات الجنس البشري في لاشعور أوسع وأبعد غوراً نسميه باللاشعور الجمعي. فالإنسان يجمع خبرات الأجيال ويختزنها ليستفيد منها إذا وجدت الفرصة لذلك. وما دام الإنسان لم يتغير تغيراً جوهرياً على الأقل من حيث تكوينه العضوي البيولوجي، فمن المعقول أن معظم خبراته الماضية يمكن أن تعاد. فالإنسان لا يزال يمر بخبرات مماثلة في الأكل والنوم والحصول على الطعام، والولادة، وحماية النفس من الأخطار. وقد اختزنت الأجيال الماضية خبرتها لتنقلها إلينا، ونحو تنقلها بدورنا إلى الأجيال المقبلة.

وإذا كان الإنسان ينقل مهاراته وخبراته واتجاهاته وعاداته لأولاده، وهؤلاء بدورهم ينقلونها إلى أبنائهم وهكذا، فإن من الطبيعي أن يهتم يونغ بوسيلة الإنتقال. إن الإنتقال المباشر وحده من جيل لآخر ليس يكفي لنقل هذه الأفكار والخبرات المتراكمة، لذا كان من الطبيعي أن يعطي يونغ أهمية كبيرة إلى الوراثة. ولذا فهو يذهب إلى أننا نرث «خبرات» الأجداد وخبرات الجنس البشري المتراكمة. وهذه الخبرات، أو بمعنى أدق إمكانات وجود نفس النظام من خبرات

الأجداد والعنصر البشري، هي التي تورث في شكل أنماط أولية. وهذا النمط الأولي هو ذاكرة العنصر التي أصبحت جزءاً من إرث الإنسان بفضل تكرارها على نظام عام شائع عبر الأجيال.

فاللاشعور الجمعي يحوي إذن كل الخبرات الإنسانية المتراكمة من الماضي السحيق والتي يمكن الرجوع بها إلى مرحلة ما قبل الإنسان، بشرط أن تكون هذه الخبرات قد تكررت مرات عديدة، وتركت آثارها في مخ الإنسان. فهو إذن عام بين أفراد الجنس.

واللاشعور الجمعي هو الأساس العنصري الموروث للبناء الكلي للشخصية. فعليه يبنى الأنا واللاشعور الشخصي وجميع المكتسبات الفردية الأخرى. فكل ما عليه الإنسان في حاضره، قد أرسيت أسسه في اللاشعور الجمعي. ومهما فعل الإنسان في عالمه الحديث، فإنه يشيده وفق أنماط معينة مضت واختزنت في اللاشعور الجمعي. وهذا ما يوضح لنا الكثير جداً من الأشياء المشتركة بين الإنسان البدائي القديم والإنسان الحديث. فالإنسان عبر الأجيال المتعاقبة، لديه الاستعداد لعبادة القوة والسيطرة، على نحو ما يظهر في الحروب بين الأمم، ومثل هذه الظواهر العامة الشاملة لا يمكن أن تنتقل عبر الأجيال عن طريق العادة والقانون فقط. بل إن الإنسان يرث هذه الأنماط، أو بمعنى أدق يرث الاستعداد للقيام بهذه الأنماط. وعمومية بعض هذه الأنماط اللاشعورية ترجع إلى التدعيمات المنكرة في الماضي ابتداء من حياة الحيوان حتى وصلنا إلى حياة الإنسان الحالي. والإنحرافات القليلة نسبياً عن نمط اللاشعور الجمعي، تعد حالات مرضية يكون فيها تعارض بين الأنا واللاشعور الشخصي وبين اللاشعور الجمعي. وبسبب قوة اللاشعور الجمعي وكونه كلي الوجود، فإن أي انحراف كبير عنه، يسبب شذوذاً وانحرافاً في النفس. والتحدي القوي للاشعور الجمعي، سوف يترتب عليه فقدان الإحساس بالسعادة عند الفرد. إن حب الأم لا يصل عن طريق المثال، ولكنه يورث من الماضي عبر الأجيال عن طريق اللاشعور الجمعي. والإنسان يرث أيضاً نفس الميل فإذا أغفل هذا الميل أو لم يعمل على تدعيمه في لاشعوره الشخصي، فسوف يصبح ضحية التوتر والضغط الوجداني.

* والأنماط الأولية هو الاسم الذي أطلقه يونغ على المكونات البنائية للاشعور الجمعي. وقد قدم يونغ لها أسماء أخرى مثل «الصور الأولية البدائية» و«الصور الأسطورية» و«أنماط السلوك». وقد سمي يونغ وبعض مساعديه أسماء عدد قليل من الأنماط الأولية، وذهب إلى أن هناك أنماطاً أولية كثيرة لم يتعرف عليها ولم يسمها، وكلها تلعب دوراً كبيراً في تكوين شخصية الإنسان. ومن الأسماء القليلة التي أعطاها يونغ للأنماط الأولية نذكر: الله، الشيطان، الأم، الميلاد، الموت، التناسخ أو الحياة بعد الموت. نهاية العالم، والنمط شكل فكري مشاع وعام يتضمن قدراً كبيراً من الإنفعال. وهذا الشكل الفكري يخلق صوراً أو رؤى تتشابه في حياة اليقظة العادية مع بعض جوانب الموقف الشعوري. فالنمط الأولي للأم مثلاً ينتج صورة لشخص الأم. وبعبارة أخرى إن الطفل يرث تصوراً ذهنياً عن الأم عامة وهذا يحدد ـ إلى حد ما ـ كيف يدرك الطفل أمه هو. كما أن إدراك الطفل يتأثر بطبيعة الأم والخبرات التي تربط الطفل بها. ومن هنا، فإن خبرة الطفل هي نتاج مشترك لاستعداد داخلي لإدراك العالم بصورة معينة، والطبيعة الفعلية لهذا العالم. وهذان المحددان غالباً ما يتفقان، لأن النمط الأولي نفسه هو نتاج الخبرات العضوية بالعالم، كما أن هذه الخبرات كبيرة الشبه بتلك التي يعيشها أي شخص في أي عصر وفي أي مكان. ومعنى ذلك أن طبيعة الأمهات ـ أي ما يقمن به من أعمال ـ قد ظلت على ما هي عليه خلال تاريخ الجنس البشري. وبذلك، فإن صورة الأم التي يرثها الطفل تتفق والأم الفعلية التي يتفاعل معها الطفل.

والأنماط الأولية ليست بالضرورة منفصلة إحداها عن الأخرى في اللاشعور الجمعي، وإنما هي تتداخل وتترابط في ما بينها، فالنمط الأولي للبطل قد امتزج بالنمط الأولي للرجل المسن الحكيم، لينتجا معاً مفهوم «الملك الفيلسوف» الذي يشار إليه باحترام ويحظى بتقدير الأفراد، لأنه يجمع في نفس الوقت بين البطل والحكيم.

٥ ـ القناع Persona :

لقد استعار يونغ المصطلح اليوناني القديم برسونا Persona، ومعناه القناع

ليصف به «الوجه الذي يتقدم به الإنسان للمجتمع. فنحن في حياتنا اليومية العادية، قد نجد ضرورياً أحياناً أن نغلف ذواتنا الحقيقية بغلاف خادع ونلبسها قناعاً لتبدو للعالم في مظهر يتفق والجماعة. ولعل هذا هو السبب الذي جعل يونغ يحتفظ في نظريته بالمصطلح الأصلي «برسونا»، وعرفه بقوله: «قناع العقل الجمعي، قناع يخفي وراءه الفردية... فهو جزء من المسرحية ينطق به العقل الجمعي».

وهذا الوجه الذي يبدو به الإنسان أمام المجتمع قد يكون غريباً تماماً عن وجداناته ومقاصده الحقيقة. والإنسان يشتق قناعه من الأدوار التي يقررها له المجتمع واستجابته لمطالب المقتضيات الاجتماعية والتقاليد، وكذلك من تقبله وخلقه أو تغييره لمفهوم المجتمع للدور الذي يقوم به. والشخص الذي يعيش أساساً خلف قناع عام هو أشبه بالإنسان، منه بالإنسان الحقيقي الذي يحقق ذاته. ومثل هذا الشخص قد ينحرف كثيراً عن مشاعره ووجداناته الحقيقية بحيث يصبح غريباً عن ذاته، مما يتعذر معه على الفرد أن يحقق ذاته. ولعل هذا في نظر يونغ هو أحد الأسباب الرئيسية التي تجعل الفرد شديد الاضطراب، انفعالياً في المجتمع الحديث. ومثل هذا الإنسان الشخصي يعيش بأهداف وأغراض زائفة. فذاته الحقيقية، وذاته كما يبدو بها أمام المجتمع، تصبحان متباعدتين تباعداً كبيراً لدرجة يستحيل معها على الفرد خلق ذات حقيقية تتفق ومثله وأهدافه الخاصة. وكلما ابتعد الإنسان وانحرف عن تحقيق ذاته الحقيقية، أصبح أقرب إلى الحالة المرضية منه إلى السواء. أما الشخص الذي يمكنه أن يتخفف من القناع ويصبح أقرب إلى تحقيق ذاته الحقيقية، فإن يونغ يسميه الإنسان الفردي Individual man. ومثل هذا الإنسان يمكنه أن يحقق ذاته في ضوء الأهداف والمقاصد التي يرسمها لذاته. ووفق مبدأ القطبية الهام عند يونغ تكون الحياة صراعاً بين «شبه الإنسان الذي يختفي وراء القناع» و«الإنسان الفردي» الذي يسعى إلى تحقيق ذاته[1].

---

(1) Fordham, Frieda: An Introduction to Jung's Psychology-Penguin Books 1959.

٦ ـ الأنيما والأنيموس The Anima and the Animus:

لقد كان يونغ جريئاً في القول بأن الإنسان ثنائي الجنسية، وذلك قبل أن يصبح مثل هذا القول مقبولاً بوقت طويل. فالإنسان في نظر يونغ يرث عن أسلافه بعض الخصائص العامة، ومنها الخصائص الذكرية والأنثوية التي توجد عند الجنسين، وينسب يونغ هذه الخصائص الذكرية إلى الأنماط الأولية، ويطلق على النمط الأولي الأنثوي لدى الرجل اسم «أنيما» ويطلق على النمط الأولي الذكري لدى الأنثى اسم «أنيموس». وهذان النمطان الأوليان ينموان ويتطوران ـ شأنهما في ذلك شأن أي نمط آخر ـ نتيجة للخبرات العضوية للرجل مع ـ المرأة والمرأة مع الرجل؛ أي أن الرجل يكتسب نتيجة حياته الطويلة مع المرأة عبر العصور الطويلة أنوثة، على حين تكتسب هي نتيجة حياتها الطويلة مع الرجل، ذكورة.

وقد أشار يونغ إلى أن الطبيعة الكلية للرجل تستلزم مقدماً المرأة؛ والعكس صحيح. وبهذا المبدأ الأولى الذي يمكن أن يتراكم عبر الأجيال، يصبح الرجل والمرأة أكثر قدرة على تقدير كل منهما للآخر، وفهم كل منهما لدور الآخر، فالرجل يصبح أكثر قدرة على تفهم طبيعة المرأة بما عندها من «أنيموس»، والمرأة تصبح أكثر قدرة على تفهم طبيعة الرجل بما عنده من «أنيما».

٧ ـ الظل Shadow:

والنمط الأولي للظل يتكون من هذا الجزء من اللاشعور الذي يرثه الفرد عن أجداده السابقين على الإنسان، فهو يمثل الغرائز الحيوانية. فالظل عند يونغ يقوم مقام الهو والدوافع الشهوية في اللاشعور عند فرويد. فهو يمثل الغرائز الحيوانية البدائية المتوحشة في الإنسان. والسلوك السيء خلقياً الذي يستحق التأنيب يصدر عن اللاشعور الجمعي القديم الذي ورثه الإنسان عن أجداده والسلالة الحيوانية، ومع ذلك، وخلافاً لما وجدناه عند فرويد، يذهب يونغ إلى أن هذا الظل وهذا الجانب الحيواني في الإنسان يساعده على أن ينمي الإستقطابات اللازمة لوجود الإنسان والضرورية لتقدمه الحقيقي. يقول يونغ: «إن الظل هو مشكلة خلقية تتحدى شخصية الأنا كلها». وهو بالإضافة إلى ذلك مشكلة اجتماعية بالغة

الأهمية، ويجب عدم التقليل من أهميته ولا يمكن لأي إنسان أن يحقق الظل دون حل خلقي ملحوظ وإعادة التوجيه لبعض معاييره وأفكاره.

٨ ـ الذات Self:

وهذا النمط الأخير هو أهم الأنماط الأولية جميعها. وقد وجد يونغ هذا النمط ممثلاً في حضارات مختلفة. ويرمز إليه برموز مختلفة أهمها «الماندالا» Mandala أي الدوائر السحرية. وهي تمثل اشتهاء الإنسان للوحدة والكلية والتكامل في الشخصية.

والذات التي تقع في موضع وسط بين الشعور اللاشعور ـ تكون قادرة على إعطاء التوازن للشخصية كلها: النفس. إنها تفعل أكثر من إحداث التوازن للنفس. إنها تحفظ النفس في حالة استقرار وثبات نسبي. ويحقق الإنسان في العادة مثل هذا الاستقرار والثبات النفسي في سن متقدمة بعد أن يكون قد تغلب على تهور المراهقة والإتجاه نحو العالم الخارجي في بداية الرشد. وحين يتقدم الفرد نحو متوسط العمر، تحل اتجاهات الإنطواء تدريجياً محل اتجاهات الإنبساط ولا يكون الفرد خلال هذه الفترة محتاجاً إلى نفس مقدار الطاقة الجسمية التي استخدمها في بداية حياته. وبذلك تحل الطاقة النفسية محل الطاقة الجسمية لإحداث التوازن في حياة الفرد حسب مبدأي التعادل والإنتقال. كما تصبح الحاجات العضوية أقل أهمية، ويبدأ الفرد يستمتع بالحاجات الثقافية. والنتيجة النهائية لإعادة التوافقات هذه، هي نفس متوازنة، وذلك بسبب قدرات الذات على الإنتقال من قطب لآخر والوصول إلى نقطة وسط إذا أمكن للذات تحقيق نفسها في معظم إمكانياتها. وكما سبق أن رأينا، فإن الشخصية لن تصل إلى حالة التوازن الكامل والإشباع. وذلك بسبب التأثيرات الخارجية غير المتوقعة للحياة.

غير أن يونغ يذهب إلى أنه في حالات قليلة جداً بل ونادرة، على نحو ما نجد بالنسبة لبعض الشخصيات الدينية كالرسل، أن تبلغ النفس مكاناً قريباً من التوازن الكامل، وقد ظهر اهتمام يونغ بالدين والطقوس وبنظرية النرفانا في كثير من كتاباته عن توازن النفس.

ويعتبر يونغ الوجدان وظيفة منطقية، وهو موقف غير عادي إذا قورن بموقف غيره من السيكولوجيين. فالوجدان في نظره يعزو قيمة لشيء ما، ولا يمكن لشخص أن يعزو قيمة لشيء ما دون القيام بمقارنة الشيء الأصلي بأشياء أخرى كثيرة. ولحظة القيام بالمقارنة، فإن استخدام عمليات التفكير الصادرة عن الوجدانات والفكر، تعتبر صورة من السلوك المنطقي. ومن هنا، فإن الوجدان في نظر يونغ عقلي منطقي. فالعقل عليه أن يقوم بأحكامه، وليس يهم أن أساس الحكم هو الوجدان، فإن القيم التي تستمد من الحكم تكون منطقية كغيرها من صور التقييم التي يقوم بها الفرد.

التفكير: هذه الوظيفة منطقية عقلية كذلك. فعندما يفكر شخص ما، فإنه يقوم بعمل تنظيم وترتيب للحقائق على نحو ما يعرفها. وليس من الضروري أن تتدخل الحواس في المجال. فالعلاقات تعتبر ذات أهمية كبرى وبخاصة بالنسبة الإنسان. فالتفكير يتضمن إقامة علاقات ونظم أو ترتيب لأكثر من مجموعة واحدة من القضايا. ولذلك يعتبر التفكير هاماً للغاية بالنسبة للإنسان.

وبعد أن استعرضنا باختصار النظم والاتجاهات والوظائف التي تكون الشخصية والتي تحدث أثرها في تحقيق الذات، يجدر بنا الإشارة إلى أهم الميكانزمات التي تستخدمها النفس في تحقيق ذاتها.

III ـ الأواليات النفسية

أواليات أو ميكانزمات تحقيق الذات: يبلغ الإنسان تحقيق ذاته بطرق متعددة بعضها متعارض الواحدة منها مع الأخرى، وبعضها مكمل إحداها للآخر. وسوف نشير باختصار إلى أهم هذه الميكانزمات:

١ ـ إن أول ميكانزمات تحقيق الذات هو عوامل القطبية: فهناك على نحو ما أوضحنا النكوص ضد التقدم، اللاشعور الشخصي ضد اللاشعور الجمعي، الشعور ضد اللاشعور، الإنبساطية ضد الإنطوائية، الوظائف العليا ضد الوظائف الدنيا، والطاقة الجسمية ضد الطاقة النفسية، والحاجات العضوية ضد الحاجات

الثقافية، الأنيما ضد الأنيموس، الإعلاء ضد الكبت، العلية ضد الغائية. وجميع هذه العوامل تعمل داخل مبدأي التعادل والإنتقال.

٢ ـ وكناحية أساسية من نواحي كسب الفرد ذاتاً أكثر كمالاً، ما يرثه الفرد من أجهزة، فهو يرث نظاماً بيولوجياً مجهزاً تجهيزاً تاماً بالغرائز. والوظيفة الرئيسية لغرائزه هي استمرار الحياة وبقائها واستمرار نوعه. وتكوّن الغرائز الجانب الحيواني من الطبيعة الإنسانية. فهي الصلات التي تربطه بماضيه الحيواني، كما أنها تعتبر أيضاً بمثابة دفعة داخلية للسلوك بطريقة معينة عندما تنشأ في الانسجام حالة معينة. ثم أن الإنسان يرث أيضاً إمكانية الخبرات السلالية التي سماها يونغ باسم الأنماط الأولية أو الأنماط السلوكية أو الأيجاجو. فهو بالإضافة إلى وراثة الغرائز البيولوجية، يرث أيضاً خبرات الأجداد. فالإنسان يرث الاستعداد للخوف من الحيوانات الضارة والخوف من الظواهر الطبيعية.

٣ ـ إن الإنسان ليس مجرد تراكم خبرات الماضي، إنه أيضاً مجموعة أحلام وآمال بالمستقبل، ومن خلال ديناميات الحياة الراهنة وأثر خبرات الماضي يضع الفرد خطة المستقبل. فالإنسان ليس مخلوقاً دائم التطلع إلى الماضي وإلى الوراء وإنما هو مخلوق دائم التطلع إلى المستقبل وإلى الأمام، وهي حقيقة يعتبرها يونغ ذات أهمية أولية في بلوغ تحقيق الذات. فالإنسان لا يمكن أن يبلغ تماماً تحقيق ذاته، دون أن يكون سلوكه غرضياً.

٤ ـ من النادر أن يبلغ الطفل أو المراهق التحقيق الكامل للذات. ومن المعروف أن يونغ لم يضع مراحل النمو الشخصية، على نحو ما نجد عند فرويد مثلاً وإنما خلال السنوات الأولى من حياة الفرد، يستثمر الليبيدو في ألوان من النشاط تكون ضرورية لبقاء الحياة. وقبل سن الخامسة تبدأ القيم الجنسية في الظهور وتبلغ قمتها في المراهقة. وفي مرحلة الشباب يكون الفرد مليئاً بالطاقة والقوة مندفعاً عاطفياً، معتمداً إلى حد كبير على الآخرين. ولكن ما أن يصل الفرد إلى الثلاثينات أو الأربعينات حتى يحدث تغير حاسم في قيمه وأهدافه. فاهتمامات الشباب وأهدافه تفقد قيمها لتحل محلها اهتمامات أخرى أكثر ثقافية وأقل بيولوجية؛ كما أن السلوك المنبسط المندفع عند الشباب يتحول ليحل محله التروي

والتعقل، ويسمح بقدر للسلوك الروحي الأكثر ميلاً إلى الإنطواء مع حكمة متراكمة وأنظمة قيم تقوم على أسس فلسفية أعمق.

٥ ـ وليس ثمة شك أنه كلما زادت خبرات الفرد، كان أكثر قدرة على توسيع ذاته، ومن خلال نمو المكونات المتعددة للشخصية نمواً متكاملاً تحقق الشخصية ذاتها. فلو أن جزءاً من الشخصية قد أهمل، فإن النظام المهمل الذي سوف يكون أقل نمواً، سوف ينشط كمركز للمقاومة. وإذا كثرت المقاومات في الفرد أصبح عصابياً. ولما كان النمو يصدر عن الخبرات المفيدة، فإن الشخص الذي لديه قدر أكبر بخبرات الحياة والذي يمكنه الإفادة منها، سوف يصبح أقرب إلى بلوغ تحقيق الذات. ولكي تتوفر للفرد الشخصية الصحيحة المتكاملة، لا بد من السماح لكل نظام ببلوغ أقصى درجات النمو وتسمى العملية التي يتحقق ذلك بواسطتها باسم عملية «التفرد»، وفيها تصل الذاتية إلى أعلى مستوى للنمو في كل أجزائها. وتقترب الأقطاب الواحدة من الأخرى من أجل إحداث حالة توازن. وعندما تقترب من هذا المستوى، يرى يونغ أن الإنسان يكون قد نما إلى أحسن صورة يمكن بلوغها. ومن خلال الوظيفة المتعالية التي تملك القدرة على توحيد جميع الإتجاهات المتعارضة للنظم المتعددة، تصل الأنظمة الروحية التي هي هدف الإنسان في الحياة إلى أوج ازدهارها.

٦ ـ الرمز شيء أساسي في نظرية يونغ للشخصية. فالإنسان وحده يتميز بقدرته على العمل في الحياة مستخدماً الرموز، بينما يتعذر ذلك بالنسبة للصور الدنيا من الحياة الحيوانية. وكثير مما يقوم به الإنسان يمكن أن يوجه إلى مستوى رمزي من خلال الصور والكلمات والأحلام والموسيقى والفن. والرمزية التي يتميز بها الإنسان تساعده في بلوغ مستوى أعلى وأكثر تمايزاً للذات مما يمكن أن يحدث بالنسبة للأنواع الأخرى من الحيوانات. وبوجه عام كلما هبط مستوى الإنسان، فقد الكثير من قدرته على العمل بالرموز.

وتحقق الرموز وظيفتين أساسيتين:

الوظيفة الأولى تمثل مستودع خبرات الأسلاف. وبذلك تساعد على التغلب

على السلوك الغريزي الذي لا يمكن التعبير عنه صراحة. أما الوظيفة الثانية فتمثل المستويات الطموحية للإنسان عندما يتقدم به السن. وقد عبر يونغ عن ذلك بقوله: «إن مغزى الرمز ليس في أنه إشارة مقنعة إلى شيء معروف بصفة عامة، بل في أنه محاولة لإبراز ما هو حتى الآن مجهول تماماً ولا يزال رهن عملية التكوين، فمصير الإنسان وأعلى ما تصبو إليه نفسه يمكن أن تحددهما الرموز.

يقول هول ولندزي بصدد التعليق على وظيفتي الرمز: «إن جانبي الرمز، الجانب الرجعي، والذي تقود الغرائز خطاه، والجانب المستقبلي والذي تقود خطاه الأهداف النهائية للجنس البشري، هما جانبان لعملية واحدة. ويمكن تحليل الرمز لكلا الجانبين. والنمط الرجعي في التحليل يكشف عن الأساس الغريزي للرمز. أما النمط المستقبلي فيكشف عما يطمح الجنس البشري إليه من كمال وولادة جديدة وانسجام ونقاوة وتطهر وما إلى ذلك. والنمط الأول من التحليل نمط يقوم على التماس العلية والإرجاع إلى أسباب أولية قليلة، أما النمط الأخير فنمط نمائي يقوم على التماس العلل النهائية، وكلاهما ضروري لتوضيح الرمز توضيحاً كاملاً. ويعتقد يونغ أن الطبيعة المستقبلية للرمز قد أهملت ففضلت عليها النظرة إلى الرمز بوصفه نتاج الدفعات المحبطة وحدها»[1].

---

(١) هول ولندزي: نظريات الشخصية: ترجمة د. فرج أحمد فرج وآخرون. القاهرة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١، ص١٣٩.

الفصل الرابع

الشخصية في نظريات التحليل النفسي الحديثة

هناك عدد من نظريات الشخصية ترتبط برباط وثيق بمدرسة التحليل النفسي. ولكنها مع ذلك ليست متمثلة. ويبرر تشابه أصلها معالجتها هنا تحت موضوع واحد والمصطلح «المدارس التحليلية النفسية الحديثة» يشير إلى الإطار التحليلي النفسي الأساسي. كما يشير في الوقت نفسه إلى ما أدخل من تعديل على بعض ما جاء بالنظرية التقليدية لفرويد. وإكمال الجوانب التي لم يكتمل تطورها، وإبراز بعض مسلمات فرويد بصورة واضحة. وتحديد بعض مفاهيمه الأساسية تحديداً دقيقاً.

لقد أثير الجدل في حياة فرويد وبعدها، وحول التوكيد النفسي لبعض هذه المفاهيم، مما أدى إلى انشقاق يونغ وأدلر عليه. من ذلك مثلاً هل تصدر الدوافع عن نفس الأصل الغريزي الثابت والذي لا يقبل التغير، وهل السنوات الخمس الأولى في حياة الفرد لها أثرها الثابت في تكوين شخصيته، وما الدور الذي يمكن أن تلعبه خبرات الطفولة المتأخرة يعادل حقاً ما لهذه العوامل من أثر في تكوين شخصية الفرد، هل الجنس والعدوان هما حقيقة الدوافع الأساسية، وهل عقدة أوديب ومراحل النمو النفسي الجنسي أشياء عامة بين جميع أفراد الجنس البشري أم أنها تظهر لدى بعض الأفراد وفي بعض الثقافات، وهل الدوافع اللاشعورية لها مثل هذه الأهمية البالغة التي أعطاها لها فرويد، وهل دور الأنا هو حقيقة دور التابع لرغبات الهو والخاضع لها.

إن اهتمام المحللين النفسيين اليوم يتجه اتجاهاً زائداً نحو توسيع بعض مفاهيم فرويد وإعادة صياغتها، وبخاصة مفهوم الأنا الذي أورده في كتابه سيكولوجية الجماعة وتحليل الأنا (١٩٢١)، وفي كتابه «الأنا والهو» (١٩٢٣) وفي غيرهما من كتبه العديدة. فبالرغم من أن فرويد اعتبر الأنا السلطة الإدارية للشخصية الكلية، إلا أنه لم يسلم لها بوضع قائم على الاستقلال الذاتي، بل يظل الأنا تابعاً لرغبات الهو وخاضعاً لها، فكما أوضح فرويد إن الهو له الأهمية الكبرى طوال الحياة. فالهو وغرائزه يعبر عن الغرض الحقيقي لحياة الكائن الحي الفرد. والهو هو العضو المسيطر في هذا التنظيم الذي وضعه فرويد للشخصية. أما المحدثون من أنصار هذه المدرسة، فقد أدخلوا الكثير من التعديل على نظرة فرويد للأنا، وابتعدت اتجاهاتهم عن الوظائف الدفاعية للأنا، واتجهت نحو دراسة الوظائف التركيبية (ننبيرج Nunberg ١٩٣١) والتكاملية (فرنش French ١٩٥٢) والتنظيمية (هارتمان ١٩٥٨) والمسيطرة (هندريك ١٩٤٣)، والوظائف المتعددة للأنا (ويلدار Wailder ١٩٣٦).

وقد أكد هارتمان وكريس ولوفنشتين (١٩٤٧) ضرورة تعريف الأنا في ضوء وظائفها. وقد تركز توكيدهم على العمليات السوية التوافقية العاقلة للأنا أكثر منه على تكوناتها المرضية. فميكانزمات الأنا ليست بالضرورة مرضية أو سالبة في صفتها، بل قد تخدم غرضاً سوياً في تكوين الشخصية. «فما ينمو كنتاج للدفاع ضد دافع غريزي، قد، يصبح بالتدريج وظيفة أكثر أو أقل استقلالاً، وأكثر أو أقل تشكلاً. فهي قد تخدم وظائف متعددة كالتوافق والتنظيم وغيرها. وقد افترض هؤلاء أيضاً أن هناك مرحلة غير متفاضلة في بداية الحياة يتكون خلالها كل من الأنا والهو. وبعبارة أخرى، لا يخرج «الأنا» من «هو» موروثاً، وإنما لكل من النظامين أصله في الاستعدادات الموروثة؛ كما أن لكل منهما مسار نموه المستقل الخاص به. ومن مثل هذه الفروض ظهرت إلى الوجود «سيكولوجية الأنا» الجديدة، وهي سيكولوجية يمثل فيها الأنا كنظام عقلي مسؤول عن الإنجازات العقلية والاجتماعية، نظام لا يعتمد أداؤه لوظائفه اعتماداً كلياً على رغبات الهو.

إن له مصادر طاقاته الخاصة به ودوافعه، واهتماماته الخاصة. إن سيكولوجية للأنا كهذه، يبدو أنها خروجاً جذرياً على تقليد التحليل النفسي[1].

ومع بداية التفكير في سيكولوجية الأنا، بدأ الإهتمام بالغرائز والنمو النفسي والجنسي وغير ذلك من الأمور التي تقع في دائرة الهو يخفت ويقل. فنظرية الغرائز لم يعد لها أنصار كثيرون بين علماء النفس المعاصرين، وإنما أصبحت موضوع اهتمام علماء الحياة. وهذا الإتجاه ليس إلا جزءاً من حركة أكبر تقلل من الدور البيولوجي للتحليل النفسي، وذلك بالتقليل من دور الوراثة، وزيادة الدور الذي يقوم به المجتمع في تشكيل الشخصية أو نقص تكوينها. ومن هنا ظهر ميل ملحوظ لدى بعض أنصار مدرسة التحليل النفسي الحديثة إلى الإقلال من دور الغرائز، وإبراز دور المتغيرات السيكولوجية والاجتماعية التي يعتقد أنها تشكل الشخصية، أي قل الحديث عن الغرائز وتقلباتها أو نظرية الليبيدو، على حين ازداد الحديث عن اكتساب سمات الشخصية عن طريق الخبرة ونتيجة الظروف الاجتماعية. وتعتبر «كارين هورني» و«إريك فروم» و«هاري ستاك سوليفان» من أهم أنصار هذا الإتجاه الذي يركز الإهتمام حول العوامل الاجتماعية، وبشكل يتفق أساساً مع نظرية أدلر فقد شرعت هورني كما شرع فروم، في محاربة الإتجاه الغريزي القوي في التحليل النفسي، والإصرار على أهمية المتغيرات النفسية الاجتماعية للشخصية. كما دعم سوليفان في نظريته عن العلاقات الشخصية المتبادلة مكانة نظرية الشخصية القائمة على العمليات الاجتماعية. سنكتفي باختيار نموذج واحد من هذه المدرسة (الفرويدية الجديدة).

(*) الشخصية العصابية عند كارين هورني (١٨٨٥ ـ ١٩٥٢) :

كانت هورني تعتقد اعتقاداً راسخاً في قابلية الطبيعة البشرية للتغير نحو الأحسن، فقد كانت متفائلة بالنسبة لتطور الكائن الحي. وشجعها على ذلك الصفات الإيجابية في الجنس البشري. ومن هنا كانت تعتبر نظريتها نظرية بناءة،

(١) هول ولندزي: نظريات الشخصية ترجمة د. فرج أحمد فرج وآخرون. القاهرة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١، ص٩١.

لأنها قد تؤدي حقيقة إلى حل العصاب. وإذا كان السلوك العصابي هو محور تفكيرها، فإن حل هذا السلوك العصابي يمكن أن يؤدي إلى خلق مجتمع أكثر صحة وسعادة. ويمكن أن نلمس هذه النظرة البناءة المتفائلة في ما ورد في كتابها «صراعاتنا الداخلية». تقول هورني: أعتقد أن الإنسان لديه القدرة والرغبة في تنمية إمكانياته، وأن يصبح إنساناً وديعاً، هذه الإمكانيات تذبل إذا استمرت علاقاته مع الآخرين ـ وبالتالي مع نفسه ـ في حالة اضطراب وأني اعتقد أن الإنسان يمكنه أن يغير ويظل يغير، طالما كان على قيد الحياة. وقد نمى هذا الاعتقاد، مصحوباً بفهم أعمق. وتقول أيضاً: إن جرأتنا على تسمية مثل هذه الأهداف العالية، تقوم على الاعتقاد بأن الشخصية الإنسانية يمكن أن تتغير، فليس الطفل وحده هو المرن القابل للتشكل، بل إننا جميعاً لدينا القدرة على التغير، وحتى في طرق أساسية طالما كنا على قيد الحياة. وهذا الاعتقاد تدعمه الخبرة والتجربة. والإنسان يجب أن يكون فاضلاً، ولكن ليس على نحو متكلف ـ إنه يجب أن يهدف إلى الكمال إذا أراد بلوغ السعادة. وأن يخضع السلوك العصابي لعوامل الضبط والتحكم.

وتذهب هورني إلى أن الثقافة الحاضرة (وتعني بها على وجه الخصوص الثقافة الغربية) من شأنها أن تخلق قدراً كبيراً من القلق في الفرد الذي يعيش في هذه الثقافة. وتذهب إلى أن المرض النفسي أو العصاب هو المصاحب الطبيعي للإنسان الذي يعيش في مثل هذا المجتمع الصناعي اليوم. وقد خصصت الموضع الرئيسي لكتابها «الشخصية العصابية في زماننا» للصراع في الثقافة، والأساليب المختلفة التي يقوم بها الفرد في توافقه مع ظروف الحياة فهي تقول: إن العصاب مع أنه مصطلح طبي نفسي في أساسه، إلا أنه لا يمكن استخدامه الآن دون الإشارة إلى تضمناته الثقافية. وكذلك قولها: إن مفهوم ما هو عادي يتغير ليس فقط بتغير الثقافات ولكن أيضاً داخل الثقافة الواحدة بتغير الأزمنة.

والنظرية الاجتماعية لهورني أظهرت مفهوماً أولياً عندها. وتعني به مفهوم «القلق الأساسي Basic anxiety». وقد أوضحت هذا المفهوم في كتابها الشخصية العصابية في زماننا (١٩٣٧) «إن استثارة هذا القلق ومصيره ـ وليس الدوافع الجنسية والعدوانية التي قال بها فرويد ـ هي الأساس لفهم شخصية الفرد». عرفت هورني هذا القلق الأساسي بقولها: «إنه الإحساس الذي ينتاب الطفل بعزلته وقلة

حيلته في عالم يحفل بإمكانيات العداوة». وثمة مجموعة من العوامل المعاكسة في البيئة يمكن أن تؤدي إلى هذا الشعور بانعدام الأمن لدى الطفل. التحكم والسيطرة المباشرة وغير المباشرة، اللامبالاة والإهمال والسلوك الشاذ، عدم احترام حاجات الطفل الفردية، الإفتقار إلى التوجيه الحقيقي، الإتجاهات المتضاربة، الإسراف في الإعجاب أو عدم وجوده إطلاقاً، الإفتقار إلى حرارة العاطفة الثابتة، الإضطرار إلى مناصرة أحد الوالدين في الخلافات العائلية، المسؤولية الزائدة عن الحد أو القليلة للغاية، الإسراف في الحماية، الإنعزال عن الأطفال الآخرين، عدم العدالة، التفرقة في المعاملة، عدم الوفاء بالوعود، الجو المعدي وما إلى ذلك.

فالبيئة المنزلية والتركيب الاجتماعي داخل الأسرة له على هذا الأساس أهمية كبيرة في نظر هورني. ففي هذا التركيب الاجتماعي للأسرة، وفي استجابة الطفل له يكمن مفتاح نمو شخصية الفرد.

والطفل القلق يحاول أن يستجيب لمشاعر القلق عنده باتخاذ أساليب مختلفة توافقية، وإلى درجة كبيرة غير عقلية إذا كان القلق شديداً ومستمراً. وهذه الأساليب التوافقية تتبلور في أنماط دافعية مستمرة في صورة حاجات عصابية. وسوف نوضح أولاً أساليب التوافق الكبرى عند هورني، وننتقل بعدها إلى دراسة الحاجات العصابية.

I ـ أساليب التوافق

أوضح بيشوف[1] هذه الأساليب التوافقية الأساسية عند هورني في هذا التخطيط البسيط.

١ ـ (خضوع): التحرك نحو الناس: (الطفل).

٢ ـ (عدوان): التحرك ضد الناس: (المراهق).

٣ ـ (ابتعاد): التحرك بعيداً عن الناس: (الراشد).

---

(١) Bischof, Ledford J. Interpreting Personality Theories. New york, Harper and Row . 1964

وقد أوضحت هورني الأسلوبين الأولين وهما الخضوع والعدوان في مواقف الصراع في كتبها الثلاثة الأولى، وأوضحت الأسلوب الثالث وهو الابتعاد في كتابها «صراعاتنا الداخلية». وسوف نوضح المصطلحات التي تقوم عليها هذه التخطيطات.

النمط الأول: يذهب إلى أنه «إذا كنت تحبني، فلا تؤذيني». فعن طريق تقبل الخضوع لحل الصراع، يأمل الطفل أن يكسب عطف الآخرين. وبذلك يجعلهم يحلون صراعاته معهم.

النمط الثاني: يذهب إلى أنه «إذا كانت لدى قوة، فلن يستطيع أحد أن يؤذيني». فهذا النمط من الناس يفترض أن العالم من حوله عالم عدواني حافل بالعوامل المعاكسة، ولذا فأفضل سبيل للتغلب على الصراع وخفض التوتر هو ضبط العناصر العدوانية في الحياة.

النمط الثالث: يذهب إلى أنه «إذا ابتعدت، فلن يصيبني أو يؤذيني شيء». فعن طريق الإبتعاد جسمياً وعقلياً يمكنه أن يحل صراعاته.

وعلى ذلك، فهناك أنماط ثلاثة من السلوك العصابي في نظر هورني هي الخضوع والعدوان والإبتعاد. والمصطلح الثاني الذي عنيت به هورني فهو «التحرك». ذلك أن هورني تذهب إلى أن الحياة دائماً في حركة، فهي ليست ساكنة، وكل ما في الحياة يتحرك، فالكائنات الحية تتغير باستمرار، فهي تنمو وتنضج وتكبر وتهرم. ونفس الشيء ينطبق على الإنسان. فالتغير هو المعيار الحيوي للحياة. والشخصية الإنسانية الحية يجب أن ينظر إليها دائماً في ضوء الحركة المستمرة. وقد أوضحت هورني اتجاهات ثلاثة عامة تتحرك نحوها شخصية الفرد. ويكمن الهدف من هذه الحركة في اتجاه الناس. فاضطراب الإنسان يرجع إلى الإنسان. والصراعات والقلق والصعاب التي تعتري وجود الفرد تكمن جذورها في بني الإنسان. فأعمق اهتمامات الفرد تدور حول علاقاته بغيره من الأفراد الذين يحيطون به. وليس من المهم أن يعرفهم شخصياً فقد تكون مسألة سمعته مع الناس عامة هي مصدر قلقه. أما انزعاجاته من القوى الطبيعية كالبرق والرعد وغيرها، فهي أمور وقتية.

والشخصية الإنسانية في حركتها تمر بأنماط ثلاثة من الأساليب التوافقية، ابتداء من الطفولة حتى الرشد مارة بالمراهقة، فالطفل أكثر ميلاً إلى كسب حب الآخرين عن طريق الخضوع لهم. وهو يلجأ إلى هذا الأسلوب أكثر مما يلجأ إلى الأسلوبين الأخرين وهما العدوان والإبتعاد. ولذا فمن الطبيعي أن يستخدم الطفل أقوى أسلحته في هذه المرحلة في حل صراعاته، ونعني بها «القابلية لأن يحب». ومن غير الطبيعي أن يلجأ الطفل إلى الأسلوبين الأخيرين فيكون عدوانياً أو انعزالياً، وذلك لسبب بسيط هو أنه في هذه المرحلة يعتمد إلى درجة كبيرة على الآخرين في طعامه وبقائه.

وفي المراهقة يبدو أن الشخص يميل إلى السلوك بشكل عدواني. وهذا ما يتضح في سلوكه نحو الكبار المحيطين به من أبوين ومصادر السلطة في المجتمع ولكونه في مرحلة لا هو فيها رجل ولا هو طفل. فإن المراهق يتحرك ضد الناس وذلك في بحثه عن الدور الذي يرغب في تحقيقه في الرشد.

أما في الرشد والكبر. فقد نجد أسلوب التحرك بعيداً عن الناس فمع تقدم السن بالفرد يجد أنه لم يعد في حاجة لأن يدور في المجتمع بحرية على نحو ما كان يفعل في مراهقته. ولذا نجده يفضل عدداً قليلاً من الأصدقاء الهادئين، على جماعة الشلة الصاخبة التي كان يفضلها في شبابه. فالنمط العام للسلوك في السنوات الأخيرة سن الرشد يتسم بالإبتعاد والإنعزال.

أي أن أساليب التوافق العصابي في التحرك نحو أو ضد أو بعيداً عن الناس. يمكن أيضاً تتبعها زمنياً خلال نمو الشخصية. ولننتقل الآن إلى دراسة ديناميات العصابيين في تحركهم نحو، ضد أو بعيداً عن الناس.

II ـ دينامية العصابي

أولاً: التحرك نحو الناس (الخضوع):

وهذا النمط يقوم بجهود كبيرة لكسب محبة الآخرين. فمحبة الآخرين له تحميه مما قد يصيبه منهم من أذى، فمن يحب لا يؤذي. وهو إذا خضع لهم

فسوف لا يلحقه أذى منهم، والأمور الآتية تلخص سلوكه عندما تقلب صراعاته الداخلية توازن حياته:

١ ـ إن الطفل يحاول ويحاول أن يصبح مسيطراً. ولكن كل الأساليب التي يتخذها تبدو نتائجها غير كافية ولا تؤدي إلى إشباع. ومع مرور الوقت يتقبل الطفل ضعفه وعجزه ليتوافق والصراع داخل نفسه والذي ينمو تجاه الآخرين.

٢ ـ ما أن يتقبل ضعفه للتوافق مع الآخرين الذين هم أقوى منه، فإنه يتحرك نحو الناس ويبذل جهداً كبيراً ليشعر بالأمن عن طريق ربط نفسه بمن هم أقوى منه، وبسبب هذا الشعور بالأنتماء إلى الجماعة وما تمنحه إياه من سند، فإنه يشعر بأنه صار أكثر قوة وقدرة على مواجهة الحياة.

٣ ـ ثم هو إذا فشل، فسرعان ما يهرع الآخرون لنجدته. ففي تقبل الجماعة له قوة، وفي نبذها له ضعف. فهو لا يمكنه أن يحيا بدون حب ورعاية. ولذا فهو يعمل أشياء كثيرة من أجل إرضاء الآخرين. فيتنازل عن بعض حاجاته من أجل إرضاء الكبار حوله، كما يكون يقظاً لرغبات الغير ومطالبهم مستعداً للتضحية من أجل كسب الرضا عنه.

٤ ـ وفشل هذا النمط في تحقيق أهدافه وكسب محبة الآخرين له، غالباً ما يحوله إلى حالة توهم المرض «هيبو كوندريا» وتجعله ضحية الشكوى لعديد من الأمراض السيكوسومانية. فطالما أن المجتمع يعطف على العاجز والضعيف والمريض، فليكن في شكواه المستمرة من المرض ما يستدر به عطف الغير.

ثانياً: التحرك ضد الناس (عدوان):

ورغم أننا جميعاً نستخدم ـ حسب هورني ـ هذا الأسلوب في الأوقات التي نراه فيها مناسباً، إلا أن هذا النمط العصابي الذي من هذا النوع يغالي في استعمال العدوان في علاقته بالآخرين. فهو يصبح عدوانياً بشكل ظاهر ويميل إلى الانتقام لنفسه من هؤلاء الذين نبذوه. والنقط الآتية تعد أبرز وأوضح مبررات هذا النوع.

١ ـ إنه يبدأ من مسلمة هي أن العالم الذي يعيش فيه عالم عدواني. ولذا فعليه ـ شعورياً أو لا شعورياً ـ أن يقاوم العدوان ويحاربه.

٢ ـ الإحساس أو الرغبة الأولى لدى هذا النمط هي الرغبة في أن يكون قوياً يسيطر على الآخرين ويهزم أعداءه أيا كانوا وأينما كانوا. وبسبب حالة عدم الثقة هذه في الآخرين، فإن دفاعته تكون دائماً في حالة استعداد، فهو دائماً في تيقظ لحماية نفسه، وفلسفته السائدة هي أن «ليس هناك حق بدون قوة تحميه».

٣ ـ وهذا الميل إلى السيطرة قد يكون في صورة ضمنية أحياناً. أي في شكل مساعدة للغير وبطريقة إنسانية. وفي ثنايا هذه المساعدة للغير تكمن الرغبة في القوة والسيطرة على الآخرين. وقد تكون هذه الرغبة في السيطرة عن طريق مساعدة الغير لا شعورية وقد تكون شعورية كذلك.

٤ ـ إن نظرة هذا النمط للنمط الأول الذي يتحرك نحو الآخرين والذي يبغي محبة الآخرين له، يكون مزيجاً من الإزدراء والإشفاق، وذلك في ضوء نظرته إلى هذا العالم من حوله والذي تسوده القوة والميول العدوانية.

ثالثاً: التحرك بعيداً عن الناس (الإبتعاد):

الإبتعاد قد يكون جسمياً أو عقلياً أو هما معاً، والإبتعاد الذي له طبيعة عقلية هو أكثرها وضوحاً في حالات الفصام، وبخاصة في حالات الفصام الكتانوني أو التخشبي. وتقوم فلسفة الإبتعاد في هذا النمط من السلوك التوافقي العصابي على أساس فلسفة الفرد في حل مشكلاته، والتي تستند إلى أنه «إذا ابتعد عن الناس فلن يصيبه منهم أذى». والنقط الآتية تعد أبرز وأوضح مظاهر هذا النمط.

١ ـ إن العصابي الذي يتبع هذا النمط، لا يرغب على وجه التحديد في الإنتماء، ولا في العدوان، وإنما تكون رغبته الملحة في أن يظل بعيداً. ولكون الناس هم مصدر الصراع وعدم الإحساس بالسعادة، فإنه يلجأ إلى الإبتعاد عنهم لحل صراعاته. فالبعد عن الآخرين يقلل من الإحتكاك بهم ويبعده من المشكلات التي يسببها هذا الإحتكاك. فهو يعيش لنفسه وبنفسه، وأنه ليس هنا شيء كثير يربطه بالآخرين.

٢ ـ الافتقار إلى القدر الكافي من المشاركة الاجتماعية، وميله إلى الابتعاد

عن الناس، فإن هذا النمط يكون أكثر ميلاً إلى حب الكتب والقراءة والوحدة ويميل إلى الأحلام والخيالات والفنون. وهو يكون لنفسه عالماً خاصاً به وحسب رغبته.

٣ ـ لكي يقوى على الإبتعاد عن الناس عقلياً ومكانياً، فإنه يحب أن يكون من القوة بحيث يستطيع أن يشبع مطالبه الشخصية، فالضعيف لا يمكنه أن يتبنى مثل هذا الأسلوب من التوافق. إن عليه أن يعيش وأن يعتمد على نفسه إلى حد بعيد.

٤ ـ هذا النمط يحاول أن يبقى على فرديته. وهذا ما يتضح حين يوجد مع تجمعات من الناس أو في حفلة مثلاً فإنه سرعان ما ينعزل ويبتعد عن الآخرين ويفضل الجلوس وحيداً بعيداً عن الصخب.

تلك هي الأساليب الثلاثة للتوافق التي أوضحتها هورني لتلقي الضوء على الأنواع العصابية الأعمق من السلوك. وقد يصبح أحد هذه الأساليب الثلاثة على قدر من الثبات في الشخصية، وبعبارة أخرى قد يتخذ أسلوب محدد منها صفة الدافع أو الحاجة المميزة لديناميات الشخصية. والصراع الناشىء عن عدم القدرة على استعمال هذه الأساليب الثلاثة من أساليب التوافق هو ما عرضته أساساً تحت اسم الحاجات العصابية. وقد قدمت هورني في كتابها «تحليل الذات» طبعة ١٩٤٢ قائمة من عشر حاجات تكتسب نتيجة محاولة العثور على حلول لمشكلة اضطراب العلاقات الإنسانية وقد سميت هذه الحاجات «عصابية» لأنها حلول غير منطقية المشاكل، وتذهب هورني إلى أن الفرق بين قدرة الشخص العادي على إحداث التكامل بين هذه الحاجات وتجنب الصراع، وبين عدم قدرة العصابي على ذلك، إنما هو مسألة درجة.

وبينما يستطيع الشخص السوي حل هذه الصراعات بإضفاء التكامل بين هذه الحاجات العشر ويكمل واحدة منها أو أكثر ببقية الحاجات الأخرى، فإن العصابي يفشل في إحداث التكامل بين معظم هذه الحاجات في نمط من أنماط الحياة، ونتيجة لذلك يتجه أكثر وأكثر نحو حلول غير واقعية ومفتعلة ومثالية.

وفي ما يلي نشير إلى الحاجات العشر التي منها استنبطت هورني الأنماط الثلاثة الرئيسية لأساليب التوافق. ونعني بها التحرك نحو وضد وبعيداً عن الناس. وهذه الحاجات توجد لدى جميع الناس، ولكنها تكون لدى العصابي بصورة مبالغ فيها من حيث القوة ومن حيث التركيز على أسلوب منها، وعدم القدرة على إحداث التكامل بينها.

III ـ الحاجات العصابية

١ ـ الحاجة العصابية للحب والتقبل: والسمة البارزة لهذه الحاجة هي رغبة الفرد في إرضاء الآخرين وعمل ما يتوقعونه، وأنه يعيش ليدخل السرور عليهم وكسب محبتهم، وهذه الحاجة تدفع الفرد إلى «التحرك نحو الناس».

٢ ـ الحاجة العصابية إلى «شريك» مسيطر يتحمل مسؤولية حياة الفرد: والسمة البارزة لهذه الحاجة هي أن يصبح الشخص طفلياً من النوع الذي يخضع ويطلب الحب والرعاية من شريك قوي في مقابل حب جارف من جانبه. ولذا فالشخص الذي تسيطر عليه هذه الحاجة يكون من النوع الذي يسرف في تقدير الحب، ويخاف أشد الخوف من أن يهجره الغير ويصبح وحيداً. وهذه الحاجة تدفع الفرد إلى التحرك نحو الناس.

٣ ـ الحاجة العصابية إلى تقييد الفرد لحياته داخل حدود ضيقة: والسمة البارزة لهذه الحاجة أن يصبح الشخص من النوع الذي لا يطلب شيئاً، يقنع بالقليل، يفضل البقاء مغموراً والانسحاب إلى خلف الواجهة، من النوع المحافظ. ويكون اتجاه الفرد في هذه الحالة هو «الإبتعاد عن الناس».

٤ ـ الحاجة العصابية إلى القوة: والسمة البارزة لهذه الحاجة هي دفع الشخص إلى تمجيد القوة والسيطرة واختفاء الضعف، ويكون اتجاه الفرد هو «الإبتعاد عن الناس».

٥ ـ الحاجة العصابية إلى استغلال الآخرين: والسمة البارزة لهذه الحاجة هي دفع الفرد إلى أن يكون مسيطراً مستغلاً للآخرين، يرفض الهزيمة في اللعب ويكون اتجاه الفرد هنا هو «ضد الناس».

٦ ـ الحاجة العصابية إلى التقدير أو المكانة المرموقة: والسمة البارزة لهذه الحاجة هي ميل الفرد إلى أن يكون معروفاً بين الناس، ينال الكثير من التقدير الاجتماعي، يذكر اسمه في كل مكان. ومن المحتمل أن يكون اتجاه الفرد هنا هو «ضد الناس».

٧ ـ الحاجة العصابية إلى الإعجاب الشخصي: والسمة البارزة لهذه الحاجة هي رغبة الفرد في أن يصبح محط أنظار الآخرين، وأن يرونه كصورة مثالية ويكون اتجاه الفرد هنا هو «ضد الناس».

٨ ـ الحاجة العصابية إلى الطموح في التحصيل الشخصي: والسمة البارزة لهذه الحاجة هي الرغبة الجامحة لأن يصبح غنياً مشهوراً مهماً، بصرف النظر عما تكلفه هذه الشهرة بالنسبة له وللآخرين. ويكون اتجاه الفرد هنا هو «ضد الناس».

٩ ـ الحاجة العصابية إلى الإكتفاء الذاتي والاستقلال: والسمة البارزة لهذه الحاجة هي الرغبة إلى أقصى حد في تجنب الارتباط مع الآخرين بأي التزام، وأن يعزل نفسه عن الآخرين. ويكون اتجاه الفرد هنا هو «بعيداً عن الناس».

١٠ ـ الحاجة العصابية إلى الكمال واستحالة المتعرض للهجوم: والسمة البارزة لهذه الحاجة هي عدم محاولة الوقوع في الخطأ الذي يعرضه للنقد والتجريح من جانب الآخرين، ومحاولة جعل نفسه حصناً لا يهاجم، ومن المحتمل أن يكون اتجاه الفرد هنا هو «بعيداً عن الناس».

تلك هي الحاجات العشر التي تصدر عنها الصراعات الداخلية للفرد، فالحاجة العصابية للحب والتقبل، مثلاً لا ترتوي، وكلما زاد ما ناله الفرد منها زادت رغبته في المزيد والتقبل، وتكون النتيجة ألا يشبع أبداً.

والسؤال الآن: أليس من الممكن تجنب هذه الصراعات أو حلها؟ تذهب هورني إلى أن ذلك ممكن إذا ربي الطفل في أسرة يتوفر فيها الأمن والطمأنينة والثقة المتبادلة والمحبة والاحترام والتسامح والدفء العاطفي. وبهذه الصورة ترجع الصراع إلى العوامل والظروف الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد أكثر مما تجعله جزءاً من طبيعة الإنسان، وأنه لا مفر من ظهوره لديه.

القسم الثاني

الإختبارات الإسقاطية

الفصل الأول

الإختبارات الإسقاطية

أولاً ـ سيكولوجيا الإسقاط:

(أ) عند فرويد Freud:

ظهر لفظ «إسقاط» لأول مرة في علم النفس عند فرويد وذلك في مقالة له عن عصاب القلق سنة ١٨٩٤. وقد أوضح فرويد في هذه المقالة «أن عصاب القلق يظهر لدى الفرد حين يشعر بعجزه عن السيطرة على المثيرات (الجنسية)؛ وفي هذه الحالة تسلك النفس كما لو كانت تُسقط هذه المثيرات على العالم الخارجي». وفي مقالة أخرى عن العمليات الدفاعية للعصاب (١٨٩٦) ذهب فرويد إلى أن «الإسقاط هو أحد هذه العمليات الدفاعية التي يعزو بها الفرد دوافعه وإحساساته ومشاعره إلى الآخرين أو إلى العالم الخارجي؛ ويعتبر هذا بمثابة عملية دفاعية تتخلص بها الأنا من الظواهر النفسية غير المرغوب فيها والتي ـ إن بقيت ـ سببت الألم للأنا.

وقد أوضح فرويد هذه العملية الدفاعية في سياق حديثه عن إحدى حالات البارانويا التي تأخذ صورة ميول جنسية مثلية تتحول تحت ضغط الأنا الأعلى من أنا أحبه «إلى هو يكرهني» في عملية معقدة تمر بمراحل أربع:

أ ـ اشتهاء جنسي مثلي يتمثل في «أنا أحبه» وهذا دافع غير مقبول من دوافع الهو.

ب ـ تكوين عكسي يحوله من «أنا أحبه» إلى «أنا أكرهه».

ج ـ لكن الكراهية أو العدوان دافع غير مقبول كذلك فيكبت. هذا الكبت كعملية دفاعية ليس حلاً نهائياً للموقف إذ لا يؤدي إلى حماية الأنا تماماً. ولكي تتخلص الأنا من هذه الدوافع العدوانية تقوم بإسقاطها على الشخص الآخر.

ومن ثم:

د ـ تتحول الدوافع من «أنا أكرهه» إلى «هو يكرهني»[1].

وقد أشار فرويد كذلك إلى عملية الإسقاط ـ من حيث هي عملية دفاعية في سياق حديثه عن حالة «خواف» (فوبيا) لطفل في الخامسة من عمره وهي الحالة المعروفة بحالة «هانز الصغير»[2]. كان هانز يرفض الخروج إلى الشارع خوفاً من أن يعضه الحصان. وكشف تحليل الحالة عن وجود صراع بين النزعات الغريزية للطفل ومطالب الأنا. فتمنيات الطفل موت أبيه وخوفه من العقاب تكبت في اللاشعور باعتبارها رغبات غير مقبولة. ومع ذلك تلح هذه التمنيات وهذا الخوف من العقاب في الظهور في صورة رمزية هي الخوف الشديد من أن يهجم عليه الفرس ويعضه. ومن الواضح أن هانز الصغير قد أسقط دوافعه العدوانية نحو أبيه على موضوع خارجي هو الحصان. فالخطر الداخلي قد تحول إلى خطر خارجي وأسقط الخوف من الأب على البديل وهو هنا الحصان. ومن السهل على الطفل في هذه الحالة أن يتجنب الخطر الخارجي أكثر من أن يتوافق مع الخطر الداخلي الذي لا يمكنه تجنبه.

فالإسقاط عند فرويد عملية دفاعية تسير وفق مبدأ اللذة. وبمقتضاها تعزو

---

(١) فرويد: خمس حالات من التحليل النفسي، ترجمة صلاح مخيمر، عبده رزق، الأنجلو، القاهرة، بدون تاريخ، في جزئين، الجزء الثاني، ص٦٢٩.
(٢) فرويد: خمس حالات من التحليل النفسي، «حالة هانز».

الأنا الرغبات والأفكار اللاشعورية إلى العالم الخارجي؛ تلك الرغبات والأفكار التي - إن سمح لها بالدخول إلى مسرح الشعور - لأحدثت الألم للذات[1].

وإذا كانت فكرة الإسقاط قد بدأت عند فرويد مرتبطة بالمرض النفسي والعقلي، فإنه توسع في استخدامها بعد ذلك في تفسيره لألوان أخرى من السلوك إذ اعتبرها عملية دفاعية تدخل في تكوين المعتقدات الدينية. وهذا ما يتضح في سياق حديثه عن «مستقبل وهم» وفي مقالته عن «الطوطم والتابو» ولكن حتى داخل هذا الإطار الثقافي كان فرويد ينظر إلى الإسقاط كعملية دفاعية ضد القلق.

ويمكن أن نلخص الأسس التي تقوم عليها هذه الفكرة عند فرويد في النقط الآتية:

١ - الإسقاط عملية لا شعورية.

٢ - أنه يستخدم كعملية دفاعية ضد القلق والدوافع اللاشعورية.

٣ - يحدث نتيجة عزو هذه الدوافع والرغبات والأفكار التي تسبب الألم للذات إلى الآخرين والعالم الخارجي.

٤ - يترتب عليه خفض حدة التوتر لدى الفرد.

(ب) معنى الإسقاط عند فرانك Frank:

في سنة ١٩٣٩ ظهر استعمال جديد للفظ إسقاط عند «لورنس ك. فرانك L.K.Frank». عندما وصف بعض الوسائل غير المباشرة في دراسة الشخصية التي تهدف إلى الوصول بالفرد إلى أن يقدم تقييماً لصفاته دون أن ينتبه إلى أنه يقوم بذلك. فالفرد حين تعرض عليه مثيرات غير متشكلة ومبهمة إلى حد ما ويطلب إليه أن يستجيب إليه، يُسقط على هذه المثيرات المبهمة حاجاته، ونزعاته وتبدو

---

(١) Healy W. Brenner A. Bowers A. M. The Structure and Meaning of Psychoanalysis. New York, Knopf. 1930.

هذه الحاجات والنزعات في صورة استجابات لهذه المثيرات[1]. فحاجاتنا وإدراكاتنا السابقة تؤثر في إدراكاتنا الراهنة.

ومنذ ذلك الحين شاع استخدام لفظ «إسقاط» في مجال علم النفس الإكلينيكي مرتبطاً بهذه الاختبارات ذات المادة غير المتشكلة والمبهمة إلى حد ما والتي عرفت باسم الاختبارات الإسقاطية كاختبار بقع الحبر لروشاخ واختبار تفهم الموضوع لموراي واختبار تكملة الجمل الناقصة الخ... ومنذ ذلك الحين أيضاً اختلف الباحثون في فهمهم لكلمة إسقاط إذ يبدو في الظاهر، أن ثمة خلافاً بين المعنى الفرويدي القديم باعتباره عملية دفاعية والمعنى الحديث عند فرانك.

والسؤال الذي يواجهنا الآن هو إلى أي حد ينطبق معنىٰ الإسقاط عند فرويد على معناه المستخدم في الاختبارات الإسقاطية كما وضعه فرانك؟.

(جـ) الإسقاط والاختبار الإسقاطي:

الواقع أنه ليس من السهل الإجابة على هذا السؤال إلا من قبيل الإفتراض. فلنرجع إلى النقط الأربع التي يقوم عليها معنى الإسقاط عند فرويد.

(*) أما بالنسبة للنقطة الأولى فإن من الممكن تطبيق عملية الإسقاط بمعناها في التحليل النفسي ـ أي عملية لا شعورية ـ على بعض الاختبارات الإسقاطية

(١) حين نقول إن شخصاً ما يسقط نفسه في حكاية أو على صورة ما فإن ذلك يعني أنه ينظر إليها كما لو كانت تشير إليه إلى حد ما. وقد توحي هذه العبارة بحدوث عملية تماهي للمثيرات. لكن الإسقاط بالمعنى المستخدم في الاختبارات الإسقاطية لا يتضمن بالضرورة ذلك حقيقة قد ينطبق هذا على بعض هذه الاختبارات الإسقاطية كاختبار تفهم الموضوع، لكنه لا ينطبق على بعضها الآخر كاختبار روشاخ الذي لا يزيد المثير فيه عن كونه مجموعة من بقع الحبر التي ليس فيها أشكال محددة يسهل على الفرد التماهي معها. يضاف إلى ذلك أن التجربة التي أجراها «موراي» على مجموعة من الأطفال والتي عرض فيها وجوهاً نحسة قبل وبعد لعبة «القتل». وطلب إليهم ترتيبها حسب درجة خبثها. وقد بدت الوجوه أكثر خبثاً عندما كان الأطفال في حالة خوف. مما يدعو إلى القول بأن الأطفال قد أسقطوا خوفهم على الصورة حتى لو لم تكن هناك شخصية واضحة يتماهون معها.

كاختبار T.A.T[1]. ومع ذلك يمكن القول بأن معظم الاختبارات الإسقاطية لا يتضمن بالضرورة عملية لا شعورية فحسب. وحتى بالنسبة للاختبارات التي تتيح للفرد أن يعبر عن عالمه فإنها تؤدي غالباً إلى التعبير عن الميول المعروفة للشخص. وهذا التعبير بمادة شعورية شخصية في عمليات الإسقاط يؤكد أن هذه الاختبارات تتضمن شيئاً أكثر مما يعنيه التحليل النفسي.

(*) أما بالنسبة للنقطة الثانية والثالثة فإننا نلاحظ أن الإستجابة في الاختبار الإسقاطي ليس من الضروري أن تتضمن عملية دفاعية. لقد كان هذا هو الاعتقاد السائد إلى أن ظهرت البحوث التجريبية التي قام «بلاك» والتي تتلخص إحداها (١٩٤٤) في إثارة عدد من الأشخاص ثم إعطائهم صوراً من اختبار T.A.T في ظروف تجريبية مقيدة. وفي إحدى التجارب أخضع بلاك الأفراد لظروف توحي بالشعور بالعدوان أثناء إعطائهم قصصاً عن الاختبار. وجاءت النتيجة متفقة والفرض الإسقاطي إذ زاد عدد الإستجابات العدوانية زيادة ملحوظة عما كانت عليه قبل إخضاعهم للمثير المسبب للشعور بالعدوان. وبالمثل حين أخضعهم «لمشاعر الإكتئاب» كانت هذه المشاعر تظهر في ثنايا القصص التي يعطيها هؤلاء. وإلى هنا تكون هذه النتائج متفقة والفرض الإسقاطي الذي يذهب إلى أن الإسقاط عملية دفاعية تعزو بها الأنا، الحاجات والأشياء غير المرغوب فيها وغير المحببة والتي تسبب لها الألم، إلى العالم الخارجي.

ولكن بلاك غير من ظروف التجربة بعد ذلك وأخضع الأفراد لحالات من الشعور بالإرتياح والإنبساط، فأسقطت هذه الحالات نفسها وظهرت في ثنايا القصص التي قدمها الأفراد. وقد دعت هذه النتيجة إلى ظهور فرض جديد هو أن الإسقاط ليس من الضروري أن يكون عملية دفاعية تقوم بها الأنا لحماية نفسها من الآثار الضارة للحاجات غير المحببة، إذ ليس ثمة آثار ضارة تنتج عن حالة الشعور بالإرتياح والسرور إلا إذا كانت هناك حالة تناقض وجداني مثلاً. وطبيعي أن الأمر ليس على هذا النحو في التجارب التي قام بها بلاك.

---

(١) انظر اختبار تفهم الموضوع.

ويبدو أن فرويد - على نحو ما يقول «بلاك» - قد وصل بنفسه إلى هذه النتيجة. فقد ذكر «أرنست كريس» أن الدراسة الدقيقة لكتابات فرويد تؤكد أنه وصل إلى هذه الحقيقة في مقالته «الطوطم والتابو» Totem et Tabou حيث يقول: «ليس من الضروري أن يكون الإسقاط عملية دفاعية بل إنه قد يظهر أحياناً في المجالات التي لا يكون فيها ثمة صراع. إن إسقاط الحالات الداخلية على العالم الخارجي عملية أولية تؤثر بدورها في إدراكاتنا الحسية وتساهم بنصيب كبير في تشكيل عالمنا الخارجي. وفي ظروف لم تحدد بدقة بعد - يمكن أن تسقط إدراكاتنا الذاتية للعمليات العقلية والإنفعالية على العالم الخارجي كمدركات حسية وتدخل في تشكيل عالمنا الخارجي في الوقت الذي كان يجب أن تظل فيه في عالمنا الداخلي»[1]. ويعتقد بلاك أن هذه العبارة التي وردت على لسان فرويد تحوي كل ما هو ضروري ولازم لوضع نظرية سليمة عن الإسقاط والإدراك عامة. «فصور المدركات السابقة التي يكونها الفرد تؤثر في إدراكنا للمثيرات الراهنة. ولعل تفسير اختبار T.A.T يقوم على افتراض كهذا. فالصورة التي يكونها الفرد عن والده تؤثر في إدراكه لصورة الوالد في اختبار T.A.T. والبحوث التجريبية والخبرة الإكلينيكية تؤيد هذه الفكرة فالمدركات السابقة تؤثر في إدراكاتنا الراهنة، وهذا التأثير لا يكون فحسب من أجل أغراض محدودة ضيقة كالأغراض الدفاعية التي سيطرت على التعريفات الأولى للإسقاط عند فرويد. ولذا نذهب إلى القول بأن جميع الإدراكات الراهنة إنما تتأثر بالإدراكات السابقة للفرد[2].

(*) أما بالنسبة للنقطة الأخيرة الخاصة بما يترتب على الإسقاط من خفض التوتر لدى الفرد فإن مجال الجدال فيها كبير. فإذا صدق هذا بالنسبة لبعض الاختبارات (التي فيها عملية تفريغ) فإنه لا يصدق بالنسبة لبعضها الآخر. ذلك أنه عندما يكون المجال الإدراكي غامضاً وغير محدد، فقد يؤدي إلى اعتماد الفرد أكثر وأكثر على العوامل الذاتية في عملية الإدراك، وقد يؤدي هذا إلى زيادة مستوى القلق زيادة ملحوظة. فالمجال الغامض غير المحدد يتطلب من الفرد إما أن

---

(١) فرويد: الطوطم والحرام، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٣، ص٨٧.

(٢) Abt L. & Bellak L. Projective psychology; Greve Press Inc. New York 1959, p: 7 - 32.

يستجيب بالأنماط السلوكية القديمة غير المناسبة أو أن يبحث له عن أنماط سلوكية جديدة. ومن المحتمل أن تؤدي العملية الديناميكية التي تقوم بتنظيم السلوك في هذه المواقف الجديدة إلى زيادة القلق لدى الفرد.

(د) التداخل بين مفهوم الإسقاط والاختبار الإسقاطي:

فإذا كان الإسقاط يؤدي إلى خفض حدة التوتر، فإن هذا لا ينطبق عادة على الاختبارات الإسقاطية التي قد تُحدث زيادة في التوتر بدلاً من خفضه. ثم إن الإسقاط ليس هو العملية الوحيدة التي تؤدي إلى خفض التوتر بل هناك عمليات أخرى كثيرة. وقد ذكر «بوستمان وبرونر» أن الكبت عملية أخرى يمكن أن تؤدي إلى حفظ التوازن النفسي الداخلي لدى الفرد.

الخلاصة:

والحقيقة أن بين الإستعمال الفرويدي للفظ «إسقاط» والإستعمال الشائع في الاختبارات الإسقاطية شيء من التداخل الظاهر. ١ ـ فكلاهما يتضمن عملية عزو بعض الصفات التي لا وجود لها بالضرورة وفي الواقع، إلى بعض المواقف أو بعض الأشخاص. ٢ ـ كلاهما يتضمن أن الأشخاص المختلفين يعطون تفسيرات مختلفة للمواقف المثيرة. ٣ ـ كلاهما يتضمن أيضاً أن الصفات التي يعزوها الفرد إلى المثير إنما تصدر عن حاجات الفرد ودوافعه ونزعاته ورغباته وميوله أكثر مما تصدر عن المثير الموضوعي ذاته. وهذا معنى قولنا إن المثير الغامض والمبهم وغير المتشكل يسمح للعوامل الذاتية في عملية الإدراك بالقيام بدور واضح. ومن هنا يعتقد كثير من علماء النفس الإكلينيكي والإسقاطي أن التفسيرات التي يقدمها المفحوص بالنسبة للمثير الغامض أو المبهم يمكن أن توقفنا على كثير من جوانب شخصيته.

وعلى هذا الأساس يمكن أن نحدد معنى الإسقاط على نحو ما هو مستخدم هنا في الاختبارات الإسقاطية بأنه «العملية التي بواسطتها يمكن الكشف عن دوافع الفرد ورغباته ونزعاته وحاجاته باستخدام مثير غامض وغير متشكل إلى حد ما يقوم الفرد بتفسيره وتأويله».

ثانياً: مميزات الاختبارات الإسقاطية:

تمتاز الاختبارات الإسقاطية بمميزات أهمها:

١ ـ الموقف المثير الذي يستجيب له الفرد غير متشكل وناقص التحديد والإنتظام. ومن شأن هذا أن يقلل من التحكم الشعوري للفرد في سلوكه بشكل يترتب عليه سهولة الكشف عن شخصيته. وإذا كان الفرد ـ حسب الفرض الإسقاطي ـ حين تعرض عليه مثيرات من نوع ما، يقوم بتنظيمها وتشكيلها حسب دوافعه ومدركاته واتجاهاته وأفكاره وانفعالاته وعواطفه وجميع مظاهر شخصيته، فإن من الممكن للمختبر في هذه الحالة أن يستخدم هذا السلوك كوسيلة إسقاطية للكشف عن شخصية المفحوص. ومن الممكن أن ينطبق هذا على جميع الاختبارات على حد سواء، تحصيلية كانت أم اختبارات ميول أم شخصية. لكن تبين من الناحية العملية أن تنظيم المفحوص للمواقف التي تتميز بنقص التشكل والإنتظام والتي تعرف بالاختبارات الإسقاطية ـ يكون أكثر تعبيراً عن شخصية الفرد ودوافعه ونزعاته من الاختبارات الموضوعية ذات المادة المحددة.

أما درجة التشكل والإنتظام في مادة المثير فإنها تختلف من اختبار إلى آخر. فالمثير يمكن أن يقل أو يعظم حظه من التشكل والإنتظام، كما يمكن أن تكون الاستجابة له أبسط أو أكثر تعقيداً من حيث الصياغة. وكلما قل الإنتظام التكويني للمثير وقل تحديده، اتسع مدى التعبير عن الذات وعظمت إمكانيات التأويل والتفسير، وكان الفرد أقل خضوعاً للعوامل الموضوعية للمثير. هذا ما يتضح لنا في اختبار بقع الحبر لروشاخ حيث الموقف المثير بقع حبر غير محددة المعالم وغير متشكلة تفسح المجال أمام الكثير من التأويل والتفسير من جانب المفحوص. أما إذا كان الموقف المثير محدداً واضحاً متشكلاً إلى درجة كبيرة، ضاق مجال التأويل الشخصي وأصبحت عوامل التنظيم الإدراكي الخارجية من القوة بحيث لا تدع سوى جزء يسير أمام العوامل الإدراكية الذاتية للتعبير عن نفسها. هذا ما يتضح لنا في اختبار إسقاطي آخر هو اختبار صور المواقف لـ«شوارتز» الذي وضع أساساً لدراسة الجانحين.

ومع ذلك فنحن لا نذهب إلى القول بأن زيادة الغموض والإبهام وعدم التشكل ميزة دائمة تتميز بها الاختبارات الإسقاطية. ذلك أن الزيادة في تنوع الاستجابات لا تفيد السيكلوجي إلا بقدر ما تكون هذه الاستجابات ممكنة التأويل. ومن هنا فإن زيادة الإبهام قد لا تضيف شيئاً إلى النتائج التي يمكن استخلاصها عن الفرد.

٢ ـ الميزة الثانية لهذه الاختبارات الإسقاطية هي أن الفرد يستجيب للمادة غير المتشكلة التي تعرض عليه دون أن تكون لديه أية معرفة عن كيف أو من أية جهة سوف يتم تقدير هذه الاستجابات. فدلالة المنهج أو الطريقة غير معروفة لدى الفرد. ومن ثم فإن إنتاجه سوف لا يتأثر بالإرادة إلى حد بعيد. ولذلك فإن النتائج التي نحصل عليها من شخص لديه إلمام بالاختبارات الإسقاطية قد يلحقها الشيء الكثير من التحريف والبعد عن الحقيقة والتأثر بالعوامل الإرادية. فإلمام الفرد ببعض الأسس التي تقوم عليها هذه الاختبارات قد يعطي صورة تختلف عن تلك التي نحصل عليها منه إذا لم يكن لديه أية معرفة بها.

٣ ـ الميزة الثالثة هي أنها نزعة من جانب الفرد ليعبر عن أفكاره ومشاعره وانفعالاته ورغباته في تشكيل المادة عير المتشكلة نسبياً. وهنا تختلف الاختبارات الإسقاطية عن الاختبارات الموضوعية كاختبارات الذكاء مثلاً. ففي الاختبار الموضوعي تكون هناك إجابات صحيحة وأخرى خاطئة أو تكون هناك طريقة صحيحة وأخرى خاطئة في القيام بعمل شيء ما أو على الأقل هناك معيار عددي كمي للنجاح أو الفشل.

أما في الاختبار الإسقاطي، فإن كل هذا يختفي. فنحن نعطي الفرد مثلاً صورة ونطلب إليه أن يقص حكاية أو قصة عن الصورة التي تعرض عليه وما تتضمنه من مواقف وكيف ظهر الموقف الذي تحتويه وكيف ينتهي وما الأحداث التي يمكن أن تقوم بها الشخصية الرئيسية أو البطل الذي في الصورة. والفرض الذي يقوم عليه هذا المنهج هو أن المفحوص حين يستجيب إنما يُسقط على القصة مشاعره ورغباته ومخاوفه وعقدة الشعورية واللاشعورية ويكشف عن كل ذلك بطريقة ما في القصة. وبطبيعة الحال لن يكون هناك اتفاق حول إجابات

صحيحة وأخرى خاطئة لاختلاف المشاعر والوجدانات التي يُسقطها كل فرد على المثير غير المحدد الذي يستثير هذه المشاعر والوجدانات ومن هنا يتم تقدير هذه الاستجابات على أسس أخرى غير الصحة والخطأ.

٤ ـ الميزة الرابعة لهذه الاختبارات الإسقاطية هي أنها لا تقيس نواح جزئية أو وحدات مستقلة تتألف منها الشخصية في مجموعها بقدر ما تحاول أن ترسم صورة عن الشخصية ككل ودراسة مكوناتها وما بينها من علاقات ديناميكية. فهي إذن تنظر إلى الشخصية نظرة ديناميكية كلية أكثر مما تنظر إليها باعتبارها مجموعة من السمات التي تظهر لدى الفرد حين يستجيب لهذه المثيرات الجزئية المختلفة.

والحقيقة أن ظهور الاختبارات الإسقاطية قد صادف عصر الثورة على النظرية الجزئية في علم النفس القديم، وبخاصة تلك الدراسات التي تهتم بقوائم السمات ومقاييس التقدير والتي تنظر إلى الشخصية كما لو كانت مكونة من جزئيات، وأنها نتيجة تجميع هذه الجزئيات. وهذه البحوث الجزئية تهتم بتحليل الظاهرة النفسية إلى عناصرها بعكس النظرية الكلية أو نظرية المجال. فنظرية «ليفين» في قوى المجال والنظرية الحيوية «لموراي»، ونظرية «ماسلو» «الإتجاه الديناميكي في دراسة الشخصية». تتفق جميعها حول توكيد هذه النظرة الكلية. إن الاختبارات الإسقاطية تأخذ بوجهة النظر الثانية في دراستها للشخصية فتعتبرها كلاً ديناميكياً وليس مجموعة سمات جزئية.

٥ ـ هناك ميزة أخرى للاختبارات الإسقاطية قد تعتبر في نظر البعض سلبية وهي أنها تكشف عن الحالات النفسية الطارئة أو الحديثة الوقوع بالنسبة للفرد والتي تكون قد مرت به قبيل إجراء الاختبار أو وقت إجرائه. ومن ثم فإن النتائج التي نحصل عليها لا تقيس الأبعاد الغائرة أو الثابتة في الشخصية بل تتأثر نتائجها بما تكون عليه الحالة الراهنة للمفحوص. ولعل تلك التجربة التي قام بها بلاك أوضح دليل على ذلك. إن بلاك حين أخضع المفحوصين لظروف توحى بالشعور بالعدوان أثناء اختبارهم باختبار T.A.T جاءت قصصهم تمتلىء بالاستجابات العدوانية أما حين غير ظروف التجربة وأخضعهم لظروف توحى بالإرتياح والسرور فإن هذه الحالة ظهرت في ثنايا القصص التي أعطاها المفحوصون.

ثالثاً: الأسس العامة التي تقوم عليها الاختبارات الإسقاطية:

١ ـ الأسس النظرية:

إن الإطار النظري الذي يعتنقه الباحث في نظرته لطبيعة الشخصية يحدد إلى حد بعيد الأساليب التي يستخدمها في دراسته لها وقياسها. وهذا القول ينطبق تماماً على الاتجاه الإسقاطي في قياس الشخصية. هذا الاتجاه يرجع في الحقيقة إلى هؤلاء الإكلينيكيين الذين أكدوا أهمية العمليات اللاشعورية في الفرد. فمن الملاحظ أن أصحاب نظرية المثير والاستجابة لم يذهبوا مثلاً إلى وضع أساليب وطرق تسمح بالقيام باستدلالات استنتاجات عن طبيعة التنظيم الداخلي للفرد وحاجاته وعملياته الدفاعية لأنهم لا يهتمون بهذه العمليات الداخلية قدر إهتمامهم بالمثير والاستجابة. على حين اتجه أصحاب علم النفس الأكلينيكي إلى دراسة محددات السلوك أكثر من إتجاههم إلى دراسة الاستجابة الحركية ذاتها التي يقوم بها الفرد. وهذا هو السبب في إتجاه هؤلاء إلى دراسة المواقف التي تسمح بإتاحة أكبر قدر ممكن من المعلومات عن تلك العمليات التي يمكن إستخلاصها من مظاهر سلوك الفرد. ومن هنا يمكن القول بأن معظم الأسس التي تقوم عليها هذه الاختبارات ومقوماتها مستمدة من التحليل النفسي عامة ومن مفهوم الإسقاط بمعناه العام خاصة. فسيكلوجية الإسقاط ـ سواء من ناحية منهجها أو من ناحية الآراء والأفكار التي نادت بها ـ تعد ثورة على كثير من التيارات القديمة في علم النفس. فهي تعارض أشد المعارضة المدرسة السلوكية التي تنظر إلى المثير والاستجابة والتي تعتبر في الأغلب والأعم نظرة جزئية وليست كلية.

ومن الممكن ـ كما يقول «نورثروب» Northrop أن نميز في أي علم من العلوم بين إتجاهين مختلفين يكمل أحدهما الآخر في نواحي البحث والتحقيق العلمي. هذا الإتجاهان هما الإتجاه السلوكي والإتجاه الوظيفي. أما الإتجاه السلوكي ففيه يغفل الفرد نواحي التنظيم الداخلي للمكونات والعلاقات القائمة بينهما ويركز اهتمامه حول استجابة الفرد لما يطرأ على المثيرات المعينة من تغير ـ هذا مع إفتراض بقاء جميع الظروف والعوامل الأخرى ثابتة وغير متغيرة. أما

الاتجاه الوظيفي ففيه ينصب الإهتمام على التكوين والخصائص الداخلية للنظام ككل. وفي مثل هذا الإتجاه تكون وظيفة المثير والاستجابة هي مجرد إلقاء الضوء على نوع التنظيم الذي يربط المكونات بعضها ببعض.

الحقيقة أن سيكلوجية الإسقاط ترتبط بالإتجاه الوظيفي. فالتقدير الوظيفي للشخصية يجب أن يصاغ دائماً في قوالب ديناميكية ولذا نرى أن وجهة النظر الإسقاطية أقرب إلى الإتجاه الديناميكي منها إلى الإتجاه السلوكي.

ومن ناحية أخرى نجد أن سيكلوجية الإسقاط حين تؤكد الناحية الديناميكية أو الوظيفة إنما تؤكد ناحية أخرى هي النظر إلى الشخصية ككل، لا باعتبارها مجموعة من السمات المستقلة المنفصلة. فسيكلوجية الإسقاط تتخذ موضوعاً لها جميع الوظائف والعمليات النفسية التي تعمل داخل إطار الشخصية ككل، ومن هنا تمتد جذورها إلى مدرسة الجشطلت التي تؤكد هذه النظرة الكلية.

وعلى هذا الأساس تعتبر وجهة النظر الإسقاطية ديناميكية وظيفة كلية تنظر إلى السلوك في إطار الشخصية ككل. وهذه النظرة الديناميكية الوظيفية الكلية يمكن أن ترد إلى أصولها التاريخية النظرية في التحليل النفسي ونظرية الجشطلت.

(أ) التحليل النفسي: بعد أن تبين فرويد نواحي النقص والقصور التي تشوب طريقة التنويم المغناطيسي تحول عنها إلى أساليب جديدة بدأت بأسلوب التداعي الحر. وقد اعتقد فرويد أن الدوافع والعمليات التي تكمن وراء حالة المرض يمكن الكشف عنها باستخدام التداعي اللفظي الحر. فإذا اتخذ المريض موقفاً سلبياً إزاء أفكاره وسمح لها بالتعبير عن نفسها بحرية أمكن الكشف عن المرض النفسي. ولم يكن فرويد يعني حقيقة بهذا الأسلوب اسم التداعي الحر وإنما قصد في الواقع سلسلة التداعي التي تحددها العمليات اللاشعورية (وتقترب هذه الفكرة من تلك التي تقوم عليها اختبارات تداعي الكلمات والجمل الناقصة والتي تكشف عن دوافع الفرد وحاجاته ومشاعره ومخاوفه).

ولم يقف فرويد عند حد التداعي الحر بل اتخذ من تفسير الأحلام وسيلة تقف جنباً إلى جنب مع التداعي في الكشف عن العمليات اللاشعورية. وذهب إلى

اعتبار الحلم من عمل الأنا. ففي حالة الإسترخاء أو النوم تهدد الدوافع اللاشعورية بالخروج إلى مسرح الشعور وإقلاق راحة الأنا بما تسببه من اضطراب. لكن الأنا نتيجة ما تتخذه من حيل دفاعية تحاول أن تخفي وتقنع الطبيعة الحقيقية لهذه الدوافع التي تريد التعبير عن نفسها وإقلاق راحتها. هذا الحل الوسط الذي تحاول الأنا الهامدة أن تقوم به، يعتبر في نظر فرويد أحد مفاتيح الجانب اللاشعوري في الشخصية. وقد اعتقد فرويد أنه بدراسة الأحلام يمكن الكشف عن الدوافع اللاشعورية التي تعتبر بمثابة مصدر القلق عند الفرد. والتعبير الصريح للحلم قد يكون غريباً لا معنى له نتيجة ما تدخله الأنا على مادة الحلم من تغطيه. وكان فرويد يعتقد أن السلوك الظاهري تقتصر قيمته في الواقع من ناحية أنه يسمح بالتنبؤ عما هو حادث في أعماق النفس.

فالمهم هو المحتوى الكامن اللاشعوري للحلم وما يتضمنه من عمليات مختلفة وعن طريق التداعي الحر وحده يمكن الكشف عن هذه العمليات.

ولم يقصر فرويد نظريته على العصابيين وحدهم، بل ذهب إلى أن السلوك العادي في حياتنا اليومية يمكن فهمه على ضوء المحددات اللاشعورية. ومن ثم أعطى أهمية كبيرة لدراسة فلتات اللسان وفلتات القلم من حيث هي تعبير عن الدوافع اللاشعورية في الكشف عن هذه المحددات.

وعلى ضوء ما تقدم يمكن القول بأن اعتقاد فرويد في إمكانية الكشف عن هذه العمليات اللاشعورية عن طريق هذه النواحي الدقيقة من السلوك يعتبر الأساس الأول الذي تستند إليه سيكلوجية الإسقاط في دراسة الشخصية.

(ب) **نظرية الجشطلت**: وكما كانت سيكلوجية الإسقاط ثورة على النظرية السلوكية ودعوة إلى التفسير الديناميكي فإنها كذلك كانت ثورة على النظرية الجزئية ودعوة لإتخاذ النظرية الكلية الجشطلتية. لقد صادف ظهور هذه الاختبارات قيام مدرسة الجشطلت وثورتها على علم النفس القديم. وقد أولت مدرسة الجشطلت إهتماماً كبيراً إلى وحدة الكائن الحي وذهبت إلى أن إدراكاتنا هي إدراك لكليات وأن الكليات أسبق في وجودها على الجزئيات وأن الجزء ليس له قيمة في ذاته إنما يستمد قيمته من الكل الذي ينتمي إليه وأن الكليات لازمة للأجزاء لزوم الأجزاء

إلى الكل الذي تنتمي إليه. فعلم النفس الجشطلتي ينظر إلى الفرد باعتباره نظاماً أو كلا ينظم نفسه بنفسه.

وبالإضافة إلى ما تقدم كان لبحوث الجشطلت في عملية الإدراك أهمية مباشرة في الطرق الإسقاطية وسوف نشير في دراستنا للأسس التجريبية، كيف أفادت سيكلوجية الإسقاط من تعاليم مدرسة الجشطلت.

هذا هو الأساس النظري الذي تستند إليه فكرة الإسقاط. وعلى ضوء هذا الأساس الديناميكي الوظيفي الكلي يمكن أن نلخص فكرة سيكلوجية الإسقاط عن الشخصية في النقط الآتية:

١ - إن الشخصية عملية ديناميكية أكثر منها مجموعة سمات تظهر لدى الفرد حين يستجيب للمثيرات الخارجية. ومن الواجب ألا يقف الباحث عند حد تطبيق الاختبار الإسقاطي وتفسيره بل يجب أن يكوّن فكرة عن الشخص تشمل ماضيه وحاضره وبعض اتجاهاته المستقبلة.

٢ - إن الشخصية في المفهوم الإسقاطي عملية تخضع باستمرار للتفاعل المتبادل بين الفرد، بما لديه من حاجات واستعدادات ودوافع، وبين البيئة المادية والاجتماعية التي يعيش فيها. فالشخصية كما يذهب البعض «محصلة الفرد والبيئة» أو كما يعبر فرانك عن ذلك «الشخصية هي العالم الخاص الذاتي للفرد، هذا العالم الذي تكوّن خلال عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية للفرد الذي ينقل الأنماط الثقافية والمهارات الاجتماعية ولكن على طريقته وأسلوبه الخاص».

٢ ـ الأسس التجريبية والنفسية الاجتماعية الحديثة:

ليس من شك في أن هناك علاقة بين ما يحدث في كثير من المواقف الإدراكية وما يحدث في الاختبار الإسقاطي الذي يتوقف بطريقة أو بأخرى على عمل ميكانزم الإدراك. والحقيقة أن الطرق الإسقاطية تدين بالشيء الكثير ليس فقط إلى علم نفس الجشطلت الذي يحتل فيه الإدراك جانباً هاماً، بل وأيضاً إلى علم النفس التجريبي وإلى التجارب الحديثة في علم النفس الاجتماعي. وهذه المجالات التجريبية أدت إلى وضع أسس لنظرية الإدراك تعتبر ذات أهمية في سيكلوجية الإسقاط.

إن عملية الإدراك تخضع لمجموعتين من العوامل: عوامل موضوعية وأخرى ذاتية. وقد أعطت مدرسة الجشطلت أهمية كبيرة للعوامل الموضوعية، وصاغت قوانين تنظيم المجال الإدراكي وأصبحت هذه كلها حقائق تجريبية مسلم بها في علم النفس. ولكنها أغفلت إلى حد ما العوامل الذاتية التي تلعب دوراً هاماً بالنسبة للسيكلوجية الإسقاط. والحقيقة أنه طالما أن الإدراك يتطلب وجود الموضوع المدرك والذات المدركة فلا بد أنه يتأثر بكلا العاملين الموضوعي والذاتي، وطالما أن هناك عوامل ذاتية تؤثر في عملية الإدراك فهناك احتمال كبير ألا يكون الإدراك موضوعياً خالصاً بل لا بد أن يطرأ عليه شيء من التحريف لدخول العوامل الذاتية التي تختلف من شخص إلى آخر. فالإدراك بمعنى المعرفة الموضوعية الخالصة التي تتوقف على العوامل الموضوعية وحدها لا وجود له، بل لا بد أن يتأثر - خصوصاً حينما يكون المثير أقل تحديداً وغير متشكل على نحو ما هو حادث في الاختبارات الإسقاطية - بخبرات الفرد وحاجاته وقيمه. ومن هنا يتردد بلاك في إطلاق لفظ إدراك Perception[1] على هذه العملية بل يفضل استخدام لفظ apperception ويعرفه بأنه «التفسير الديناميكي الذي يقوم به الفرد في

---

(١) كان قدامى الباحثين في علم النفس التجريبي ينظرون إلى الإدراك perception على أنه صورة مطابقة تمام التطابق للواقع والحقيقة الخارجية وأن أي بعد عن هذه الحقيقة الواقعية يعد تحريفاً أو بعبارة أدق خداعاً. Illusion. وقد أخذ لفظ خداع على هذا الأساس صفلا الإدراك المحرّف أو الإدراك الخاطىء. فهذا مُن Munn يصف الخداع بأنه إدراك خاطىء وبعد عن الواقعية أو الموضوعية. والواقع أن الإدراك الموضوعي الدقيق لا وجود له، وأن كل إدراك لا بد أن يحدث فيه تحريف أو بعد عن الموضوعية - إلى حد ما - حتى أن من الممكن القول بأن الخداع البصري ليس في الحقيقة إدراكاً خاطئاً أو استثناء، بل هو القاعدة في مجال الإدراك، وأن الإدراك الموضوعي هو في الحقيقة الذي يعد استثناء وينشأ نتيجة ما يقوم به الفرد من تعويض للخطأ بخطأ آخر في اتجاه عكسي.

ويوضح «زاجاك» هذه الحقيقة بقوله إن لفظ خداع سواء في اللغة الفرنسية أو اللغة الإنكليزية لا يعبر تعبيراً صحيحاً عن هذه الظواهر. فالتعريف السائد للفظ يوحي بفكرة موضوع «غير حقيقي» بينما تعتبر ظاهرة الخداع «حقيقة» في عملية الإدراك وأنها تمثل شيئاً حقيقاً وإن لم يكن موضوعياً.

عملية الإدراك أو هو الإدراك الموجه الواضح وتفهم الخبرة الجديدة على ضوء الخبرات السابقة».

ولقد اتجهت الدراسات الحديثة إلى دراسة هذه العوامل الذاتية وأهميتها في عملية الإدراك. ويوضح «ريمي Raimy» الدور الذي تلعبه العوامل الذاتية في عملية الإدراك من خلال معالجته لفكرة المرء عن نفسه داخل إطار نظرية العلاج غير الموجه. ويقدم الفروض التالية التي تتفق إلى حد بعيد والأساس النظري لسيكلوجية الإسقاط.

أ - إن فكرة المرء عن نفسه - من حيث هي نظام إدراكي مكتسب - تخضع لمبادىء التنظيم الإدراكي ذاتها، والتي تتحكم في الموضوعات المدركة.

ب - إن فكرة المرء عن نفسه تنظم سلوك الفرد. فالمعرفة بوجود ذات أخرى مختلفة في عملية التوجيه تؤدي إلى إحداث تغيير في السلوك.

جـ - إن فكرة المرء عن نفسه ترتبط بالواقع الخارجي برباط ضعيف في حالات المرض العقلي.

د - إن فكرة المرء عن نفسه قد تلقى تقديراً أكبر مما تلقاه ذاته الجسمية فالجندي في الميدان يضحي بنفسه في سبيل القيم الأخلاقية والمثل العليا التي تتضمنها فكرته عن نفسه.

هـ - إن الإطار الكلي لفكرة المرء عن نفسه يحدد كيف يدرك المرء المثيرات الخارجية وهل يتذكر المثيرات القديمة أم ينساها. وإذا طرأ تغيير على هذا الإطار الكلي لفكرة المرء عن نفسه - على نحو ما يحدث في العلاج - فإن من شأن هذا التغيير أن يعدل من نظرته إلى العالم الخارجي.

ومعنى هذا أن «ريمي» يعتبر العوامل الذاتية في الإدراك - تلك التي عالجها في فكرة المرء عن نفسه - عوامل أساسية تؤثر في سلوك الفرد.

ولم تكن فكرة المرء عن نفسه هي الوحيدة ذات التأثير في إدراكنا بل هناك صور أخرى متعددة. فهذا «شريف» Cherif يقدم لنا صورة أخرى تتمثل في فكرة

الإتجاهات. وتعتبر فكرة «شريف» بالغة الأهمية بالنسبة لسيكلوجية الإسقاط. وتتلخص فكرته في أنه كلما كان المجال المثير غامضاً ومبهماً وغير محدد عظم الدور الذي تلعبه الاستعدادات والإتجاهات والعوامل الذاتية في عملية الإدراك بالنسبة لسلوك الفرد. ومن الممكن أن تتضح لنا أهمية الحاجات والقيم أيضاً في تلك الدراسات التي قام بها «برونر» ومساعدوه في جامعة هارفارد والتي انتهوا منها إلى وضع هذه الفروض التجريبية الثلاثة.

أ ـ كلما عظمت القيمة الاجتماعية للموضوع المدرك، كان أكثر قابلية للتنظيم عن طريق المحددات السلوكية[1]. فالفرد يميل إلى الانتباه إليه واختياره أكثر من غيره في مجموعة الأشياء التي هو جزء منها.

ب ـ كلما عظمت حاجة الفرد إلى شيء ما له قيمة اجتماعية أصبحت عملية المحددات السلوكية ملحوظة بدرجة كبيرة.

جـ ـ إن الغموض الإدراكي يسهل عمل المحددات السلوكية. فالغموض وعدم التحديد يضعف من عمل المحددات الموضوعية ولا يقلل من فاعلية المحددات السلوكية.

وهكذا يتبين لنا أن العوامل الذاتية ممثلة في فكرة المرء عن نفسه أو في فكرة الإتجاهات والقيم أو في غيرها من الأفكار كالاختيار في عملية الانتباه لها تأثير واضح في عملية الإدراك. وعلى ضوء هذه الدراسات المختلفة يمكن القول بأن «الإدراك عملية غرضية ناشطة تشمل الكائن الحي ككل في علاقته بالمجال الذي يوجد فيه وأن النشاط الإدراكي بطبيعته تمتد جذوره عميقة في خبرات الفرد الماضية وفي إدراكه المقبل».

والخلاصة: إن سيكلوجية الإسقاط ترتكز إلى دعائم من التحليل النفسي ومن نظرية الجشطلت ومن علم النفس التجريبي وعلم النفس الاجتماعي.

---

(١) المقصود بالمحددات السلوكية جميع الوظائف التكيفية التي يقوم بها الفرد كعمليات التعلم وآثار القمع والكف والحرمان والصد وما تؤدي إليه من اصطناع إتجاهات وإستجابات مختلفة.

رابعاً: أنواع الاختبارات الإسقاطية:

قدمت تقسيمات متعددة للاختبارات الإسقاطية وأشهر هذه التقسيمات ذلك الذي قدمه لورانس فرانك[1] واتخذ أساساً له نوع الاستجابة التي نحصل عليها من الفرد وهدف الفاحص من طلبه لها. يقسم فرانك الاختبارات الإسقاطية إلى أنواع خمسة:

١ ـ الطرق التكوينية أو التنظيمية	Constitutive method
٢ ـ الطرق البنائية أو الإنشائية	Constructive method
٣ ـ الطرق التفسيرية	Interpretive method
٤ ـ الطرق التفريغية أو التطهيرية	Chathartic method
٥ ـ الطرق التحريفية	Refractive method

وسوف نشير إلى كل طريقة منها بكلمة موجزة.

١ ـ الطرق التكوينية أو التنظيمية:

وفي هذه الطرق يتطلب من المفحوص أن يفرض على المادة المعروضة عليه نوعاً من التكوين والتنظيم. وهذه المادة التي نقدمها إلى المفحوص تكون في أساسها غامضة أو قريبة من الغموض وغير متشكلة وغير منتظمة. واختبار روشاخ[2] مثال لذلك. ولما كانت الأشكال التي يتكون منها اختبار بقع الحبر غير متشكلة نسبياً وتقبل أن تفسر أو ينظر إليها من نواحي متعددة، فإننا نعتبر كل استجابة يقدمها المفحوص إنما ينظمها ويكونها من هذه الأشكال الغامضة؛ بمعنى أنه يعطي أشكالاً ومعاني لمادة لا شكل لها ولا معنى.

وتحت هذا النوع يمكن أن ندرج أيضاً الاختبارات التي تستخدم مواد غير

---

(١) Frank, L. K, Projective Method. Charles Thomas Spring Field 1948 pp. 42 - 60.

(٢) انظر اختبار بقع الحبر لروشاخ.

متشكلة كالطين أو أية مادة أخرى قابلة للتشكل (كالبلاستيك) وكذلك اللعب الحسية. وليس الأمر قاصراً على الأشكال المرئية والمواد غير المتشكلة التي تُعالج حسياً بل يمكن أن ينطبق أيضاً على الأصوات غير الواضحة التي تؤخذ كمادة يؤولها الفرد ويعطيها معنى ويصبها في قوالب وعبارات ذات معنى لغوي.

٢ ـ الطرق البنائية أو الإنشائية:

وإذا كانت الطرق التكوينية أو التنظيمية تتطلب من المفحوص تشكيل مادة مبهمة غامضة غير متشكلة وإعطائها معنى أو شكلاً، فإن الطرق البنائية تتطلب من المفحوص تشكيل مادة متشكلة متكونة ذات معنى محدد وخاص ومتميز، كالقطع الخشبية لبناء منزل أو اللعب الصغيرة. فيعطى المفحوص هذه المواد ليرتبها أو ليلعب بها أو يكون منها منظراً واقعياً في الحياة. وباستخدام هذه المادة يستطيع المفحوص أن ينظمها أو يرتبها في أشكال أو صيغ أعم. مثال ذلك اختبار «لوينفلد» Lowenfeld الموزايكي (الفسيفسائي) مثلاً حيث يتطلب من المفحوص أن يرتب الأجزاء المختلفة الألوان والأشكال في صورة نماذج.

والمفروض أن الفرد ـ داخل هذا الإطار المحدد الضيق ـ يقوم بتنظيم اللعب والأدوات التي تعرض عليه حسب فهمه الخاص لمواقف الحياة أو حسب شعوره وما يحسه نحوها أو ما يرغب أن تكون عليه.

والطرق البنائية ـ كما يعبر عن ذلك «إريك أريكسون» ـ تزود الطفل بعالم صغير من الأشياء يمكن عن طريقه الاتصال بالعالم الكبير للبالغين وأن يعبر عما يدور في عالمه الذاتي وأن يكشف عن إطاره المرجعي الخاص وطريقته الخاصة في تنظيم العالم.

ويجدر بنا أن نشير إلى أن الطرق الإسقاطية البنائية تمكننا من الحصول على مادة إسقاطية حين يكون المفحوص ـ وبخاصة الطفل ـ منهمكاً أو مستغرقاً في نشاط اللعب أو الرسم أو التلوين. بل إن من الممكن ـ دون أخذ الطفل إلى حجرة خاصة كتلك التي تجري فيها الجلسات العلاجية مثلاً ـ متابعة الطفل في مدرسة الحضانة أو المدرسة الإبتدائية في المواقف المختلفة في الحياة وطريقة

تناوله للمواد التي تعتبر جزءاً من عمله اليومي. وغالباً ما يكشف الطفل عن نواح كثيرة من شخصيته أو مشاعره خلال عملية البناء أو الإنشاء التي يقوم بها على المادة التي نقدمها إليه. فكما يقول إريكسون «ليس يكفي أن نلاحظ الصيغ النهائية العامة التي يقوم الطفل ببنائها بل لا بد أيضاً من ملاحظة أسلوبه في معالجة المادة وما يصدر عنه من ألفاظ وأقوال في هذه المواقف». ولذلك فإن هذه الطرق البنائية تحتل جانباً هاماً من أعمال العيادات النفسية وفي وسائل العلاج. فالدور الذي يقوم به الطفل في تناول الأشياء وبنائها يسمح لنا بالكشف عن مشاعره وما يفكر فيه وما يحسه وما يتمناه. ومن الممكن حين نكلف مجموعة من الأطفال القيام بلعبة البيت أو بناء منزل أن نطلب إلى كل منهم أن يختار دور الأم أو الأب أو الطفل ونلاحظ كيف يقوم كل منهم بالدور الذي اختاره لنفسه وأن نكشف عن فكرة المرء عن نفسه ومشاعره نحو والديه أو إخوته.

٣ ـ الطرق التفسيرية:

لما كان الفرد يتعود منذ صغره أن يخفي الكثير مما يعتقده أو يفكر فيه أو يحسه ويشعر به بالنسبة لكثير من نواحي الحياة، وخاصة ما يتصل منها بالعلاقات الشخصية المتبادلة بين الناس، فإن الاختبارات الإسقاطية يمكنها في كثير من الأحيان أن تكشف عما «لا يستطيع الفرد قوله» بصراحة. إن الطرق التفسيرية تقدم للمفحوص موقفاً أو عملاً يستجيب إليه عن طريق القيام بنشاط مبدع يعبر فيه عن أفكاره ومشاعره وآماله. واختبارات تفهم الموضوع (T.A.T) و(C.A.T) مثال واضح لذلك، حيث نطلب من المفحوص بعد أن نريه الصورة أن يبتدع حكاية أو قصة مثيرة عن المنظر والمرسوم.

وجميع المؤلفات الأدبية التي يبتدعها الكاتب هي مادة إسقاطية حيث يخلق الكاتب عالماً خاصاً به يعبر فيه عن أحاسيسه ومشاعره واستجاباته الإنفعالية للمواقف التي تقوم عليها القصة.

ومن الممكن الجمع بين الطرق التفسيرية والتكوينية والبنائية. فالفرد الذي يعطي استجابة تكوينية ما قد يطلب إليه أن يفسر إنتاجه. وهذا ما يتضح لنا أحياناً

في ما نجريه من تحقيق للاستجابات التي يعطيها المفحوص في اختبار بقع الحبر لروشاخ والذي يكشف فيه المفحوص عن معلومات على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لعالمه الخاص به، أو ما قد يتضح لنا حين نعرض البطاقة البيضاء من اختبار T.A.T والتي نطلب فيها من المفحوص أن ينشىء صورة أو يتخيل موقفاً من المواقف يكونه بنفسه ثم يستجيب إليه ويفسره.

٤ ـ الطرق التفريغية أو التطهيرية:

وهذا النوع لا يقتصر على كشف العمليات الذاتية لدى الفرد بل يعين على التخفف والتخلص من الإنفعالات. وكثير من أنواع اللعب العلاجي للأطفال يشتمل على ناحيتي التخلص من الإنفعالات والتعبير عنها. إن إلقاء الحجارة على الدمى يمكن أن يتيح للطفل الموضع الذي يحتاجه لعدوان مباح لا يلام أو يعاقب عليه، هذا بالإضافة إلى أنه يكشف للمعالج عن مصدر القلق عند الطفل.

ومن أوضح الأمثلة ما يحدث في المسرح أو السينما حيث يتعرض النظارة ـ وهم في الظلام عادة ـ لمواقف تثير انفعالاتهم ويحدث التفريغ في ما يصدر عنهم من حركات أو أقوال أو تعليقات أو بكاء أحياناً. كما أننا نتقمص شخصيات الممثلين في السينما أو المسرح، بمعنى أننا نتقبل عوالم الآخرين ومشكلاتهم وإحساساتهم ومشاعرهم ونلقي جانباً ـ وإلى حين ـ نواحي اهتمامنا الخاصة ونتخفف منها. هذا بالإضافة إلى أننا نشاهد على خشبة المسرح أو شاشة السينما أشخاصاً يشاركونا آمالنا ورغباتنا وقد يكون هؤلاء أقدر منا على ترجمة هذه الأحاسيس والمشاعر في كلمات أو أفعال وتحقيق ما نراه مستحيلاً أو عسيراً علينا تحقيقه.

٥ ـ الطرق التحريفية:

وهي التي تلقى فيها طريقة استخدام المادة ضوءاً على الشخص الذي يستخدمها. فطريقة استخدام المادة سواء كانت لفظية أو غير لفظية تمدنا بوسيلة للكشف عن شخصية الفرد. ذلك أن كل فرد منا يستعمل اللغة بأسلوبه الخاص

وبنغمة صوتية خاصة وله تعبيرات خاصة. وبالمثل يعتبر أسلوب الكاتب في الكتابة مميزاً له إلى حد بعيد. ونحن جميعاً نستخدم نفس الحروف الهجائية في الكتابة ومع ذلك فلكل منا طريقته الخاصة في الكتابة من حيث حجم الحروف والمسافات والإنتظام أو عدم الإنتظام إلى غير ذلك من الخصائص المميزة لكل فرد عن الآخر[1].

تلك هي الأنواع الخمسة للاختبارات الإسقاطية على نحو ما أوضحها فرانك وهو تقسيم شامل لكل أنواعها. ورغم احتواء هذا التقسيم على كل الأنواع إلا أن أقسامه من الناحية المنطقية متداخلة وغير منفصلة تماماً بعضها عن بعض إذ يعني بعضها أساساً بما ينبغي للشخص أن يفعله على حين يعني بعضها الآخر بنوع الدلالة التي سيجدها الفاحص في المادة التي يقدمها المفحوص.

٢ ـ اختبارات المادة المثير فيها صور أو أدوات كاختبار روشاخ أو «زوندي» أو اختبار اللعب.

سوف نعرض أهم الاختبارات الإسقاطية التي يتم استخدامها في مجالات عديدة.

---

(١) ومن الطرق الإسقاطية التي انتشرت انتشاراً كبيراً وبخاصة في أوروبا طريقة الكشف عن الشخصية عن طريقة كتابة اليد Graphology. وقد حاول البعض الوقوف على مميزات الخط. وقد أرجعوا هذه المميزات إلى سمات في الشخصية. من ذلك مثلاً أن الخط المائل جهة اليمين يمثل شخصية إنبساطية سريعة الانفعال، بينما الخط القائم الزاوية (المعتدل) يمثل شخصية جامدة متزمتة يصعب عليه الإتصال بالآخرين أما الخط المائل جهة اليسار فله دلالة حيادية.

وهناك آخرون ينظرون إلى الكتابة وإلى الشكل الكلي للكتابة ويرجعون صفات الشكل العام للكتابة إلى صفات مباشرة في الشخصية. إلا أن هذا الإتجاه يهاجم بشدة ويعتبره البعض عملاً بدائياً ولا قيمة له علمياً.

الفصل الثاني

الاختبارات التي تستخدم اللغة كمثير

يندرج تحت هذه المجموعة أنواع أساسية: منها اختبارات تداعي الكلمات واختبارات تكملة الجمل وتكملة القصة.

I ـ اختبارات تداعي الكلمات

استخدم جالتون هذا النوع من الاختبارات كوسيلة لدراسة العمليات العقلية وذلك في سنة ١٨٧٩ و١٨٨٣. كما استخدمه بعض علماء النفس التجريبي من أمثال فنت (١٩٠٨ و١٩١١) وكاتل وبراينت Bryant سنة ١٨٨٩. ورغم أن أول تطبيق لهذا النوع من الاختبارات في المجال الإكلنيكي يعزي إلى يونغ، فإن كربلين (١٨٩٢) وسومر ١٨٩٩ قد سبقاه إلى ذلك. لقد استخدم كربلين التداعي في دراسة طبيعة السلوك الشاذ؛ واستخدمه مونستر بورج بعد ذلك كأداة في الكشف عن الجريمة. ثم استخدمه يونغ ١٩٠٦ لدراسة العقد ومجالات الاضطراب الإنفعالي عند الفرد. ورغم قلة استعماله اليوم كاختبار إسقاطي، إلا إن من الممكن الإفادة منه في مجال العمل الإكلينيكي ومجال البحوث التجريبية كذلك.

ولقد وضعت قوائم كلمات كثيرة ومتعددة لدراسة التداعي أشهرها تلك التي وضعها يونغ والتي تحتوي على ١٠٠ كلمة اختيرت خصيصاً للكشف عن العقد

المعروفة. لكن «كينت» و«روزانوف» Kent, Rosanoff قاما بوضع قائمة أخرى من ١٠٠ كلمة تجنباً فيها الإشارة إلى الكلمات المشبعة بالناحية الإنفعالية والتي امتلأت بها قائمة يونغ، كما استبعدا أيضاً الكلمات التي تحتمل معنيين وإن كان لمثل هذه الكلمات أهمية في الدراسات التي تهتم بتحديد ميول الفرد. ومن الممكن للباحث أن يضع قوائم أخرى تهدف إلى الكشف عن الجريمة أو الأغراض الإكلينيكية.

وفي ما يلي قائمة كلمات «كينت» و«روزانوف».

١ - منضدة	٢ - مظلم	٣ - موسيقى	٤ - مرض	٥ - رجل	٦ - عميق
٧ - ناعم	٨ - أكل	٩ - جبل	١٠ - بيت	١١ - أسود	١٢ - خروف
١٣ - راحة	١٤ - يد	١٥ - قصير	١٦ - فاكهة	١٧ - فراشة	١٨ - أملس
١٩ - قمر	٢٠ - كرسي	٢١ - حلو	٢٢ - صفارة	٢٣ - امرأة	٢٤ - بارد
٢٥ - بطيء	٢٦ - رغبة	٢٧ - نهر	٢٨ - أبيض	٢٩ - جميل	٣٠ - شباك
٣١ - خشن	٣٢ - مواطن	٣٣ - قدم	٣٤ - عنكبوت	٣٥ - إبرة	٣٦ - أحمر
٣٧ - نوم	٣٨ - غضب	٣٩ - سجادة	٤٠ - بنت	٤١ - عال	٤٢ - عمل
٤٣ - حادق	٤٤ - أرض	٤٥ - متاعب	٤٦ - عسكري	٤٧ - كرنب	٤٨ - جامد
٤٩ - نسر	٥٠ - معدة	٥١ - جذع	٥٢ - لمبة	٥٣ - حلم	٥٤ - أصفر
٥٥ - خبز	٥٦ - عدل	٥٧ - ولد	٥٨ - ضوء	٥٩ - صحة	٦٠ - إنجيل
٦١ - ذاكرة	٦٢ - نعجة	٦٣ - حمام	٦٤ - كوخ	٦٥ - سريع	٦٦ - أزرق
٦٧ - جوع	٦٨ - قسيس	٦٩ - محيط	٧٠ - رأس	٧١ - موقد	٧٢ - طويل
٧٣ - دين	٧٤ - وسكي	٧٥ - طفل	٧٦ - مر	٧٧ - مطرقة	٧٨ - عطشان
٧٩ - مدينة	٨٠ - مربع	٨١ - زبد	٨٢ - دكتور	٨٣ - مرتفع	٨٤ - لص
٨٥ - أسد	٨٦ - مرح	٨٧ - سرير	٨٨ - ثقيل	٨٩ - طباق	٩٠ - طفل
٩١ - قمر	٩٢ - مقص	٩٣ - هادىء	٩٤ - أخضر	٩٥ - ملح	٩٦ - شارع
٩٧ - ملك	٩٨ - جبن	٩٩ - زهرة	١٠٠ - خائف		

وقد وضع ربابورت وچيل وشافر قائمة أخرى تتكون من ٦٠ كلمة وتعد هذه القائمة في نظرهم أفضل من قائمتي يونغ وكينت نظراً لما تتضمنه من كلمات تتصل بمجالات متعددة كالأسرة والنواحي الفمية والشرجية والعدوان والدلالات الجنسية المتنوعة. كما تمس في نظرهم مجالات فكرية وألواناً من الصراع التي تظهر في أنماط مختلفة من سوء التوافق.

وفي ما يلي قائمة ربابورت وچيل وشافر:

١ - عالم	٢ - حب	٣ - أب	٤ - قبعة	٥ - صدر	٦ - ستائر
٧ - جذع	٨ - شرب	٩ - جماعة	١٠ - حركة الأمعاء	١١ - كتاب	١٢ - مصباح
١٣ - سجادة	١٤ - كرسي	١٥ - صديق	١٦ - قضيب	١٧ - مظلم	١٨ - مكتئب
١٩ - ربيع	٢٠ - كأس	٢١ - جريمة	٢٢ - جبل	٢٣ - منزل	٢٤ - ورقة
٢٥ - مثلي الجنسية	٢٦ - شعاع	٢٧ - صديقة	٢٨ - حاجز	٢٩ - يسقمني	٣٠ - إطار
٣١ - رجل	٣٢ - انتصاب	٣٣ - خيالة	٣٤ - يقطع	٣٥ - يضحك	٣٦ - يعض
٣٧ - امرأة	٣٨ - رقص	٣٩ - كلب	٤٠ - إطار	٤١ - تاكسي	٤٢ - أم
٤٣ - منضدة	٤٤ - لحم بقر	٤٥ - حلمة	٤٦ - جنس	٤٧ - ماء	٤٨ - يرضع
٤٩ - حصان	٥٠ - نار	٥١ - مهبل	٥٢ - مزرعة	٥٣ - اجتماعي	٥٤ - ابن
٥٥ - ضرائب	٥٦ - طباق	٥٧ - مدينة	٥٨ - معاشرة	٥٩ - مستشفى	٦٠ - دكتور

وتقدم القائمة في العادة شفوياً، كما يجري الاختبار فردياً نظراً لما يتطلبه الأمر من قياس زمن الرجع لكل كلمة، وملاحظة حركات المفحوص وإشاراته وما قد يحدث من توقف أثناء إجراء الاختبار[1].

وسوف نعرض في ما يلي الطريقة التي أتبعها ربابورت في إجراء الاختبار والتحقيق والتقدير.

(١) Anzieu D.: Les methodes projectives, éd. P.U.F., Paris 1980, p: 31 - 36.

أولاً ـ طريقة إجراء الاختبار (عند ربابورت):

يمر الإجراء بمرحلتين: الأولى خاصة باختبار التداعي الذي يستجيب فيه المفحوص للكلمات «المثير» والثانية خاصة بإعادة إنتاج نفس الاستجابات التي أعطاها في التداعي.

أما المرحلة الأولى الخاصة باختبار التداعي فتبدأ عادة بالتعليمات الآتية:

«سأقرأ عليك قائمة من الكلمات كلمة كلمة. والمطلوب هو أن تستجيب لكل منها بكلمة أخرى واحدة. لا يهمنا أية كلمة تقولها ولكن يجب أن تكون هي الكلمة الأولى التي ترد إلى ذهنك بعد سماع الكلمة التي أقولها. أحب أن تجيب بأسرع ما يمكنك لأنني سأحسب الزمن الذي تستغرقه في الاستجابة. وسوف أقول الكلمة مرة واحدة فقط ولن أعيدها ثانية».

وبعد أن ينتهي الفاحص من إلقاء التعليمات يبدأ في ذكر الكلمة الأولى ويسجل الكلمة التي استجاب بها المفحوص وكذلك زمن الرجع وأعني به الزمن المنقضي بين سماع المثير وإعطاء الاستجابة.

وقد يتطلب الأمر أحياناً التأكد من أن المفحوص سمع الكلمة المثير جيداً أو التأكد من الكلمة التي نطق بها المفحوص. وفي الحالة الأولى يستفسر الفاحص قائلاً: «ما هي الكلمة اللي أنا قلتها». وفي الحالة الثانية: «ما هي الكلمة اللي أنت قلتها».

وقد يحدث أحياناً أن يخطىء المفحوص في فهم الكلمة المثير فنفسر له ثم يعاد تقديمها بعد أربع أو خمس كلمات أخرى. وقد يضطر الفاحص إلى تقديم تعليمات إضافية أو الضغط على المفحوص لإتباع التعليمات. ويحدث هذا التدخل في حالات منها:

١ ـ عندما يستجيب المفحوص بعدة كلمات أو بتعريف بدلاً من كلمة واحدة فقط. وهنا يوجه الفاحص نظره إلى أن المطلوب هو كلمة واحدة فقط. ويحسن ألا يلجأ الفاحص إلى مثل ذلك إلا بعد أن يكون المفحوص قد أكثر من الخروج على التعليمات.

٢ ـ عندما يستجيب المفحوص على مهل وبصورة مستمرة. وفي هذه الحالة يطلب الفاحص منه الإسراع في الاستجابة. وقد يلجأ الفاحص أيضاً إلى اتخاذ وسيلة أخرى كأن يسرع هو نفسه في إعطاء الكلمة «المثير» أو أن ينطق بالكلمة التالية بعد أن ينتهي المفحوص من إعطاء الاستجابة مباشرة وبشكل يوحي بضرورة الإسراع في الاستجابة.

٣ ـ عندما يستجيب المفحوص بأسماء أشياء في غرفة الاختبار. وحين يحدث ذلك يوجه الفاحص نظره بقوله: «لا تأتي بأسماء أشياء من الغرفة. انتظر حتى تأتي الكلمة الأولى إلى ذهنك». وإذا لم تُجد معه هذه الوسيلة فمن الممكن أن يطلب إليه أن يغلق عينيه وقت سماع الكلمة «المثير».

وبعد الانتهاء من المرحلة الأولى الخاصة باختبار التداعي تبدأ المرحلة الثانية الخاصة بإعادة الإنتاج وهي تبدأ عادة بالتعليمات الآتية:

«الآن سأعيد عليك نفس الكلمات والمطلوب أن تستجيب بنفس الكلمات التي استجبت بها أول مرة. حاول أن تستجيب بسرعة. وسوف أحسب الزمن الذي تستغرقه هذ المرة كذلك».

ثم يبدأ الفاحص في إعطاء الكلمة الأولى ويسجل الاستجابة الجديدة إذا كان ثمة اختلاف بينها وبين الاستجابة الأولى. كما يسجل زمن الرجع إذا زاد عن ثانيتين لمن يستجيب بسرعة غالباً، وعن ٣ إلى ٤ ثوانٍ لمن يستجيب ببطء، ويعطى الاستدعاء علامة (+) إذا كان صحيحاً وعلامة (-) إذا كان خاطئاً.

وفي هذا الجزء من الاختبار يحسن ألا يتدخل الفاحص إلا إذا حدث شيء نتيجة خطأ في الإستماع إلى الكلمة «المثير» من ناحية المفحوص أو في الاستجابة من ناحية الفاحص. وفي الحالات التي يداوم فيها المفحوص على إعطاء كلمات جديدة غير تلك التي أعطاها في الإجراء الأول يمكن الفاحص أن يذكّره بأن المطلوب هو إعطاء نفس الكلمة التي سبق أن أعطاها من قبل.

وليس من شك في أن اتجاه الفاحص له أهمية كبيرة. فمن الواجب تجنب إبداء الموافقة أو عدم الموافقة على الاستجابات التي يعطيها المفحوص، إو إبداء

الدهشة والتعجب أو القلق مما يقوله، أو إعطاء التعليمات بصورة جافة. هذا ويحسن ملاحظة سلوك المفحوص وتسجيل انفعالاته ومشاعره خلال إجراء الاختبار.

ثانياً ـ التحقيق:

التحقيق خطوة شبيهة بتلك التي تتبع في اختبار روشاخ[1]. والهدف من التحقيق هو:

١ ـ توضيح ما إذا كان المفحوص قد أخطأ في فهم الكلمة «المثير». وإذا حدث ذلك فما هي الكلمة التي سمعها. وهذا النوع من التحقيق يمكن أن يتم مباشرة بعد استجابة المفحوص للكلمة، تلك الاستجابة التي لا تربطها بالمثير أية رابطة والتي قد توحي باحتمال الفهم الخاطىء للكلمة. والحقيقة أن الإلتجاء إلى مثل هذه الخطوة أمر ضروري إذ أن من غير المعقول أن نسمي استجابة ما بأنها استجابة «بعيدة» عن الكلمة «المثير» إلا بعد أن تتأكد أن المفحوص قد فهم الكلمة جيداً.

٢ ـ توضيح الكلمة الاستجابة وذلك في الحالات التي لا يكون فيها الفاحص متأكداً من سماعه الاستجابة بوضوح. وهذا يتم أيضاً أثناء إجراء الاختبار وعقب سماع الكلمة. ومن الواجب أن ينتبه الفاحص جيداً لاستجابات المفحوص حتى يقلل من الإلتجاء إلى هذه الخطوة التي قد يترتب عليها حدوث اضطراب في سير الاختبار أو التي قد تتخذ دليلاً على عدم الموافقة أو الدهشة من جانب الفاحص.

وفي ما عدا ذلك يجب أن يتم التحقيق بعد الإنتهاء من إعادة الإنتاج.

٣ ـ ومن أهداف التحقيق توضيح مصادر أسماء الأعلام ومعاني الكلمات غير المفهومة للفاحص وكذلك الكلمات غير الشائعة التي لا يفهم دلالتها.

---

(١) انظر اختبار بقع الحبر لروشاخ.

٤ ـ توضيح العلاقة بين الكلمة «المثير» والكلمة «الاستجابة». وذلك في الحالات التي لا تتضح فيها هذه العلاقة أو تنحرف فيها الاستجابة عن الاستجابات المألوفة بشكل ظاهر. وغالباً ما يكون لمثل هذا التحقيق أهمية في الكشف عن صفة الاستجابات الوثيقة الارتباط بالكلمة المثير والاستجابات البعيدة عنها.

٥ ـ توضيح أسباب طول زمن الرجع أو الفشل في إعطاء استجابة لكلمة ما. هل هناك فكرة لا يرغب المفحوص في التعبير عنها بحيث يؤدي ذلك إلى إعاقة الاستجابة وإطالة زمن الرجع. وأحياناً تكشف مثل هذه التحقيقات عن ظهور بعض الاستجابات الجنسية أو غير المقبولة اجتماعياً في بؤرة الشعور.

ثالثاً ـ التقدير (اضطرابات التداعي):

وهنا يقدم ربابورت أنواع الاضطرابات التي تحدث في عملية التداعي والتي تمخضت عنها تجربته التي أجراها على ١٥١ شخصاً. لقد طبق ربابورت الاختبار على ١٥١ حالة بين ذهاني وعصابي وعادي موزعة على النحو التالي: ٧٠ ذهاني من النوع الفصامي و٢٧ عصابي و٥٤ عادي. وقد توصل بعد تحليل النتائج إلى وضع قائمة باضطرابات التداعي التي نجملها في ما يأتي:

١ ـ التوقف: وعدم القدرة على إعطاء أية استجابة.

٢ ـ التسمية: تسمية الأشياء الموجودة بغرفة الاختبار وقد يشير ذلك إلى وجود حالة إعاقة أو الرغبة في التخلص من الموقف أحياناً.

٣ ـ التعريفات: إعطاء تعريف متعدد الكلمات، وفي هذا خروج على التعليمات التي تتطلب الاستجابة للمثير «بكلمة أخرى واحدة فقط».

٤ ـ التكرار: أي تكرار نفس الكلمة المثير.

٥ ـ إعطاء الصفات: أي تكون الاستجابة صفة للكلمة «المثير». «منضدة ـ خشب». «امرأة ـ جميلة».

٦ ـ الإشارة إلى الذات: «إبنة ـ إبنتي». «صديقة ـ ليس لي صديقة».

٧ ـ المداومة والإستمرار: وتتم في صور مختلفة منها إعطاء نفس الاستجابة بالنسبة للمثيرات المتتابعة أو إعطاء نفس الاستجابة بالنسبة لكل أو معظم المثيرات التي بينها علاقة مثل: «أب ـ شخص» ـ «طفل ـ شخص». «أم ـ شخص».

٨ ـ إعطاء الاستجابة المكونة من عدة كلمات: «اجتماعي ـ له شلة من الأصدقاء».

٩ ـ الاستجابات التي لا نربطها رابطة بالمثير «كتاب ـ فنزويلا».

١٠ ـ الاستجابات بعيدة الارتباط جداً بالمثير. «ظلام ـ ساعة». «جماعة ـ جنازة».

١١ ـ الاستجابات متوسطة البعد ولكنها خارجة عن نطاق الاستجابات العادية. «سجادة ـ قذارة».

١٢ ـ الاستجابات الإنفعالية: «أم ـ حلوة».

١٣ ـ أسماء الأعلام: «مدينة ـ القاهرة».

١٤ ـ الاستجابات المبتذلة ابتداء من الاستجابات الجنسية الدارجة حتى الاستجابات غير المقبولة اجتماعياً.

١٥ ـ سوء سماع الكلمة المثير.

١٦ ـ عدم معرفة معنى الكلمة المثير.

وبالإضافة إلى هذه الاضطرابات التي تظهر في اختبار التداعي هناك مجموعة أخرى من الاضطرابات تظهر خلال إعادة الإنتاج وقد أشار ربابورت إلى بعضها.

١ ـ الإستدعاء الخاطىء غير المرتبط كأن يكون هناك تباعد كبير بين الكلمة «المثير» والكلمة الاستجابة أو إعطاء استجابة جنسها عكس جنس الكلمة المثير «رجل ـ بنت» «ولد ـ بنت». أو الاستجابة بكلمة تعتبر عكس الحالة المزاجية للكلمة المثير، «ضحك ـ صراخ».

٢ ـ الإستدعاء الخاطىء المرتبط بالكلمة المثير. «مكتئب ـ حزين». «كرسي ـ يجلس».

٣ ـ لا إستدعاء إطلاقاً.

٤ ـ التأخر في الإستدعاء بشكل ظاهر.

واختبار التداعي ـ عند تطبيقه من الناحية الإكلينيكية ـ يزودنا بالكثير من المعلومات. فالاستجابة «الخاصة جداً أو البعيدة عن المألوف» قد تصبح في ذاتها دليلاً على أن الكلمة المثير قد مست نقطة حساسة في فكر المفحوص مثال ذلك: «أب ـ طاغية». وقد تحدث الكلمة المثير اضطراباً في التداعي يكشف عن أن الكلمة قد مست منطقة صراع عند الفرد كما تكشف في الوقت نفسه عن طبيعة هذا الصراع القائم في النفس. فعند الاستجابة لكلمة «زوجة» بكلمة «شك» فإن هذه الاستجابة تكشف ليس فقط عن وجود صراع لدى الفرد بل تكشف أيضاً عن طبيعة هذا الصراع أو نوعه.

١ ـ طبيعة العملية النفسية في اختبار تداعي الكلمات[1]:

إن تحليل العملية النفسية التي تحدث في التداعي يثير مشكلات أهمها:

١ ـ ما هي العملية النفسية التي تحدث استجابة ما لمثير معين، والتي تأخذ ـ إذا سار المفحوص وفق التعليمات ـ صورة الكلمة الواحدة التي يستجيب بها بسرعة.

٢ ـ ما هي العملية النفسية التي تحدد اختيار الكلمة «الاستجابة».

٣ ـ ما هي الأسباب المؤدية إلى الخروج على هذه العملية والتي يترتب عليها اضطراب التداعي.

ولمحاولة توضيح العملية النفسية التي تقوم عليها استجابات التداعي عالج ربابورت النواحي الثلاث التي يعتمد عليها تكوين الاستجابات وظهورها وهي الذاكرة وتكوين المدرك أو المفهوم ثم التوقع.

---

(١) غنيم سيد محمد، وبراده هدى: الاختبارات الإسقاطية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٠، ص٥٥ ـ ٥٩.

وسوف نشير باختصار إلى كل ناحية منها بقصد توضيح الدور الذي تقوم به في تكوين الاستجابة واختيار الكلمة ومدى قربها أو بعدها عن الكلمة «المثير».

أولاً: دور الذاكرة في حدوث استجابة التداعي:

هناك وجهتان مختلفتان من النظر في تفسير هذه الناحية. فالنظرة الترابطية القديمة تذهب إلى أنه ارتبطت فكرتان إحداهما بالأخرى فإن ظهور إحداهما يستدعي ظهور الأخرى وبطريقة آلية. وعمل الذاكرة يتحدد في هذه الحالة بقوة الارتباط وظهور العناصر العقلية معاً في الشعور. وهذه الظاهرة لا تزال تعرف في ميدان التعلم باسم «ظاهرة الإقتران». وتجربة التداعي - كما يسميها يونغ - تقوم على مثل هذه الأفكار.

أما وجهة النظر الثانية، فقد كشفت مدرسة التحليل النفسي وعلم النفس العام عن نظرة جديدة في عمل الذاكرة. ذلك أن الأفكار التي نتذكرها ونستجيب بها إنما تفهم على ضوء انفعالات الفرد وعواطفه ووجداناته ورغباته واتجاهاته. وهذا هو نفس الأساس الذي تقوم عليه الاختبارات الإسقاطية. فعملية التداعي أو التذكر لا تتحدد آلياً كما تذهب المدرسة الترابطية بل تحددها وجدانات الفرد واتجاهاته وحالته النفسية أو بمعنى آخر أن هذه الحالات النفسية الداخلية وهذه الإتجاهات هي التي تحدد استجابات الفرد. وعلى هذا الأساس يمكن النظر إلى الاستجابة بأنها انعكاس لحالة الفرد النفسية واتجاهاته ورغباته.

وتعترف هذه النظرة الثانية بوجود تنظيم هرمي للقوى الديناميكية المنظمة في عمل الذاكرة، ابتداء من القوى الغريزية اللاشعورية كالدوافع والرغبات مارة بمشتقاتها كالإنفعالات والعواطف حتى تصل إلى القوى الشعورية بدرجة صغيرة أو كبيرة كالميول والإتجاهات.

وتذهب هذه المدرسة أيضاً إلى تفسير الاختلافات البسيطة في التذكر وتحريف الاستجابات عن طريق عملية الكبت التي تُبعد عن مجال الشعور كل الأفكار التي تتصل بالدوافع والرغبات اللاشعورية غير المقبولة والتي إن تمكنت من الدخول إلى مسرح الشعور سببت الألم للأنا.

كيف يمكن تطبيق هذه الأفكار في مجال التداعي؟.

الحقيقة أنه إذا استطاعت المدرسة الترابطية أن تفسر اضطرابات زمن الرجع عن طريق الصراع بين التداعيات المتساوية القوة، فإن من الصعب عليها تفسير بقية اضطرابات التداعي السابق ذكرها وفق نظرتها الترابطية.

أما النظرة الثانية للديناميكية فإنها تنظر إلى الذاكرة كجانب من جوانب عمليات التفكير. وعلى هذا الأساس تعتبر الاستجابة الناتجة جزءاً انتزع من مجرى عملية التفكير العادية بواسطة التعليمات التي يوجهها الفاحص. فاستجابة التداعي - كبقية عمليات التفكير - لها جانبها التذكري، طالما أن الكلمة «أي الاستجابة» كانت في الشعور قبل ظهورها عند الاستماع إلى الكلمة المثير. لكن لا بد من عامل ديناميكي يدفعها إلى مسرح الشعور. فما هو هذا العامل؟ يجيب ربابورت بأنه «اتجاهات» التطابق والتعليمات التي يوجهها الفاحص. وهذه الإتجاهات هي اشتقاقات بعيدة من الغرائز والدوافع التي توجد في قاعدة التنظيم الهرمي للعوامل الديناميكة المنظمة. وكلما ابتعدت هذه العوامل الديناميكة عن قاعدة التنظيم الهرمي وأصبحت أكثر معقولية، فإنها تُنسب إلى الأنا - لا إلى الهو - وتصبح أقرب إلى الشعور؛ على حين كلما اقتربت هذه العوامل الديناميكية من قاعدة التنظيم الهرمي للقوى المنظمة فإن تصوراتها تصبح أقرب إلى الفطرة. وبعبارة أخرى كلما كانت العوامل الديناميكية أكثر بعداً عن قاعدة التنظيم الهرمي، كانت تمثلاتها أكثر اتفاقاً والمنطق والعرف الاجتماعي، ونتيجة لكون الإتجاه هو العامل الديناميكي الذي يُدخل استجابات التداعي إلى مسرح الشعور، فإنه يحدث هناك ثبات داخلي في استجابات العاديين من الناس بالنسبة للمثير. أما الاستجابات الشاذة وغير العادية فإنها أكثر حدوثاً وتواتراً مع حالات سوء التكيف العميق. ومن هنا يمكن القول بإنه كلما كانت الأنا أكثر تماسكاً كان الفرد أقدر على الاستجابة العادية والتمسك باتجاه التطابق وتعليمات الاختبار، على حين يؤدي ضعف الأنا إلى فساد هذا الإتجاه.

ولا تختلف عملية الاستجابة لموقف الاختبار عن عملية الاستجابة لمواقف الحياة العادية. ومن هنا لا ندهش أن تثير تعليمات الاختبار استجابات لا يمكن

التنبؤ بها، كما تكشف أيضاً عن قدر من الثبات الداخلي عند الفرد. وكلما كان الفرد متماسكاً كانت إمكانية التنبؤ أكثر والثبات الداخلي أكبر. ويختلف الأمر في حالة سوء التواقف الذي يفسد هذا الثبات ويسمح للعواطف والإنفعالات وما يحدث لهما من كف أن تملي استجابات معينة أو تمنعها في مواقف الاختبار، على نحو ما يحدث أيضاً في مواقف الحياة. وأبسط صور التداخل مع الاستجابة ما يسمى عادة بالكبت والكف والإعاقة والتي تؤدي إلى تأخير زمن الرجع في الحالات المعتدلة البسيطة، وعدم الاستجابة والتوقف عن الإنتاج في الحالات الشديدة.

وإذا كان الباحثون قد درسوا أشكال اضطرابات التداعي فإنهم لم يتوسعوا في دراسة أثر سوء التوافق على عملية اختيار الاستجابة. إن التحليلات الأولى لتجربة التداعي كما يسميها يونغ اهتمت أساساً بطول أو قصر زمن الرجع باعتبار أنه يعكس أثر الكبت الصادر عن العقدة التي مستها الكلمة «المثير»، كما اهتمت أيضاً بالكلمات التي يمكن أن تتخذ أدلة على «محتوى العقدة». ولكن هذا في الحقيقة لا يتكافأ والجهد الكبير الذي يبذل في البحث عنها عن طريق اختبار التداعي. ويمكن القول على وجه العموم إن شدة الصراع الذي تلمسه الكلمة «المثير» ودرجة ضعف تنظيم الأنا، هما المسؤولان عن مثل هذه الاضطرابات في التداعي. ويذهب ربابورت إلى أنه حين تكون شدة الصراع هي السبب الرئيسي فإن اضطراب التداعي يكون بارزاً وواضحاً. أما إذا كان السبب الرئيسي، هو ضعف تنظيم الأنا، فإن اضطراب التداعي يكون في الأغلب عاماً ومنتشراً.

ثانياً: تكوين المدرك أو المفهوم في استجابة التداعي:

إن الإتجاه الذي تعبئه التعليمات يتطلب الاستجابة بكلمات تتصل ذهنياً بالكلمة «المثير». ومن المعروف أن عمليات التفكير تمر بطور إعدادي يستعرض فيه الفرد شتى الاحتمالات التي يمكن أن تدخل مسرح الشعور. ويمثل هذا الطور حالة ما قبل الشعور عند الشخص العادي. والفاحص المدقق يمكنه أن يحصل - عن طريق الاستبطان - على تقارير عما يجري في نفس الفرد خلال الفترة المنقضية بين سماع الكلمة «المثير» وإعطاء الكلمة «الاستجابة».

كيف حدثت الصور الذهنية، وكيف ظهرت كلمات أخرى غير التي استجاب بها، وكيف اسبعدت إلى أن وصل المفحوص إلى الاستجابة السريعة المألوفة في نهاية الأمر.

ويبدو أن الأنا الحسنة التوافق تساعد على ظهور اتجاهات التطابق والتعليمات، وتشجع على دخول الأفكار المألوفة والمتصلة بالمثير إلى مسرح الشعور.

وعلى ذلك فليست الذاكرة وحدها هي التي تلعب دوراً في تحديد استجابة التداعي بل هناك أيضاً ناحية تكوين المدركات أو المفاهيم.

ثالثاً: التوقع في عملية التداعي:

ومتى تبدأ عملية التفكير فإنها تتمثل في فكرة أو أكثر من الأفكار الواضحة في الشعور، كما تتمثل في اتجاه أكثر أو أقل غموضاً أطلق عليه ربابورت اسم «التوقع». والفكرة الواضحة في الشعور تتمثل عادة في اختبار التداعي في الكلمة «المثير». أما التوقع فيثيره السياق الذي تظهر فيه الفكرة في الشعور. وهذا السياق يتحدد - في اختبار التداعي - بتعليمات الاختبار. والمعروف أنه عندما تدخل الفكرة الواضحة - وهي هنا المثير - إلى الشعور، فإن الفكرة اللاحقة التي تدخل بعدها إلى شعور والتي يستجيب بها الفرد لفظياً «وهي هنا الاستجابة». يجب أن تحقق بدرجة كبيرة أو قليلة التوقع المصاحب للفكرة الأولى. أما كيف يحدث هذا، أعني كيف تقوم الوظيفة الإنتقائية للتوقع بعملها فهذا ما لم يتضح بعد.

ويمكن القول عامة بأن صفة التوقع العادية في استجابة التداعي تظهر أو تكون نتيجة إملاء تعليمات الاختبار، كما أنها تؤدي إلى الكلمة «الاستجابة» المألوفة.

ويظهر الجانب التوقعي بصورة مباشرة في الاستجابات التي يقوم فيها المفحوص بتصحيح نفسه والتي تتضح غالباً في العبارات التي يبدأها عادة بقوله «أنا أقصد . . . كذا» «كنت أريد أن أقول كذا». أو «إن الكلمة الأخيرة» هي أقرب الكلمات إلى ما كنت أريد قوله».

٢ ـ خصائص الشكل والمحتوى في استجابات التداعي:

ميز ربابورت و«جيل» و«شافر» بين نواحي الشكل والمحتوى في استجابات التداعي وذلك على نحو ما هو حادث في اختبار T.A.T واختبار بقع الحبر لروشاخ وميز كل منهما بخصائص معينة:

أولاً: خصائص الشكل:

ويمكن النظر إلى خصائص الشكل من ناحيتين:

١ ـ قرب الاستجابات بالكلمة «المثير» أو التصاقها به. ويأخذ هذا الالتصاق صوراً متعددة:

أ ـ الاستجابة بنفس الكلمة المثير.

ب ـ إعطاء تعريف من عدة كلمات على أنه استجابة «بيت ـ اللي بنسكن فيه».

جـ ـ الاستجابة بنفس الكلمة المثير ونسبتها إلى الذات «بيت ـ بيتي».

د ـ إعطاء استجابة مرتبط بصورة تعسفية وبشكل غير عادي بالكلمة المثير.

وقريب من هذا النوع أيضاً بعض الاستجابات المألوفة أو القريبة من المألوفة مثل «بيت ـ منزل».

٢ ـ بعد الاستجابة وهذا البعد قد يأخذ صورة هرمية تتمثل في المراحل الآتية:

أ ـ أكثرها بعداً وتطرفاً: تلك التي لا تشير إلى وجود أية علاقة ظاهرة بين الكلمة «المثير» والكلمة «الاستجابة». «كتاب ـ أنجولا». وقد يذكر المفحوص نفسه أثناء التحقيق أنه لا يعرف سبباً لإعطاء هذه الاستجابة.

ب ـ أقل منها تطرفاً تلك التي تشير إلى وجود علاقة ضعيفة يمكن أن يدركها الفاحص وإن ظلت غامضة مع ذلك بالنسبة للمفحوص.

جـ ـ أقل منهما تطرفاً تلك التي يستطيع فيها المفحوص أن يفسر العلاقة

الضعيفة الظاهرة تفسيراً غامضاً أثناء التحقيق «رقص ـ أكل» على أساس أن الناس يأكلون أحياناً في حفلات الرقص.

د ـ يليها في الترتيب الاستجابات التي يثبت من التحقيق أنها استجابات غريبة «بيت ـ قاضي».

هـ ـ وأخيراً وأقلها بعداً وتطرفاً تلك التي تقرب من الاستجابات المألوفة.

أما الاستجابات التي تندرج تحت أو التي لا تربطها بالمثير أية رابطة فإنها تعتبر دليلاً ـ باستثناءات قليلة ـ على وجود حالة فصام. وإذا كانت الاستجابة البعيدة من النوعين ب وجـ فإنها تشير إلى حد ما إلى حالة ما قبل الفصام. أما النوع د فقد يظهر عند حالات الإكتئاب والعصاب كما يظهر لدى العاديين المتحررين الذين لديهم طاقة زائدة في التفكير أما النوع الأخير فإنه يشير إلى حالة معتدلة البعد.

ثانياً: خصائص المحتوى:

أما اضطرابات المحتوى فقد تنشأ من ناحية الكلمة «المثير» أو من ناحية الكلمة «الاستجابة».

١ ـ أما من ناحية المثير فقد ترجع إلى عدم معرفة المفحوص بالكلمة. وقد يكون المفحوص صادقاً في قوله أو قد يكون ذلك وسيلة لتجنب الكلمات التي يحاول إخفاء دلالتها الحقيقية عن نفسه (من هذا النوع كلمة انتصاب، استمناء).

٢ ـ خطأ المفحوص في فهم الكلمة المثير. وهذا الخطأ لا ينشأ في الأغلب من نطق الفاحص للكلمة بل يحدث بالنسبة لكلمات خاصة ولأسباب إنفعالية.

٣ ـ إن الكلمة المثير تشير إلى مجموعة الأفكار المتصارعة.

أما من ناحية الاستجابة فإن تحليل محتواها يثير أمامنا مشكلة أسماء الأعلام التي يقدمها المفحوص، وهل هي مستمدة من عالمه الشخصي. كما يثير أيضاً مشكلة الاستجابات المبتذلة. والحقيقة أن هذا النوع الأخير من الاستجابات نادر الورود إلا عند الذهانيين.

وعند تحليل المحتوى من أجل التشخيص الإلكينيكي، يجب أن نعرف هل تتجمع اضطرابات التداعي وتتراكم حول مجموعة خاصة من الكلمات «المثير» أم هل هناك استجابات فريدة ذات دلالة خاصة من حيث صلتها بالكلمة المثير، أما بالنسبة لتراكم اضطرابات التداعي حول مجموعة خاصة من الكلمات فقد يساعد على الكشف عن المدمنين على المشروبات الكحولية ومدمني المخدرات وبعض الحالات السلبية وحالات الإكتئاب وبعض حالات العدوان المكبوت. أما الاستجابات الفريدة فقد تستخدم كمادة تفيد في تكوين صورة عن الفرد ومشكلاته على نحو ما تكشف عنه الاستجابات «اتصال جنسي ـ خوف»، «رجل ـ وحش».

وإذا كان الإكلينيكي يستطيع الوقوف على دلالات خاصة عن اضطرابات تداعي الفرد بالنسبة لكلمات مثل «رجل ـ وحش»، «زوج ـ قاس» «اكتئاب ـ مجنون»، إلا أنه يجب مع ذلك أن نحذر الإستنتاجات السريعة التي قد تؤدي إلى الوقوع في الخطأ. بل يجب أن ننظر إلى الصورة العامة التي نكونها من الاختبار ككل ومن الخصائص الشكلية التي تساعدنا في الكشف عن اضطرابات المفحوص.

٣ ـ الدلالات التشخيصية لاختبار التداعي:

طبق كل من رابابورت وجيل وشافر اختبار التداعي هذا على عينة من ١٥١ شخصاً بين ذهاني وعصابي وعادي. ولقد توصلوا على ضوء النتائج التي انتهوا إليها من هذه التجربة إلى وضع بعض الدلالات الإكلينيكية التي يمكن على أساسها تشخيص الحالات المرضية الكبرى، وما تتفرع إليه من مجموعات فرعية. وفي ما يلي إشارة إلى النتائج التي توصل إليها هؤلاء.

١ ـ الفصام:

تتميز استجابات الفصام المختلط وحالات الفصام البارانوي والفصام البسيط بالمميزات الآتية:

أ ـ كثرة ما يعطونه من استجابات بعيدة عن الكلمة «المثير» وهم يكشفون

عن طريق هذه الاستجابات عن سلسلة مرضية من المكونات غير الشعورية لعملية تداعي الفكر عندهم.

ب - ميل واضح نحو إعطاء التداعي القائم على التشابه في أوزان الكلمات Clang association وكذلك ميل واضح لتكلمة الجمل. ورغم أن هذا النوع من التداعيات تعتبر استجابات قريبة أكثر منها بعيدة، إلا أنها أكثر انتشاراً في التفكير الفصامي عنه في أية مجموعة أخرى، كما يمكن اتخاذها كأدلة على الهرب والاندفاع غير المعقول.

جـ - كثرة الاستجابات المتعددة الكلمات. وكثرة التوقف (في صورة الفشل في الاستجابة أو تكرار الكلمة المثير).

د - التنوع الكبير في أزمنة الرجع فبعضها طويل وذلك عكس ما يميلون إليه من الاستجابة السريعة عامة.

هـ - السرعة النسبية التي يقدمون بها استجاباتهم البعيدة. وهذه السرعة تميزهم إلى حد بعيد عن حالات الإكتئاب التي تميل إلى إعطاء هذا النوع من الاستجابات ببطء ظاهر.

و - عند إعادة الإنتاج تنجرف استجابات الفصاميين بشكل ظاهر وخطير أكثر مما هو عليه الحال بالنسبة للعصابيين والعاديين.

فإذا انتقلنا إلى المجموعات الفرعية التي نجدها داخل الفصام فإننا نجد حالات الفصام المختلط المنهارة Detertoirated Unclassified Sehizophrenia تتميز بعدم ارتباط استجاباتهم بالكلمة المثير وبعدها الظاهر وبإعطاء تعريفات وكثرة التوقف والتداعي الذي يقوم على التشابه في الصوت بين الكلمات والاختلاف الظاهر في زمن الرجع وعدم القدرة على إعادة الإنتاج وتضمنه لإجابات خاطئة وبعيدة عن الاستجابات الأصلية.

أما حالات الفصام البسيط فيميلون إلى إعطاء استجابات لا تربطها رباطة بكلمة (المثير) وباستمرارهم على إعطاء استجابات معنية لكلمات كثيرة.

أما حالات البارانويا فإن عدد ما يعطونه من استجابات بعيدة عن المثير كبير نسبياً، يفوق بكثير عدد ما يعطيه العاديون والعصابيون، كما يميلون إلى إعطاء تعريفات كثيرة وإلى تكرار الكلمات بشكل يشير إلى الجمود في تكوين شخصياتهم. أما زمن الرجع وإعادة الإنتاج عندهم فإنهما لا يتميزان باضطراب ظاهر على وجه العموم.

٢ ـ حالات ما قبل الفصام:

فإذا انتقلنا إلى حالات ما قبل الفصام فقد أشار «ربابورت» إلى أن النوع الكفوف أو المعاق من هذه الحالات يشبه حالات الإكتئاب إلى حد بعيد في كثرة ما يعطونه من استجابات قريبة من الكلمة المثير، إلا أنهم يختلفون عنهم في عدم الإبطاء في إعطاء الاستجابة وعدم تجميع عدد كبير من الاستجابات القريبة قدر الإمكان وبجودة إعادة الإنتاج.

٣ ـ الإكتئاب:

ويتميز هؤلاء عن بقية الحالات الأخرى ببطء الاستجابة وتجميع كل أنواع الاستجابات القريبة خصوصاً التعريفات. ويتميز الإكتئاب الذهاني بكثرة ما يعطيه المرضى من استجابات قريبة من المثير، أو بعيدة عنه وبصور التوقف المختلفة. وعلى العموم فإن بطء الاستجابة في الاستجابات البعيدة هو الذي يميز عادة حالات الإكتئاب عن حالات الفصام.

٤ ـ العصابيون:

تتميز حالات الهستيريا التي درسها «ربابورت» عن غيرها من الحالات العصابية بكثرة التوقف خصوصاً بالنسبة للكلمات ذات الدلالة الجنسية؛ كما تتميز بعدم الاستجابة أحياناً وبإعطاء تعريفات. وفي ما عدا ذلك تكشف استجابات التداعي وإعادة الإنتاج عندهم عن اضطراب نوعي بسيط. وعلى العموم فاستجابات التداعي وإعادة الإنتاج عندهم من النوع المنتظم كما أن زمن الرجع عندهم لا يتأثر كثيراً.

أما بالنسبة لحالات القهر والوساوس فتتميز بكثرة ما تعطيه من صور بصرية للاستجابات. ومع ذلك فهي لا تكشف عن الاضطرابات الكثيرة التي تكشف عنها حالات ما قبل الفصام المعاقة أو المكفوفة والتي تكثر من إعطاء الصور البصرية.

وعلى العموم يمكن القول بأن الحالات العصابية تتميز عن حالات الفصام والإكتئاب بقلة ما تعطيه من استجابات بعيدة عن المثير وملتصقة به وبطول وتنوع زمن الرجع.

وأخيراً ماذا يمكن أن نفيد من دراستنا لاختبارات التداعي.

٤ ـ أهمية اختبار التداعي:

أولاً: تحديد مجالات الاضطراب الإنفعالي:

استخدم يونغ اختبار التداعي في تحديد مجالات الاضطراب الإنفعالي والكشف عن العقد النفسية عند الفرد. وهو في هذه الناحية يتبع فرويد الذي استخدم التداعي الحر في الكشف عما لدى الفرد من نواحي الاضطراب النفسي. وقد اتخذ يونغ من زمن الرجع أحد الأدلة الهامة على القول بوجود اضطراب، كما وجد فروقاً أخرى بين جماعات الناس. فالمتعلمون والإذكياء زمن الرجع عندهم أقصر من زمن الرجع عند غير المتعلمين.

وقد ذهب معظم الباحثين إلى أن طول زمن الرجع والتوقف يكونان عادة مصحوبين باضطراب إنفعالي. ولقد اتخذ «سيموندز» من النقط الآتية أدلة على الاضطراب الإنفعالي لدى الفرد:

١ ـ طول زمن الرجع: فإذا زاد عن ٢,٦ ثانية للكلمة كان له دلالة خاصة.

٢ ـ العجز عن تقديم أية استجابة حتى ولو أخذ وقتاً يزيد على دقيقة. ويرجع هذا العجز إلى عوامل كثيرة منها كف الاستجابة وتحول الانتباه نتيجة الخيالات الكثيرة التي تطرأ على الفرد أو استغراق الفرد في سلسلة من الخيالات والأوهام.

٣ ـ قصر زمن الرجع بشكل ملحوظ جداً.

٤ ـ تكرار الكلمة المثير نفسها.

٥ ـ سوء فهم الكلمة المثير والذي يرجع إلى رغبة قوية ملحة لدى الفرد لعدم الفهم، على نحو ما يذهب التحليل النفسي.

٦ ـ المداومة على إعطاء استجابة واحدة لكلمتين أو كلمات كثيرة مختلفة.

هذا وقد يكشف الصفير أو الحركات الجسمية والعصبية التي يقوم بها المفحوص عن وجود اضطراب إنفعالي أو حالة قلق لدى الفرد. ومن الممكن الإستعانة بالأدوات المعملية الحديثة في قياس تغيرات ضغط الدم وتغيرات سرعة التنفس للكشف عن كثير من هذه الأدلة السيكلوجية.

ثانياً: التشخيص الإكلينيكي:

يمكن استخدام اختبارات التداعي كوسيلة للتمييز بين العاديين والشواذ، كما يمكن أن يفيد أيضاً في التمييز بين المجموعات المرضية الكبيرة والمجموعات الفرعية التي توجد داخلها. وقد بدأ هذا الإتجاه عند «كربلين» ثم عند «كينت» و«روزانوف» اللذين طبقا قائمتهما المكونة من ١٠٠ كلمة. على عينة من الأفراد ووضعا جداول تواترت الاستجابات ١٠٠٠ شخص عادي كما وضعا نظاماً للتصنيف يعتمد على محتوى الاستجابة. وعلى ضوء مقارنة استجابات المفحوص بجداول التواترات العادية يمكن التمييز بين الاستجابات المألوفة الشائعة التي تعتبر عادية والاستجابات الخاصة الفردية والتي قد يكون لها دلالة مرضية.

ثالثاً: الكشف عن الجريمة:

وعلى أساس الفكرة التي تذهب إلى أن الشخص الذي يحاول إخفاء معرفته بجرم ما أو الذي يخاف أن تكتشف جريمته، سوف يظهر عليه الاضطراب الإنفعالي، فليس من الغريب أن يستخدم اختبار التداعي في الكشف عن الجريمة. فعن طريق أدلة الاضطراب الإنفعالي يمكن التمييز بسهولة بين المذنب والبريء،

خصوصاً بالنسبة للكلمات التي تتصل بالمشكلة أو الجرم. ولكن على الرغم من أن «ليش ووشبورن» قد وصلا إلى نتائج ملحوظة في الكشف عن المجرمين باستخدام اختبار التداعي إلا أنه لا يمكن بالطبع الاعتماد على مثل هذه الوسائل اعتماداً كبيراً.

II ـ اختبار تكملة الجمل الناقصة

ويتطلب هذا النوع من الاختبارات تكملة عدد من الجمل الناقصة. وهناك تشابه ظاهر بين هذا الاختبار واختبار التداعي. ومع ذلك فثمة فروق واضحة بينهما.

١ ـ من ناحية المثير: المثير في اختبار تداعي الكلمات كلمة واحدة فقط، بينما في اختبار تكملة الجمل، جملة ناقصة عادة. وقد يكون المثير في أحيان قليلة كلمة واحدة.

٢ ـ من ناحية الاستجابة: في اختبار تداعي الكلمات كلمة واحدة فقط، على حين في اختبار تكملة الجمل، يتطلب من المفحوص أن يستجيب بالفكرة الأولى التي ترد إلى ذهنه والتي تعبر عن مشاعره دون الإصرار على أن تكون كلمة واحدة فقط.

٣ ـ من ناحية الإجراء: في اختبار تداعي الكلمات يقاس زمن الرجع لكل استجابة. وقد يمارس الفاحص بعض ألوان الضغط لجعل المفحوص يستجيب بكلمة واحدة فقط أو كي يسرع في استجابته الخ. على حين في اختبار تكملة الجمل الناقصة لا نلجأ إلى قياس زمن الرجع للاستجابة أو ممارسة أي ضغط حقيقي على المفحوص للقيام بعلمية التداعي المباشر. ومن هنا تكون الاستجابة في اختبار تكملة الجمل الناقصة أقرب ما يكون إلى المعلومات التي يرحب الفرد بتقديمها، منها إلى المعلومات التي لا يحب تقديمها. فالاختبار يسمح للفرد أن يعبر عن نفسه بحرية أكثر، كما أنه يمس مجالات أوسع في عالمه الخاص به.

٤ ـ هناك فرق آخر يرتبط بناحية الإجراء وهو أن صعوبة الإجراء الجمعي

لاختبار تداعي الكلمات التي تنجم عن ضرورة قياس زمن الرجع لكل كلمة، تنتفي في اختبار تكملة الجمل الناقصة. فهذا النوع الأخير يمكن تطبيقه جمعياً وعلى عدد كبير من الأفراد في وقت واحد. وليس من شك أن هذه ميزة لهذا النوع الأخير تفيد في مجال البحوث التجريبية.

١ ـ اختبار تكملة الجمل كاختبار إسقاطي:

يرفض بعض الإكلينيكين اعتبار اختبار تكملة الجمل اختباراً إسقاطياً. ومع ذلك ففيه جميع مقومات الاختبار الإسقاطي. فطبيعة الاختبار مبهمة وغامضة وناقصة التكوين إلى حد ما، ويطلب من المفحوص أن يعطيه معنى محدداً واضحاً. كما أن المفحوص لا يستطيع أن يدرك بوضوح المغزى الذي يكمن وراء الإجابات ولا يمكنه أن يعرف ما إذا كانت إجاباته جيدة أو غير جيدة.

لقد قدم «جوزيف م. ساكس وليفي» الدليل على أن اختبار تكملة الجمل الناقصة اختبار إسقاطي بتجربة بسيطة.

طلب ساكس وليفي من عشرة أشخاص تكملة العبارة الآتية بسرعة وبدون تفكير في محتواها «الطريقة التي عامل بها والدي والدتي تجعلني أحس...»، وقد حصل الباحثان على الاستجابات التالية:

١ ـ بالسعادة التامة.

٢ ـ بعدم الإكتراث إلى حد ما.

٣ ـ بالرغبة في قتله.

٤ ـ بالسير على منواله.

٥ ـ بأنها طريقة طيبة.

٦ ـ بالثورة والتمرد.

٧ ـ بأنها طريقة لا ضير فيها.

٨ ـ بالسعادة التامة.

٩ ـ بالفزع.

١٠ ـ بأنه طفل صغير.

ولقد تشابهت الإجاباتان الأولى والثامنة. أما بقية الإجابات ففريدة في نوعها. ومن الممكن دراسة هذه الإجابات العشر ـ التي حصلا عليها رداً على عبارة واحدة فقط ـ من ناحية الشكل والمحتوى. أما من ناحية الشكل فمن الممكن دراسة زمن الرجع بالنسبة لكل استجابة منها، وعدد الكلمات التي تحتويها الاستجابة، وطريقة إخراج الكلمات. أما من ناحية المحتوى فمن الممكن الوقوف على الحالة الإنفعالية وشدتها وكونها ذات شحنة إيجابية أو سلبية. وواضح أن خمس استجابات منها كانت إيجابية على حين كانت الخمس الأخرى سلبية. فهناك فرق بين الحالة الوجدانية للشخص الذي يقول إنه يشعر بالسعادة نحو الطريقة التي عامل بها والده والدته، وبين الحالة الوجدانية للشخص الذي قال إنه يرغب في قتله. وحتى داخل المجموعة الواحدة هناك فرق في الدرجة بين الإجابات المختلفة.

ففي المجموعة السلبية هناك فرق بين من يقول إنه غير مكترث إلى حد ما وبين من يرغب في قتله، ومن يحس بالثورة والتمرد، ومن يشعر بالفزع، ومن ينظر إليه على أنه طفل صغير. وبالمثل داخل المجموعة الإيجابية هناك فرق في الدرجة بين مَنْ يقول أنه يحس بالسعادة التامة، وبين مَنْ يقول لا ضير، أو مَنْ يرغب في السير على منواله.

وعلى ضوء هذه الاستجابات يمكن وضع فروض معينة عن انفعالات الفرد واتجاهاته وعملياته العقلية من دراستنا لعبارة واحدة. وليس من شك أن الفائدة تزداد إذا أصبح لدينا اختباراً مؤلفاً من خمسين أو ستين عبارة. فاختبارات الجمل الناقصة اختبارات إسقاطية يمكن أن تستخدم كبقية الاختبارات الإسقاطية المعروفة في الكشف عن شخصية المفحوص وجوانبها من اتجاهات وحاجات وسمات إنفعالية مختلفة.

٢ ـ أهمية الاختبار:

ذهب روهدا[١] إلى أن اختبار تكملة الجمل أو Sentence (S.C.T.) Completion Test يعتبر أداة صالحة في يد السيكلوجي الإكلينيكي وكل مَنْ يريد الوقوف على حاجات الأفراد وأخيلتهم ومشاعرهم واتجاهاتهم ومستويات طموحهم وما يدور بداخلهم من صراع. ذلك أن الأسئلة المباشرة التي نوجهها إلى الأفراد على نحو ما هو حادث في بعض الاستفتاءات واختبارات الشخصية، من شأنها أن تجعل الفرد في حالة وعي بذاته، ومن ثم يسهل عليه أن يتخذ موقفاً دفاعياً ضد كثير من العبارات التي توجه إليه. أما الاختبارات الإسقاطية ومنها اختبار تكملة الجمل، فإنها تبعد عن هذه المقاومة وتكشف عن المشاعر والإتجاهات ومستويات الطموح التي قد لا يرحب الفرد أو لا يقدر على التعبير عنها بصورة مباشرة. وقد وضع روهدا اختباراً في تكملة الجمل يتكون من ٦٤ جملة ناقصة روعي في اختيارها وتكوينها أن تحقق المعايير الآتية:

١ ـ اتساع نطاق المثيرات المختلفة من أجل الحصول على معلومات تتصل بجوانب الشخصية المتعددة.

٢ ـ أن تكون العبارة المستخدمة «كمثير» من النوع الذي يسمح للفرد أن يعبر عن نفسه بحرية.

٣ ـ ألا يتجاوز الزمن الذي يستغرقه الإجراء ساعة واحدة.

ويحوي الاختبار عبارات مثل: عملي المدرس...، هناك أوقات...، أشعر بالإرتباك... وكانت التعليمات التي توجه إلى المفحوص عامة وهي أن يكمل الجملة الناقصة وأن أية إجابة يقولها تعتبر مقبولة.

وقد انتشر استخدام اختبارات تكملة الجمل خلال سنوات الحرب فطبقه كل

---

(١) Rohda A.R., Explorations in personality by the sentence completion method. J. Appl. Psychol. 1946, 30, 169 - 181.

من هت Hutt وهولز برج Holzberg وشور Shor في مستشفيات القوات المسلحة الأمريكية. ويعتبر اختبار شور تعديلاً لطريقة تداعي الكلمات، بينما يستخدم هولز برج عبارات من اختبار تندلر وشور. وتهدف تعليمات هذه الاختبارات إلى تشجيع حرية الفرد وتلقائيته في الاستجابة وهي «أكمل الجمل الآتية بحيث تعبر عن مشاعرك الحقيقية. أكتب الفكرة الأولى التي ترد إلى ذهنك». ويحوي اختبار شور ٥٠ عبارة تبدأ بكلمات مثل «أنا أود أن أعرف... أن أشعر...» أهم القرارات التي اتخذتها كانت...

وهذه بعض المتغيرات الكبرى التي استخدمها شور في التفسير الإكلينيكي.

١ ـ مجالات النبذ التي يكشف عنها رفض المفحوص الاستجابة أو ترك الجملة ناقصة دون تكلمة.

٢ ـ مجالات المقاومة حيث التوقف والتهرب. وذلك عن طريق الاستجابة ببعض التداعيات المعروفة أو غير الشخصية. ولم يقدم شور أي تقييم كمي للاختبار بل اكتفى بالتحليل النوعي للاستجابات.

أولاً: اختبار ساكس

ومن المحاولات التي أجريت في اختبار تكلمة الجمل تلك التي قام بها «جوزيف م. ساكس» والتي تستخدم في المجالات الإكلينيكية استخداماً واسعاً. وسوف نقدم في ما يلي فكرة مفصلة إلى حد ما عن هذا الاختبار.

يهدف اختبار ساكس إلى دراسة مجالات أربعة من مجالات التوافق هي: الأسرة، الجنس، العلاقات الإنسانية المتبادلة، فكرة المرء عن نفسه. وقد لاحظ ساكس أن عبارات الاختبار تتيح للفرد فرصاً كافية للتعبير عن اتجاهاته وبشكل يسمح للسيكلوجي أن يستدل منها على اتجاهات الشخصية السائدة وتفيده في الكشف عن الحالات المرضية وتعطي للإكلينيكي أدلة هامة عن محتوى اتجاهات المريض ومشاعره.

المجال الأول: فهو مجال الأسرة ويتضمن ثلاث مجموعات من الإتجاهات: إتجاهات نحو الأم واتجاهات نحو الأب وإتجاهات نحو وحدة الأسرة. وكل إتجاه من هذه الإتجاهات يعبر عنه بأربع عبارات، تسمح للفرد أن يكشف عن إتجاهاته نحو والديه كأفراد ونحو الأسرة ككل. وبذلك يصبح مجموع عبارات المجال الأول ١٢ عبارة منها: «أنا وأمي. . .»، «أود لو أن والدي»، «معظم الأسر التي أعرفها».

المجال الثاني: مجال الجنس ويبحث الإتجاهات نحو النساء والعلاقات الجنسية الغيرية. والعبارات التي تتصل بهذا المجال ثمانية تسمح للفرد أن يعبر عن إتجاهه نحو النساء كأفراد في المجتمع ونحو الزواج والعلاقات الجنسية ذاتها. من ذلك مثلاً «عندماأشاهد رجلاً وامرأة معاً. . .»، «حياتي الجنسية».

المجال الثالث: مجال العلاقات الإنسانية المتبادلة ويتضمن الإتجاهات نحو (أ) الأصدقاء والمعارف، (ب) زملاء العمل أو المدرسة، (جـ) رؤساء العمل أو المدرسة، (و) المرؤوسين. ويكشف عن كل اتجاه من هذه الإتجاهات أربع عبارات تسمح للفرد أن يعبر عن مشاعره نحو الآخرين خارج نطاق الأسرة، وأن يعبر عن رأيه في شعور الآخرين نحوه. . . من ذلك مثلاً: «عندما أرى رئيساً قادماً. . .» «هؤلاء الذين أعمل معهم. . .».

أما المجال الأخير فيتصل بفكرة المرء عن نفسه ويتضمن النواحي الآتية:

أ ـ المخاوف.

ب ـ الشعور بالذنب.

جـ ـ الأهداف.

د ـ فكرة المرء عما لديه من قدرات.

هـ ـ فكرة المرء عن الماضي.

و ـ فكرة المرء عن المستقبل.

والإتجاهات التي يعبر عنها هذا المجال تعطي للسيكلوجي صورة عن فكرة المرء عن نفسه على نحو ما هي عليه الآن، وما كانت عليه في الماضي، وما ينبغي أن تكون عليه في المستقبل. ومجموع عبارات هذا المجال ٢٤ عبارة منها مثلاً «معظم أصدقائي لا يعرفون أني أخاف من...» «أكبر غلطة ارتكبتها كانت...» «أعتقد أن عندي القدرة على...» «عندما كنت طفلاً، كانت أسرتي...» «الشيء الذي أطمح إليه سراً...».

وقد وضع ساكس التعليمات الآتية لاختباره: «في ما يلي ستون جملة ناقصة إقرأ كل واحدة منها وأكملها بكتابة أول شيء يرد إلى ذهنك. اعمل بأسرع ما يمكنك. إذا لم تتمكن من تكملة جملة ما، فضع دائرة حول الرقم المقابل لها وانتقل إلى الجملة التي تليها ثم عد إليها لإكمالها في ما بعد».

وعندما يبدأ المفحوص الإجابة يسجل الفاحص زمن الإبتداء في المكان المخصص له وعند الإنتهاء يسجل أيضاً زمن الإنتهاء. وإذا سمحت الظروف للفاحص فمن الممكن أن يقوم بعملية تحقيق، فيختار العبارات التي تبدو له خاصة أو غريبة ويطلب من المفحوص أن يوضحها. وفي الحالات التي يشعر فيها المفحوص بالقلق، يمكن إجراء الاختبار شفهياً وتسجل الإجابات وقد يجد المفحوص فرصة لاستخدام هذه العبارات للقيام بعملية تفريغ. كما قد يسمح الاختبار للفاحص أن يقف على المجالات الخاصة التي تثير اضطراب المفحوص وبذلك يتتبع ما يطرأ عليه من تغيرات جسيمة ظاهرة كتغير نبرات الصوت أو تعبيرات الوجه أو ما يطرأ على سلوكه من تغير.

وفي ما يلي صورة كاملة من «اختبار ساكس لتكملة الجمل» والذي يرمز إليه بالرمز SSCT[1].

---

(١) سلامة أحمد عبد العزيز: اختبار ساكس لتكملة الجمل، دار الثقافة، القاهرة ١٩٦٥.

الإسم . . . . السن . . . .

الجنس . . . . . . تاريخ الإجراء . . . . . .

زمن الإبتداء . . . . . . زمن الإنتهاء . . . . . . مدة الاختبار . . . . . .

قائمة الجمل الناقصة

١ ـ أشعر أن والدي قليلاً ما. . .

٢ ـ عندما لا تكون الظروف في جانبي. . .

٣ ـ كنت أود دائماً أن. . .

٤ ـ لو أنني كنت مسؤولاً عن. . .

٥ ـ المستقبل يبدو لي. . .

٦ ـ الناس الذين هم أعلى مني. . .

٧ ـ أنا أعلم أنه من الحماقة ولكنني أخاف من. . .

٨ ـ أشعر أن الصديق الحق. . .

٩ ـ عندما كنت طفلاً. . .

١٠ ـ فكرتي عن المرأة الكاملة. . .

١١ ـ عندما أشاهد رجلاً وامرأة معاً. . .

١٢ ـ أسرتي إذا قورنت بمعظم الأسر الأخرى. . .

١٣ ـ في عملي، أكون أكثر انسجاماً مع. . .

١٤ ـ أمي. . .

١٥ ـ أنا على استعداد للقيام بأي شيء ينسيني ذلك الوقت الذي. . .

١٦ ـ بودي لو أن أبي قام بمجرد. . .

١٧ ـ أعتقد أن عندي القدرة على . . .

١٨ ـ سأكون في غاية السعادة إذا. . .

١٩ ـ لو أن الناس عملوا من أجلي. . .
٢٠ ـ أنني أتطلع إلى. . .
٢١ ـ في المدرسة المدرسون الذين يدرسون لي. . .
٢٢ ـ معظم أصدقائي لا يعرفون أني أخاف من. . .
٢٣ ـ أنا لا أحب الناس الذين. . .
٢٤ ـ قبل الحرب كنت. . . ،
٢٥ ـ أظن أن معظم الفتيات. . .
٢٦ ـ شعوري نحو الحياة الزوجية أنها. . .
٢٧ ـ أسرتي تعاملني كما لو. . .
٢٨ ـ هؤلاء الذين أعمل معهم. . .
٢٩ ـ أنا وأمي. . .
٣٠ ـ أكبر غلطة ارتكبتها كانت. . .
٣١ ـ أود لو أن والدي. . .
٣٢ ـ أكبر نقطة ضعف عندي هي. . .
٣٣ ـ الشيء الذي أطمح إليه سراً. . .
٣٤ ـ الناس الذين يعملون من أجلي. . .
٣٥ ـ في يوم ما، أنا. . .
٣٦ ـ عندما أجد رئيسي قادماً. . .
٣٧ ـ أود لو تخلصت من الخوف من. . .
٣٨ ـ الناس الذين أحبهم أكثر من غيرهم. . .
٣٩ ـ لو أني عدت صغيراً كما كنت. . .
٤٠ ـ أعتقد أن معظم النساء. . .
٤١ ـ لو كانت لي علاقات جنسية. . .

٤٢ ـ معظم الأسر التي أعرفها...
٤٣ ـ أحب أن أعمل مع الناس الذين...
٤٤ ـ أعتقد أن معظم الأمهات...
٤٥ ـ عندما كنت صغيراً كنت أشعر بالذنب نحو...
٤٦ ـ أشعر أن والدي...
٤٧ ـ عندما لا يكون الحظ حليفي...
٤٨ ـ عندما أصدر الأوامر للآخرين، فإني...
٤٩ ـ إن أكثر ما أتمناه في الحياة...
٥٠ ـ عندما تتقدم بي السن...
٥١ ـ الناس الذين أعتبرهم رؤسائي...
٥٢ ـ تضطرني مخاوفي أحياناً إلى أن...
٥٣ ـ عندما لا أكون موجوداً بين أصدقائي فإنهم...
٥٤ ـ أوضح ذكريات طفولتي...
٥٥ ـ آخر ما أحبه في النساء...
٥٦ ـ حياتي الجنسية...
٥٧ ـ عندما كنت طفلاً كانت أسرتي...
٥٨ ـ الناس الذين يعملون معي، عادة...
٥٩ ـ أنا أحب أمي، لكن...
٦٠ ـ كان أسوأ ما فعلت في حياتي...

١ ـ تقدير الاستجابات:

وضعت بطاقة التقدير بحيث تضم معاً العبارات التي تتصل بكل إتجاه فمثلاً العبارات التي تدرس الإتجاه نحو الأب تجمع معاً وهي.

١ ـ أشعر أن والدي قليلاً ما. . .

٢ ـ بودي لو أن أبي قام بمجرد عمل واحد طيب.

٣ ـ أود لو أن والدي قد مات.

٤ ـ أشعر أن أبي ليس طيباً.

ثم يلخص انطباع الإكلينيكي عن هذا الإتجاه. ففي عبارات كالسابقة يمكن أن يوضع هذا الملخص في صورة: «عدوان زائد واحتقار مع رغبة صريحة في موت الأب».

ثم توضع الدرجات المقابلة لدرجة الإضطراب في هذا المجال على النحو التالي:

درجتان: لحالة الاضطراب الشديد الذي يحتاج إلى مساعدة علاجية لعلاج الصراعات الإنفعالية المتصلة بهذا المجال.

درجة واحدة: للاضطراب المعتدل أي لمن لديه صراعاً إنفعالياً متصلاً بمجال ما، ولكن يبدو أن الفرد قادر على مواجهته بنفسه دون حاجة إلى مساعدة معالج.

صفر: حيث لا يوجد اضطراب إنفعالي له دلالة ملحوظة في هذا المجال.

× : غير معروفة لعدم كفاية الأدلة.

ويوجه ساكس التعليمات الآتية إلى الفاحص الذي يقوم بعملية تقدير الاستجابات:

«على أساس حكمك الإكلينيكي ومع تقدير العوامل المختلفة كالاستجابات غير المناسبة والإشارات ومظاهر الصراع، قدر استجابات اختبار الجمل الناقصة في القوائم الخمس عشرة الواردة بعد حسب المقياس التالي».

	درجتان	درجة واحدة	صفر	×
	القوائم	التقدير	العبارات	ملخص التفسير
مجال الأسرة	١ ـ الإتجاه نحو الأم		١٤ ٢٩ ٤٤ ٥٩	
	٢ ـ الإتجاه نحو الأب		١ ١٦ ٣١ ٤٦	
	٣ ـ الإتجاه نحو وحدة الأسرة		١٢ ٢٧ ٤٢ ٥٧	
مجال الجنس	٤ ـ الإتجاه نحو المرأة		١٠ ٢٥ ٤٠ ٥٥	
	٥ ـ الإتجاه نحو العلاقات الجنسية الغيرية		١١ ٢٦ ٤١ ٥٦	
مجال العلاقات العامة	٦ ـ الإتجاه نحو الأصدقاء والمعارف		٨ ٢٣ ٣٨ ٥٣	
	٧ ـ الإتجاه نحو رؤساء العمل أو المدرسة		٦ ٢١ ٣٦ ٥١	
	٨ ـ الإتجاه نحو المرؤوسين		٤ ١٩ ٣٤ ٤٨	
	٩ ـ الإتجاه نحو زملاء العمل أو المدرسة		١٣ ٢٨ ٤٣ ٥٨	
مجال فكرة المرء عن نفسه	١٠ ـ الإتجاه نحو الخوف		٧ ٢٢ ٣٧ ٥٢	
	١١ ـ الإتجاه نحو مشاعر الذنب		١٥ ٣٠ ٤٥ ٦٠	
	١٢ ـ الإتجاه نحو قدرات ذاتية		٢ ١٧ ٣٢ ٤٧	
	١٣ ـ الإتجاه نحو الماضي		٩ ٢٤ ٣٩ ٥٤	
	١٤ ـ الإتجاه نحو المستقبل		٥ ٢٠ ٣٥ ٥٠	
	١٥ ـ الإتجاه نحو الأهداف		٣ ١٨ ٣٣ ٤٩	

٢ ـ الملخص العام:

يجب أن يتضمن هذا الملخص العام الكشف عن:

١ ـ المجالات الرئيسية للصراع أو الاضطراب النفسي.

٢ ـ تكوين الشخصية ويشمل.

أ - مدى استجابة الفرد للدوافع الداخلية والمثيرات الخارجية.

ب - التوافق الإنفعالي.

جـ - النضج.

د - مستوى الواقع.

هـ - الأسلوب الذي يعبر به عن صراعاته.

ومع ذلك فهذه الصورة الكمية تستند إلى عامل التقدير الذاتي من ناحية الفاحص.

وثمة محاولة أخرى قام بها روتر ورافراتي لوضع تقدير كمي بالإضافة إلى التقديرات النوعية. وهذه المحاولة جديرة بالإهتمام.

ثانياً: اختبار روتر

١ - التعريف:

يعرف اختبار روتر ورافوتي باسم «اختبار روتر لتكملة الجمل الناقصة The Retter Incomplete Sentences Blank ويرمز إليه بالرموز ISB[1]. ويقوم المفحوص بتكملة الجمل الناقصة التي يتألف منها الاختبار وعددها ٤٠ جملة. أما التقدير فإنه يتم على أساس مقارنة استجابات المفحوص بنماذج تقدير حددت بطريقة تجريبية على عينة من طالبات وطلبة الكليات. ويعطي لكل إجابة درجة أو قيمة تتدرج من صفر إلى ٦ ويعتبر المجموع الكلي للدرجات دليلاً على التوافق أو سوء التوافق.

ولا تختلف تعليمات اختبار روتر عن تعليمات اختبار ساكس، سوى أن تعليمات روتر لا تتضمن الإشارة إلى الإجابة بسرعة أو مباشرة، ذلك أن التجربة التي قام بها روتر وويلرمان قد أوضحت أن التعليمات التي تؤكد وتضغط على أن

---

(١) روتر: اختبار تكملة الجمل، ترجمة صفاء الأعسر، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٣، التعليمات ونماذج التصحيح.

تكون الاستجابة مباشرة وسريعة، تؤدي بالمفحوص إلى إعطاء استجابات مختصرة كتلك التي تحصل عليها من اختبار تداعي الكلمات.

والعبارات التي يتألف منها اختبار روتر هي:

١ ـ أنا أحب...
٢ ـ أسعد الأوقات...
٣ ـ أود أن أعرف...
٤ ـ في بيتي...
٥ ـ أنا آسف...
٦ ـ وقت النوم...
٧ ـ الأولاد...
٨ ـ أفضل...
٩ ـ الشيء الذي يضايقني...
١٠ ـ الناس...
١١ ـ الأم...
١٢ ـ أنا أحس...
١٣ ـ أشد مخاوفي...
١٤ ـ في المدرسة الثانوية...
١٥ ـ أنا لا أستطيع...
١٦ ـ الألعاب الرياضية...
١٧ ـ عندما كنت طفلاً...
١٨ ـ أعصابي...
١٩ ـ غيري من الناس...
٢٠ ـ أنا أعاني...

٢١ ـ أنا فشلت . . .

٢٢ ـ القراءة . . .

٢٣ ـ عقلي . . .

٢٤ ـ المستقبل . . .

٢٥ ـ أنا في حاجة إلى . . .

٢٦ ـ الزواج . . .

٢٧ ـ أكون في أحسن حال عندما . . .

٢٨ ـ أحياناً . . .

٢٩ ـ الشيء الذي يؤلمني . . .

٣٠ ـ أنا أكره . . .

٣١ ـ هذه المدرسة . . .

٣٢ ـ أنا . . . جداً . . .

٣٣ ـ المشكلة الوحيدة . . .

٣٤ ـ أنا أتمنى . . .

٣٥ ـ والدي . . .

٣٦ ـ بيني وبين نفسي . . .

٣٧ ـ أنا . . .

٣٨ ـ الرقص . . .

٣٩ ـ أشد ما يقلقني . . .

٤٠ ـ معظم البنات . . .

والعبارات التي يتألف منها الاختبار توصف عادة بأنها قصيرة وغير متشكلة على نحو ما هو ظاهر في الجمل المبتدئة بأنا. ومن الملاحظ على اختبار روتر خلوه من الجمل المبتدئة بضمير الغائب أو اسم الغائب مثل «هو دائماً يقلقني أو

سوزان شعرت. . .»، ذلك أن التجربة قد أوضحت له أيضاً أن مثل هذه العبارات تميل إلى إعطاء استجابات نمطية وأنها تعزي حرفياً إلى الآخرين. وربما اتفق هذا الرأي مع ما يذهب إليه ساكس من أن ضمير المتكلم أكثر أهمية للأغراض الإكلينيكية من الغائب.

وكان هدف روتر من اختباره **أولاً**: إيجاد طريقة يمكن استخدامها موضوعياً في الأغراض الإكلينيكية مع مراعاة أن تحوي بعض مزايا الاختبارات الإسقاطية وأن تكون في الوقت نفسه اقتصادية من ناحيتي الإجراء والتقدير. فهي إذن محاولة موضوعية لوضع تقدير كمي لاختبار يتصف بالصفة الإسقاطية.

ثانياً: الحصول على معلومات ذات قيمة تشخيصية. وبطبيعة الحال لم يكن الهدف الأساسي هو وضع مقياس يصف الشخصية بأكملها أو يكشف عن «الدعائم العميقة في الشخصية أو عن تكوينها الأساسي» بل وضع مقياس يقتصد في وقت الإكلينيكي بشكل يسمح له بتشكيل مقابلاته الأولى دون إضاعة وقت طويل مع العميل.

وتتلخص الطريقة المتبعة في تقدير الاستجابات بإعطاء درجة معينة لكل استجابة حسب القواعد التي سنوردها بعد. وتتراوح هذه الدرجة بين صفر و٦ حسب نوع الاستجابة التي يعطها المفحوص ومدى توافقها أو عدم توافقها. وعلى ذلك فإن الدرجات الكلية للاختبار يمكن أن تتراوح من الناحية النظرية بين صفر و٢٤٠ بينما من الناحية العملية الواقعية فإنها تتراوح بين ٧٠ و٢٠٠ مع اعتبار أن الدرجات التي تقع بين ١١٠ و١٥٠ أكثرها تواتراً وورداً. ومن التجربة التي قام بها روتر ورافرتي على مجموعة من الطلاب المتوافقين وغير المتوافقين تبين أن الدرجة ١٣٥[1] هي الدرجة الفاصلة بين حالات التوافق وسوء التوافق. ومع ذلك فليست هذه الدرجة بالرقم السحري الذي يفصل بين المتوافقين وغير المتوافقين.

---

(١) Rotter J., Rofferty., Manual, The Rotter Incomplete Sentences Blank, College Form, p: 9.

٢ ـ المبادئ العامة لتقدير اختبار روتر:

١ ـ لا تعطى درجة للعبارات التي لا يستجيب لها المفحوص:

فالعبارات التي لم تكمل أو التي لا يستجاب لها بشيء لا تأخذ درجة. ومثل هذا النوع من عدم الاستجابة قد يوحي بوجود عوائق نفسية داخلية، ومن ثم بسوء التوافق (ومع ذلك فقد يظهر هذا أحياناً في تقارير المتوافقين كما يظهر في تقارير سيء التوافق). ومن المعروف أن عدم الاستجابة يثير الشك من الناحية الإكلينيكية. فهي تشير إلى مجالات الصراع التي لا يدركها الفرد أو التي يعجز عن التعبير عنها. وقد يتطلب الأمر في مثل هذه الأحوال دراسة أعمق وأوسع. فقد يستجيب المفحوص استجابات متعددة للعبارات التي تتصل بالأم بأنها شخص لطيف جداً، على حين لا يستجيب بأية استجابة للعبارات التي تتصل بالأب.

وبالإضافة إلى العبارات التي لا يستجيب لها المفحوص، هناك استجابات أخرى لا تأخذ درجة ما، وهي التي تحوي إجابات ناقصة لا معنى لها. مثلاً: الشيء الذي يضايقني هو بالنسبة إلي... أو «في المدرسة الثانوية كنت...» ومع ذلك فهناك إجابات تبدو غير كاملة ولكنها تحوي التفكير الكامل للفرد وهذه يقدر لها درجة. مثال ذلك «أنا أكره فكرة أن أعود إلى البيت منذ».

وينبغي عدم تصحيح الإختبار إذا بلغ عدد الاستجابات المحذوفة منه ٢٠ استجابة. أما إذا كان عددها أقل، فيصحح الاختبار وتعالج العبارات التي لم تقدر بالمعادلة الآتية:

$$\frac{\text{٤٠}}{\text{٤٠ − الاستجابات المحذوفة}} \times \text{الدرجة الكلية}$$

٢ ـ استجابات الصراع Confict Responses:

ويرمز لها بالرمز C ونرمز إليها بالرمز ص.

وهذا النوع من الاستجابات يشير إلى إطار ذهني غير متوافق. ويتضمن هذا

النوع ردود الأفعال العدوانية والتشاؤمية وحالات اليأس والقنوط والرغبات الإنتحارية والخبرات غير السارة وإشارات سوء التوافق القديم.

أمثلة: «أنا أكره... كل الناس تقريباً». «الناس... يهدمون ما يبنون». «أنا أعاني... من دوار قديم». «أتمنى لو أنني... مت صغيراً». «عندما كنت طفلاً... قضيت معظم أوقاتي في فراش المرض». «هذه المدرسة... أمقتها».

ولاستجابات الصراع درجات ثلاثة تبعاً لشدة الصراع أو سوء التوافق الذي تعبر عنه التكملة التي يعطيها المفحوص. فهناك ص١ وص٢ وص٣ ولكل منها قيمة رقمية على النحو الآتي: ص١ = ٤ ص٢ = ٥ ص٣ = ٦.

أما الاستجابات النمطية لـ ص١ والتي تأخذ الدرجة ٤ فتشير إلى نواحي الإهتمام المتصلة بالمشكلات المالية والصعوبات التي يواجهها الفرد في المدرسة أو العمل والمتاعب الجسمية. وبعبارة أبسط تشير هذه الاستجابات إلى المشكلات البسيطة غير العميقة والتي تعتبر إلى حد ما مشكلات خاصة.

أمثلة: «المشكلة الوحيدة... بالنسبة لي مشكلة مالية» «أنا آسف... لجهلي بهذا الموضوع».

أما الاستجابات النمطية ص٢ والتي تأخذ الدرجة ٥ فإنها أكثر دلالة من الأولى على سوء التوافق. وهي تشير على وجه العموم إلى مشكلات أكثر اتساعاً وعمومية مما نجده في النوع السابق الذي هو أقرب إلى المشكلات الخاصة. ويندرج تحت النوع الثاني، مشاعر النقص والاستجابات التي تشير إلى أمراض سيكوسومانية والتفكير في الفشل المحتمل والمشكلات المدرسية العامة وعدم وجود أهداف في الحياة والشعور بعدم الكفاية والمشكلات المتصلة باختيار المهنة والمشكلات الجنسية الغيرية والمشكلات الاجتماعية العامة.

ومن أمثلة هذا النوع: «أعاني... صداعاً» «الشيء الذي يقلقني... فشلي في تحقيق أهدافي» «معظم البنات... يبحثن فقط عن الزواج» «أنا لا أستطيع التركيز» «أنا أتمنى... أن أكون طبيعياً وعلى ثقة بنفسي كبقية الخلق» «أنا آسف... لعدم تحقيق أهدافي».

أما النوع الثالث من الصراع والذي يرمز إليه بالرمز ص٣ ويأخذ الدرجة ٦، فإنه يشير إلى نواحي الصراع الشديدة ذات الدلالة الواضحة على سوء التوافق. ويندرج تحت هذا النوع الرغبات الإنتحارية، والصراعات الجنسية الشديدة والمشكلات العائلية الخطيرة، والخوف من الجنون والإتجاهات السلبية الشديدة والإنعزال عن الناس والشعور بالقلق الشديد والخلط والتعبير عن إتجاهات غريبة نوعاً ما.

ومن أمثلة هذا النوع «أنا أتمنى... لو أنني مت صغيراً» «المشكلة الوحيدة هي شعوري بالاضطراب الشديد والقلق النفسي» «أحياناً... أعتقد أن الناس يراقبونني».

٣ ـ الاستجابات الإيجابية Positive Responses:

ويرمز إليها بالرمز P ويرمز إليها بالرمز م.

وهذا النوع من الاستجابات يشير إلى إطار ذهني متوافق. ويمكن الوقوف على هذا النوع عن طريق الاستجابات المزاجية الطليقة أو المتفائلة والمقبولة.

وتندرج هذه الاستجابات الإيجابية حسب قوة التوافق الذي تعبر عنه العبارة. ومن ثم يكون لدينا مستويات ثلاثة من هذه الاستجابات تتدرج م١ إلى م٣ وذلك على النحو التالي م١ = ٢، م٢ = ١، م٣ = صفر.

فإذا نظرنا إلى الاستجابات الإيجابية م١ نجد أنها تشير إلى اتجاهات إيجابية نحو المدرسة أو العمل أو الألعاب الرياضية والتعبير بالمشاعر الحارة نحو بعض الأفراد والاهتمام بالناس والإتجاه نحوهم إتجاهاً إيجابياً.

مثال ذلك «أنا... أشعر بالسرور عندما أذهب إلى الكلية» «أنا أحب الألعاب الرياضية».

أما النوع الثاني الذي يرمز إليه بالرمز م٢ فيشير إلى المشاعر الإيجابية التي تقبل التعميم نحو الناس والتوافق الاجتماعي الجيد والحياة الأسرية الطيبة والتفاؤل.

مثال ذلك «أكون أحسن ما يمكن عندما... أكون مع الناس» «أنا أكره... لا أحد» «مشكلتي الوحيدة... بسيطة» «هذه المدرسة... مدرسة حسنة من معظم نواحيها».

أما النوع الأخير من الاستجابات الإيجابية والذي يرمز إليه بالرمز م٣ فيشير إلى الحالة المزاجية الطيبة جداً وإلى التفاؤل الحقيقي والتقبل الحار للناس والأشياء.

مثال ذلك «أنا أحب أشياء كثيرة جداً». «أنا... في حالة طيبة للغاية» «أنا أعاني... من لا شيء» «عندما كنت طفلاً... أمضيت وقتاً سعيداً» «أعصابي... هادئة جداً» «المستقبل... يبدو باسماً».

٤ ـ الاستجابات المحايدة Neutral Responses:

ويرمز إليها بالرمز N ويرمز إليها بالرمز ن.

والاستجابات المحايدة هي التي لا تندرج بشكل ظاهر تحت أية قائمة من القائمتين السابقتين ونعني بهما استجابات الصراع والاستجابات الإيجابية ومعظم الاستجابات المحايدة تكون من النوع الوصفي «معظم الفتيات إناث» وكذلك الجمل المأثورة وأسماء الأغاني التي تكمل بها الجملة الناقصة والعبارات الشائعة في البيئة أو في الثقافة التي يعيش فيها الفرد والتي تعتبر محايدة.

مثال ذلك «عندما كنت طفلاً... كنت أتحدث كالأطفال». «أحياناً... أعجب لماذا قضيت إحدى الليالي أحلم بأغنية أنت عمري». «الزواج... شيء مقدس» «أنا... أفكر في الغرض من هذا الاختبار الذي تجريه الآن». «أسعد الأوقات... لما كنت في المدرسة الثانوية». «وقت النوم... أحب الإستماع إلى شيء من الموسيقى» «في المدرسة الثانوية... لا بد أن يذاكر الفرد إذا كان يريد أن يدخل الجامعة».

وعلى العموم فإن قائمة الاستجابات المحايدة تتضمن نوعين كبيرين من الاستجابات أولهما: الاستجابات التي تفتقر إلى الصبغة الإنفعالية أو الإشارة إلى

الذات. وثانيهما الاستجابات التي يحتمل أن تظهر لدى المتوافقين وغير المتوافقين من الناس والتي لا يمكن بالحكم الإكلينيكي أن ندرجها تحت قائمة الصراع أو الاستجابات الإيجابية.

وقد تخرج بعض الاستجابات التي نحصل عليها من المفحوصين وتنحرف عن هذه الصور العامة التي أشرنا إليها في استجابات الصراع والاستجابات الإيجابية والمحايدة. ومن ذلك مثلاً الاستجابة «أشد مخاوفي... أن ليس لي مخاوف». فهذه الاستجابة يحتمل أن تدخل تحت قائمة الاستجابات الإيجابية. ومع ذلك فهي في أساسها إحدى استجابات الصراع كما نجدها عند بعض حالات سوء التكيف. ومن هنا فإنها أقرب إلى أن توضع تحت قائمة استجابات الصراع ص٣.

وقد وضع روتر كتيباً يحوي استجابات الذكور واستجابات الإناث. وتعتبر الإجابات التي يحتويها الكتيب نموذجاً يمكن أن يهتدي به الفاحص وقت تقدير الاستجابات.

٥ ـ الاستجابات الطويلة بشكل غير عادي:

في بعض الحالات تكون الاستجابة طويلة بشكل غير عادي وهذه يجب أن تعطي درجة إضافية في اتجاه استجابات الصراع ما لم تكن قد أخذت فعلاً الدرجة ٦. لقد لوحظ أن الأفراد السيئي التوافق يعطون عادة استجابات طويلة كما لو كانوا مضطرين لأن يعبروا عن أنفسهم بصورة مفصلة كاملة، على حين يرد الشخص المتوافق على المثير بعبارة مختصرة محددة. فمثلاً أعطى أحد الأشخاص من ضعيفي التكيف الاستجابة التالية: «أكون في أحسن أحوالي عندما لا أكون تحت ضغط المسؤولية التي تتصل بعمل شيء ما أو إنجازه في وقت محدد معين» بينما كتب شخص آخر متوافق «أكون في أحسن أحوالي عندما أكون مع جماعة من الأصدقاء». وليس مرجع ذلك في الواقع إلى الذكاء كما يعتقد البعض لأن هاتين الاستجابتين قد أعطاهما شخصان من ذوي الذكاء العالي.

والإستثناء الوحيد لمثل هذه القاعدة التكملة المحايدة التي تقدر «ن» بصرف

النظر عن طولها. ويمكن القول على وجه العموم أن التكملة التي تحوي أكثر من ١٠ كلمات تعتبر تكملة طويلة، وفي هذه الحالة يزاد التقدير درجة ما لم تكن الاستجابة قد حصلت فعلاً على الدرجة ٦. أما الاستجابات المحايدة ن فتقدر كما هي دون زيادة.

ويمكن أن نلخص الصورة الكمية التي يسير عليها تقدير الاستجابات بمثال واحد لحملة ناقصة استناداً إلى ما ورد عند روتر في كتيب النماذج.

١ ـ أنا أحب

الدرجة	التقدير	
٦ ـ	ص٣	أن أعرف ما إذا كنت سأصبح مجنوناً
٥ ـ	ص٢	أن أكون وحيداً، أن أبتعد عن الناس
٤ ـ	ص١	السيدات اللائي لا يدخن أو يشربن
٣ ـ	ن	الأكل والصيد والإستحمام
٢ ـ	م١	الألعاب الرياضية والمدرسة
١ ـ	م٢	الناس وزوجتي
٠ ـ	م٣	أشياء كثيرة.

وعلى ضوء هذه الصورة يتم تقدير بقية الاستجابات وتجمع الدرجة النهائية. ويستخرج منها درجة الاستجابات المحذوفة أو التي لم تستكمل إن كان ثمة استجابات من هذا النوع. وعلى أساس الدرجة الفاصلة يمكن معرفة ما إذا كان الشخص متوافقاً أو غير متوافق.

غير أن الأمر لا يقتصر عند حد هذا التقدير الرقمي الذي يحصل عليه الفرد بل هناك أيضاً التفسير الإكلينيكي الذي يقوم به الفاحص. إن روتر يعتبر هذا التفسير الإكلينيكي أكثر أهمية من التقدير الرقمي للتوافق. وبالطبع يتوقف هذا التفسير الإكلينيكي على الخبرة ومستوى تدريب الباحث واتجاهه النظري.

ومع ذلك فقد وضع روتر ورافرتي النقط الآتية كأساس للتفسير الإكلينيكي للاستجابات:

١ - دراسة الإتجاهات العائلية.

٢ - الإتجاهات الاجتماعية والجنسية.

٣ - الإتجاهات العامة.

٤ - سمات الشخصية.

٥ - الملخص.

III - نموذج لتحليل اختبار تكملة الجمل الناقصة (روتر)

التقرير التالي لشاب في الخامسة والعشرين من عمره، تعثر في دراسته الجامعية وخاصة في السنوات الأولى من هذه الدراسة. وقد ذهب يطلب النصيحة من الإخصائيين في إحدى مراكز التوجيه المهني والتربوي، ومعرفة ما إذا كان يمكنه مواصلة تعليمه الجامعي، وإذا كان هذا ممكناً فأي نوع من الدراسة يمكنه السير فيه.

وأسرة الشاب تتكون من أم وأب وأخت أصغر منه بثلاث سنوات. أما هو فكان من النوع الإتكالي الذي يعتمد كثيراً على الوالدين. وهذا هو التقرير الذي أعطاه هذا الشاب لهذا الاختبار[١].

١ - أنا أحب... أن أخبر الناس بمتاعبي ومشكلاتي.

٢ - أسعد الأوقات... تلك التي أقضيها إلى جانب صديقة لي وأشعر أنني محبوب ومتقبل منها.

٣ - أود... أن أعرف كيف أكيّف نفسي مع الآخرين بحيث يصبح لدي ثقة بنفسي وأن أتعلم كيف أذاكر أو أرضي عن قدراتي الضعيفة.

(١) Rotter, J. I. S. B. College Form, p: 43.

٤ ـ في بيتي... فإن أسرتي لا تدخل السرور على النفس، كما لا أشعر أبداً أنني مرغوب فيه في هذه الأسرة.

٥ ـ أنا آسف... على كثير من الأشياء التي قمت بها وأنا طفل صغير وأكره أن أتحدث عنها الآن.

٦ ـ وقت النوم... وفي الليلة السابقة على الامتحان يظهر علي الاضطراب ولا أستطيع النوم لعدة ساعات.

٧ ـ الأولاد...

٨ ـ أفضل... شيء بالنسبة إلى هو تكوين صداقات أكثر من النساء فهذا يزيد من ثقتي بنفسي.

٩ ـ الشيء الذي يضايقني... هم الناس الذين عندهم ثقة زائدة عن الحد بأنفسهم.

١٠ ـ الناس... جميعاً لهم مشكلاتهم.

١١ ـ الأم... السعيدة التي تحب أولادها يمكنها أن تجعلهم سعداء وحسني التكيف.

١٢ ـ أنا أحس... أحياناً أن في إمكاني تحسين درجاتي ومن ثم أزيد من ثقتي بنفسي.

١٣ ـ أشد مخاوفي... هي أن أفكر أنني أدفع دفعاً في هذا العالم دون عون من أحد.

١٤ ـ في المدرسة الثانوية... كان ترتيبي في الثلث الأخير من الفصل.

١٥ ـ أنا لا أستطيع المذاكرة أو الحصول على درجات النجاح.

١٦ ـ الألعاب الرياضية... التي فيها منافسة شديدة استمتع بها فقط كمتفرج.

١٧ ـ عندما كنت طفلاً... كنت أعامل بقسوة شديدة لأقل خطأ أقوم به.

١٨ ـ أعصابي... متعبة جداً وأعتقد أنها تجعلني حساس جداً بالنسبة لكثير من المواقف.

١٩ ـ غيري من الناس... إذا تحدثنا بوجه عام يشعرون بمثل ما أشعر به من تعب.

٢٠ ـ أنا أعاني... لأنني مركز حول ذاتي وليست لي أية اهتمامات أخرى خارجية.

٢١ ـ أنا فشلت... في دراساتي الجامعية لأنني لست ذكياً بدرجة كافية من ناحية، ولعدم وجود الحافز من ناحية أخرى.

٢٢ ـ القراءة... السريعة هي أسوأ مشكلاتي، لأنني أقع في المجموعة الأخيرة من الفصل في القراءة.

٢٣ ـ عقلي... ليس حسن التوافق مع هذا العالم كما ينبغي أن يكون.

٢٤ ـ المستقبل... يفزعني.

٢٥ ـ أنا في حاجة... إلى شخص يحبني ويشعرني بأنني شخص مرغوب فيه.

٢٦ ـ الزواج... لا أفكر فيه الآن إلى أن أكوّن نفسي.

٢٧ ـ أكون في أحسن حال عندما... يكون لدي ثقة بنفسي وبقدرتي على أداء ما يتطلب مني.

٢٨ ـ أحياناً... أتمنى أن تطول بي الحياة لأحل مشكلاتي.

٢٩ ـ الشيء الذي يؤلمني... هو أن يوجه إليّ النقد بكثرة.

٣٠ ـ أنا أكره... أن أعيش دون سند أعتمد عليه أو دون الشعور بالطمأنينة.

٣١ ـ هذه المدرسة... هي في كثير من الأحيان كبيرة جداً وعلاقاتها غير شخصية جداً.

٣٢ ـ أنا متضايق جداً من المدرسة في الوقت الحاضر كما أنني مركز جداً حول نفسي.

٣٣ ـ المشكلة الوحيدة... بالنسبة إليّ ـ كما يقول البعض ـ هي أنني افتقر إلى الدافع.

٣٤ ـ أنا أتمنى... أن يكون هناك هدف أهدف إليه في عملي.

٣٥ ـ والدي. . . أناني ودكتاتور وقليل الصبر معي.

٣٦ ـ بيني وبين نفسي. . . أتمنى أن أكون في مركز يسمح لي أن أقول لبعض الناس «إذهب إلى الجحيم».

٣٧ ـ أنا. . . أفكر كثيراً جداً في نفسي.

٣٨ ـ الرقص. . . وسيلة مناسبة جداً لمقابلة الناس، وأود أن أقوم به أحسن من ذلك.

٣٩ ـ أشد ما يقلقني. . . هو ما الذي سأفعله في المستقبل.

٤٠ ـ معظم البنات. . . يجدنني غريباً، وأنني لست الشخص الذي يصادقنه.

التحليل

١ ـ الإتجاهات الأسرية:

يبدو أن الروابط الأسرية لا تلعب دوراً إيجابياً في حياة هذا الشاب على نحو ما يتضح في استجابته للعبارتين ٤، ١٧. (في بيتي. . . فإن أسرتي لا تدخل السرور على النفس كما لا أشعر أبداً أنني مرغوب فيه في هذه الأسرة»، «عندما كنت طفلاً. . . كنت أعامل بقسوة شديدة لأقل خطأ أقوم به».

كما يتضح سوء العلاقات العائلية من نظرته إلى والده حيث يقول في العبارة رقم ٣٥ «والدي. . . أناني ودكتاتور وقليل الصبر معي» وهذا ما يزيد من شعوره بعدم الطمأنينة. أما علاقته بأمه فأكثر حرارة، ولكن يبدو أن علاقة الوالدين أحدهما بالآخر ليست على ما يرام، وأن هذه العلاقة تنعكس بدورها على مشاعر عدم الطمأنينة التي يحس بها هذا الشاب، والتي تتضح في حياته العامة. فقد ذكر في العبارة رقم ١١ ما يكشف عن ذلك. «الأم. . . السعيدة التي تحب أولادها يمكنها أن تجعلهم سعداء وحسني التكيف». وعلى العموم فالعبارات التي تتصل بالأم والأب تكشف عن ناحية هامة وهي أنه يُسقط اللوم على والديه بالنسبة لما يواجهه من مشكلات.

وقد خلا التقرير من أية إشارة للأخت التي تصغره بثلاث سنوات، وربما اعتبر ذلك دليلاً على ضعف الروابط التي تربطه بأخته.

٢ ـ الإتجاهات الاجتماعية والجنسية:

وفي ثنايا التقرير تظهر بعض العبارات التي تكشف عن مشاعر النقص وعدم الكفاية والحاجة إلى إقامة المشاعر والعلاقات على أساس أكبر من الثقة والطمأنينة، كما أنه يحتقر ـ في الوقت نفسه ـ كل من يشعره بالذلة وعدم الثقة. وهذا ما يتضح في العبارتين ٩، و٢٩: «الشيء الذي يضايقني... هم الناس الذين عندهم ثقة زائدة عن الحد بأنفسهم» «والشيء الذي يؤلمني... هو أن يوجه إلى النقد بكثرة».

هذا ويفتقر هذا الشاب إلى تكوين علاقات مع الجنس الآخر أو أنه يرغب في تكوين علاقات قوية مع النساء، كما يتضح في العبارتين ٢، و٨. «أسعد الأوقات تلك التي أقضيها إلى جانب صديقة لي وأشعر أنني محبوب ومتقبل منها» «أفضل شيء بالنسبة إليّ هو تكوين صداقات أكثر مع النساء فهذا يزيد من ثقتي بنفسي». ومع ذلك فإن مثل هذه العلاقات مع الجنس الآخر تبدو ضعيفة حتى تصل إلى مستوى الرفض أو النبذ، وهذا ما يتضح في العبارة الأخيرة ٤٠ «معظم البنات... يجدنني غريباً وأنني لست الشخص الذي يصادقنه».

أما العبارة رقم ٥ فإن تكملتها توحي بمشاعر الذنب التي تتصل بسلوك جنسي حدث في مرحلة الطفولة: «أنا آسف... على كثير من الأشياء التي قمت بها وأنا طفل صغير وأكره أن أتحدث عنها الآن». وعلى ضوء هذه الاستجابة يمكننا أن نفسر عدم استجابته للعبارة رقم ٧ «الأولاد...؟». وربما يكون ذلك نتيجة مشاعر الذنب التي تتضح في العبارة رقم ٥ والتي تفسر على ضوء العلاقات الجنسية المثلية التي تقوم بين الأولاد في طفولتهم.

٣ ـ الإتجاهات العامة:

وواضح من العبارات رقم ١٢، ١٤، ٢١، ٢٢ أن هذا الشاب قد عانى ولا

يزال يعاني من مشكلات تتصل بالدراسة. لقد انتقد المدرسة في إحدى عباراته وأوضح أن العلاقات التي تقوم فيها، علاقات غير شخصية ويبدو أن ضعفه في التحصيل المدرسي وسيلة لتغطية عجزه الحقيقي في الدخول في منافسة مع الآخرين في صراع الحياة. فإن كان مستواه التحصيلي ضعيفاً فإن ما يتطلب منه في الحالة سيكون قليلاً.

٤ ـ سمات الشخصية:

* أوضح سمات شخصيته هي حاجته الملحة إلى الإعتماد على الغير ووجود السند الذي يستند إليه في مراحل حياته المختلفة. هذا ما اتضح لنا في العبارات رقم (١، ٣، ٣٠) «أنا أحب... أن أخبر الناس بمتاعبي ومشكلاتي»، «أشد مخاوفي... هي أن أفكر أنني أدفع دفعاً في هذا العالم دون عون من أحد...»، «أنا أكره... أن أعيش دون سند أعتمد عليه أو دون الشعور بالطمأنينة». وهذا يفسر لنا أيضاً خوفه من المستقبل أو خوفه من النقد طالما أنه لم يكمل تعليمه ولم يشعر بالاستقلال. وهذا الشاب يعتقد اعتقاداً جازماً أن التكيف أو التوافق هو أساس النجاح في الحياة وهذا ما يتضح في العبارة رقم ٣ التي تلخص كل مشكلاته. «أود... أن أعرف كيف أكيف نفسي مع الآخرين بحيث يصبح لدي ثقة بنفسي، وأن أتعلم كيف أذاكر أو أرضى عن قدراتي الضعيفة».

* وهذا الشاب كثير النقد لنفسه على نحو ما هو واضح في العبارات ٢٠، ٣٢، ٣٧ «أنا أعاني لأنني مركز حول ذاتي وليست لي أية اهتمامات أخرى خارجية» أنا متضايق جداً من المدرسة في الوقت الحاضر كما أنني مركز جداً حول نفسي» «أنا أفكر كثيراً جداً في نفسي».

* وهذا الشاب يعاني من مشكلات تتصل بالدراسة، ويبرر فشله بعبارات عامة على نحو تبريره لفشله في الجامعة بأنه ليس ذكياً بدرجة كافية وبعدم وجود الدافع. كما أنه يلجأ أحياناً إلى الخيال كوسيلة لحل مشكلاته. «أحياناً أتمنى أن تطول بي الحياة لأحل مشكلاتي». «بيني وبين نفسي... أتمنى أن أكون في مركز يسمح لي أن أقول لبعض الناس «إذهب إلى الجحيم».

٥ ـ الملخص:

هذا الشاب لديه مشاعر كبيرة بالنقص وعدم الكفاية تجعله يهرب من المواقف التي تتطلب المنافسة، وهذا يفسر لنا فشله في المدرسة والذي عزاه إلى قلة الذكاء وضعف الحافز. كما أن الإعتماد على الغير وتواكله عليهم قوي وظاهر. ويبدو أن مشاعر النقص وعدم الكفاية وأنه غير مرغوب فيه قد ظهر داخل نطاق الأسرة ثم عمم في جميع المجالات الأخرى. ويبدو أيضاً أن الأم التي تشعر بالقلق والتي تحمي أطفالها والأب المتزمت الدكتاتور قليل الصبر مع ابنه قد جعلاه ضعيف الثقة بنفسه، وبالتالي يعتمد على غيره في مواجهة مشكلاته. ثم إنه رغم حاجته الملحة إلى تكوين علاقات قوية مع الجنس الآخر، إلا أنه يتوقع الرفض أو النبذ، كما يتعقد الموقف أكثر وأكثر نتيجة مشاعر الذنب بالنسبة لخبرات الطفولة الجنسية.

ونعتقد أن هذا الاختبار قد كشف عن نواحي في غاية الأهمية تتصل بشخصية المفحوص، أهمها ضعف الثقة بالنفس، والشعور بعدم التقبل والاعتماد على الوالدين وضعف القدرة الاستقلالية وجميعها تحتاج إلى العلاج والتوجيه حتى يتغلب الفرد على ما يواجهه من مشكلات الحياة.

الفصل الثالث

الاختبارات التي تستخدم الصور والأدوات كمثير

١ ـ اختبار تفهم الموضوع[١] T.A.T.

هذا الاختبار هو اليوم من أكثر الاختبارات الإسقاطية شيوعاً، إذ يستخدم على نطاق واسع في أعمال العيادات النفسية وفي دراسة الشخصية[٢]. وتدور فكرته حول تقديم عدد من الصور الغامضة نوعاً ما، ودعوة المفحوص إلى تكوين قصة أو حكاية تصف ما يدور بالصورة وتتحدث عن أحوال الأشخاص والأحداث التي تجري فيها ثم يقوم الفاحص بدراسة ما يقدمه المفحوص ويحاول أن يستشف منها ما يعتمل في نفسه من ميول ورغبات وحاجات مختلفة.

ومن المعروف أن القصص الحرة التي يسردها الفرد ـ دون أن تكون استجابة لمثيرات محددة ـ تعكس أحياناً الكثير من مشاعر الفرد وانفعالاته وأحاسيسه وما يعتمل في نفسه من ميول وحاجات ورغبات. ولعل القصة التالية التي مرت بفتاة

---

(١) الاسم الشائع لهذا الاختبار هو T.A.T. وهي الحروف الأولى من الكامل من الإسم للاختبار Thematic Apperception Test: أي اختبار تفهم الموضوع حيث أن كلمةTheme تعني موضوع الصورة أو القصة أو محور الحكاية أما كلمة Apperception فتعني الإدراك الموجه الواضح أو تفهم الخبرة الجديدة على ضوء الخبرات السابقة.

(٢) Manuel du «Thematic Apperception Test» par H.A. Murray. M.D. trad. Meunier, centre de psychologie appliquée, Paris 1950.

في الثالثة عشر من عمرها توضح لنا ما نريد [لقد لاحظت أم الفتاة على ابنتها كثرة الشرود الذهني والقلق البادي والعزوف عن اللعب مع أترابها رغم حبها الشديد للعب معهن. وذهبت الأم إلى أنه ربما حدث لابنتها شيء، ولكنها لم تستطيع أن تتبين حقيقة هذا الشيء]. وقد عرضتها على الإخصائي النفسي، وكان القلق بادياً على الفتاة فلم تفصح عن شيء يفيد الإخصائي وأخيراً طلب منها أن تقص له حكاية ـ أية حكاية ـ فذكرت له الفتاة القصة التالية:

[«كان فيه بنت صغيرة اسمها «منى» وكانت بادية الإنشراح والسرور تحب الأزهار والحيوانات الصغيرة كالقطط والكلاب، وكانت تحب الفراشات التي تطير فوق الأزهار. وفي أحد الأيام وجدت الفتاة نفسها أمام حديقة كبيرة بها أزهار وفراشات تطير، وحول الحديقة سور عال. وفجأة ظهر فتى جاء يعدو من بعيد وبيده عصا وقال لها: «هل تحبين أن تدخلي الحديقة وتقطفي الأزهار وتمسكي الفراشات. يكفي أن أشير بعصاتي السحرية إلى الباب حتى يفتح وندخل الحديقة». ولم توافق منى أول الأمر وخاصة أنها تذكرت أمها التي كانت تحذرها باستمرار من دخول الأماكن التي لا تعرفها أو تلعب مع الصبيان الذين لا تعرفهم. ولكن الفراشة نادتها قائلة: «تعالي أمسكيني» وبلا تردد أو تفكير دخلت الفتاة والفتى الحديقة، وكانت هي تجري أمامه وهو يتبعها حتى بلغا مكاناً بعيداً في الحديقة. وفجأة شعرت بالخوف وبدأت تبكي. ولحسن الحظ وجدت أمامها باباً مفتوحاً، فخرجت منه مسرعة وعادت إلى أمها باكية. وحين سألتها أمها عن سبب بكائها لم تجب لأن أمها كانت قد حذرتها مراراً ألا تدخل الحديقة مع أي شخص غريب لا تعرفه أو تلعب مع صبيان لا تعرفهم»].

هذه القصة لا تخرج عن كونها قصة آدم وحواء مع اختلاف بسيط هذه المرة وهو أن آدم هنا هو الذي أغوى حواء على دخول الجنة، كما أن الفراشات والأزهار قامت مقام التفاحة في قصة آدم.

وبالدراسة أمكن للسيكلوجي تفسير الأحداث التي مرت بالفتاة. كانت الفتاة تعيش في الريف مع أمها وكانت الأم تحذرها باستمرار من الذهاب إلى الحدائق البعيدة أو اللعب مع الأطفال الأكبر منها سناً. ومن بين هؤلاء الأطفال ابن عمها

وهو فتى غير مؤدب حذرتها أمها مراراً من اللعب معه بالذات. وفي أحد الأيام وبينما كانت الفتاة تلعب في إحدى الحدائق إذ بابن عمها يظهر أمامها فجأة ويشاركها في اللعب ويغريها بالذهاب معه إلى مكان بعيد عن أنظار المارة. وهناك حاول القيام ببعض المحاولات الصبيانية غير المهذبة. وفي تلك اللحظة أحست الفتاة بالخوف وصرخت ودافعت عن نفسها أمام تصرفات الفتى. وانتهى الأمر بأن أفلتت منه وجرت مسرعة إلى أمها. وخشية أن تغضب أمها أو أن توقع الأم بها الأذى، لم تذكر الفتاة أي شيء مما حدث لها مع الفتى. ولكنها منذ ذلك الحين، أخذت تشعر بالخوف والإثم الذي ملأ حياتها كلها.

ولا شك أن عملية الإسقاط واضحة كل الوضوح في هذه القصة التي قدمتها الفتاة. إنها تعتقد أنها اخترعت قصة، ولكنها في حقيقة الأمر كانت تستمد من خبراتها وتعزوها إلى منى بطلة القصة التي خلقتها هي بنفسها.

ولكن إذا كانت القصص الحرة تكشف لنا عن صراعات الفرد ومشاعره ورغباته ومخاوفه، إلا أن هناك بعض الصعوبات التي تجعلنا لا نلجأ إلى مثل هذا السبيل في كثير من الأحوال. ومن ذلك مثلاً أن الكثيرين من الناس يصعب عليهم اختراع قصة ما دون الإرتكاز على نقطة بداية خارجية، وإلا أتت قصصهم غامضة مبهمة. ثم إنه قد لوحظ أيضاً أن الصور تفيد في إثارة أخيلة الفرد ودفعة إلى التعامل - بطريقته الخاصة - مع مواقف إنسانية معينة. هذا بالإضافة إلى أنه من الصعب مقارنة القصص الحرة التي يذكرها أشخاص عديدون بعضها ببعض بل لا بد من استعمال مثيرات مقننة موجودة بشكل ثابت أمام الجميع وألا ندع الأمر للصدفة وحدها أو أن يختار كل فرد ما يشاء.

وهنا تبدو لنا أهمية تحديد نقطة البداية ممثلة في صورة غامضة إلى حد ما، على نحو ما يتكون اختبار .T.A.T.

وكان أول ما نشر عن هذا الاختبار مقال نشره «هنري موراي» H. Murray وزميله «مورجان» Morgan سنة ١٩٣٥ عن طريقة لفحص الأخيلة والأوهام. وقد أدت هذه الأبحاث التي قام بها موراي ومورجان ومن عاونوهم في العمل بالعيادة

النفسية في جامعة هارفارد إلى تأليف الكتاب الذي نشره موراي بعنوان «استكشاف الشخصية» Explorations in Personality وإلى النظرية الإنتقائية التي يقولون بها. ومنذ أن وضع الاختبار فإنه يستخدم على نطاق واسع في أعمال العيادات النفسية في أمريكا وأوروبا وغيرها من البلدان حيث وضحت فوائدها في دراسة الشخصية وفي تفسير اضطرابات السلوك والكشف عن الأمراض السيكوباتية والعصاب والذهان وما يعتمل في نفس الفرد من مشاعر وانفعالات ودوافع ونزعات مكبوتة وألوان الصراع المختلفة.

والفكرة التي يقوم عليها هذا الاختبار هي أن القصص التي يعطيها المفحوص تكشف عن مكونات هامة في شخصيته على أساس نزعتين: الأولى نزعة الناس إلى تفسير المواقف الإنسانية الغامضة بما يتفق وخبراتهم الماضية ورغباتهم الحاضرة وآمالهم المستقبلة. والثانية نزعة كثير من كتاب القصص إلى أن يخترفوا بطريقة شعورية ولا شعورية الكثير مما يكتبون من خبراتهم الشخصية ويعبرون عما يدور بأنفسهم من مشاعر ورغبات.

١ ـ إجراء الاختبار:

ويستغرق إجراء الاختبار عادة جلستين تعطى للمفحوص في كل منهما عشر صور. وقد لوحظ أن المفحوص لو أعطي العشرين صورة في جلسة واحدة لأدى ذلك إلى التعب وإلى اقتضاب الحكايات وتفاهة محتوياتها، خصوصاً إذا عرفنا أن كل قصة تستغرق في المتوسط حوالي ٥ دقائق. وقد وجد أيضاً أن بعض الأشخاص قد يحتاج إلى أكثر من ٥ دقائق. ويحسن في مثل هذه الأحوال عدم مقاطعته بل يحسن أن ندعه يتم قصصه، حتى ولو أدى ذلك إلى إتمام الاختبار في ثلاث أو أربع جلسات.

أما بالنسبة لجلسة المفحوص، فإن البعض يذهب إلى أن يجلس على مقعد مريح أو يستلقي على أريكة بحيث يكون ظهره للفاحص، كما هو الحال في جلسة التحليل النفسي (إلا في حالات الأطفال والمرضى الذهانيين). غير أن البعض الآخر لا يرى ضرورة لذلك ويفضل أن يواجه المفحوص الفاحص، وذلك تبسيطاً

لإجراء الاختبار. وبطبيعة الحالة يجب أن يكون جو الاختبار مشبعاً بروح الألفة والصداقة وأن يكون المكان وشخصية الفاحص مما يدعو إلى الإطمئنان.

* **تعليمات الاختبار**: تختلف التعليمات التي تلقى في الجلسة الأولى عن تلك التي تلقى في الجلسة الثانية. كما أن هناك صورتين من التعليمات إحداهما (أ) توجه إلى أصحاب الذكاء المتوسط وفوق المتوسط والمثقفين من الكبار. أما الأخرى (ب) فتوجه إلى الأطفال والكبار من ذوي التعليم المحدود والذكاء المحدود والمرضى العقليين.

الجلسة الأولى:

الصورة أ: (للكبار متوسطي الثقافة والذكاء): سأعرض عليك بعض الصور، واحدة واحدة. وعليك أن تكوّن حكاية حول كل منها، تبين فيها الأمور التي أدت إلى الحالة التي تبدو في الصورة. وتصف ما يقع فيها وماذا يشعر به الأشخاص الذين تراهم وماذا يفكرون فيه؛ ثم قل لي كيف تختم القصة. أذكر الأفكار التي تخطر لك كما هي. عندك خمسون دقيقة لعشر صور، يمكنك أن تأخذ خمس دقائق لكل صورة. هاك الصورة الأولى.

الصورة ب: للأطفال (والكبار محدودي الثقافة والذكاء والمرضى العقليين). أنا معي بعض الصور سأعرضها عليك واحدة واحدة. عاوزك تكون قصة أو حكاية حول كل منها تقول لنا فيها ما يجري في الصورة وما يحدث بها الآن وما يشعر به الأشخاص الذين تراهم وماذا يفكرون فيه وتتخيل لنا نهاية للقصة. يمكنك أن تكوّن أية قصة تعجبك. هذه الصورة الأولى وأمامك خمس دقائق تقول لنا فيها الحكاية.

ويجدر تعديل ألفاظ التعليمات حتى تتلاءم وعمر المفحوص ومدى تعليمه ومستوى ذكائه. والواقع أن موراي لم يحدد زمناً معيناً لكل قصة. وينصح موراي كذلك - بعد انتهاء المفحوص - من البطاقة الأولى، أن نوجه نظرة إلى الأخطاء كأن نقول له مثلاً الحكاية التي حكيتها جيدة ولكن لم تقل لنا ماذا يفكر فيه الطفل الذي بالصورة، وماذا شعر به عندما رأى الكمان. ولم تقل لنا أيضاً كيف يمكن أن

تنتهي القصة. (فالنقد يجب أن يوجه أساساً بقصد استثارة أخيلة المفحوص وإنتاجه).

وفي ما عدا ذلك يحسن ألا يتدخل الفاحص إلا في أضيق حدود ممكنة. والقصة المتوسطة الطول تشتمل عادة على ٣٠٠ كلمة بالنسبة للبالغ، وعلى ١٥٠ كلمة بالنسبة لطفل العاشرة. لكن طول القصة قد يختلف كثيراً باختلاف الأشخاص بل وعند الشخص الواحد نفسه. ويجب أن تسجل القصة بأمانة. ولو أن هذا ليس بالأمر اليسير. ولذا يطلب البعض أحياناً من المفحوص (مثل ربابورت وچيل وشافر) أن يتكلم ببطء قليلاً حتى يتسنى للفاحص أن يسجل ما يقوله.

وينصح موراي ـ عند تحديد موعد الجلسة الثانية ـ ألا نخبر المفحوص بما سوف يطلب منه في الجلسة المقبلة حتى لا نعطيه الفرصة لإعداد حكايات قد يلجأ في تخيلها إلى استرجاع ما قرأ من روايات، أو ما رأى من أشرطة سينمائية. أما إذا سأل المفحوص الفاحص عما سوف يعمله في الجلسة الثانية فمن الممكن أن يكون الرد «انتظر لترى».

الجلسة الثانية:

وفيها يعدل موراي بعض الشيء ما جاء في تعليمات الجلسة الأولى.

الصورة أ: (للكبار متوسطي الثقافة والذكاء): إن ما نطلبه اليوم هو نفس ما طلبناه في الجلسة السابقة. فقط يمكنك أن تدع الحرية لخيالك. لقد كانت حكاياتك العشر السابقة رائعة، ولكنها كانت تتصل تماماً بوقائع الحياة الجارية. كل ما أريده اليوم هو معرفة ماذا يمكنك عمله إذا أطلقت لخيالك العنان وتحررت إلى حد ما من وقائع الحياة الجارية. خذ البطاقة الأولى.

الصورة ب: (للأطفال والكبار محدودي الثقافة والذكاء والمرضى العقليين) سأعرض أيضاً بعض الصور. وسوف يكون عملك هذه المرة أبسط لأن الصور التي معي مسلية. في المرة الماضية أنت قلت شوية حكايات مسلية وأريد اليوم تعمل لنا حكايات مسلية أيضاً. حاول أن تحكي الحكايات المثيرة التي هي أقرب إلى الخيال. خذ الصورة الأولى.

أما في ما يتصل بالبطاقة رقم ١٦ وهي البطاقة البيضاء فإن لها تعليمات خاصة بها: «لننظر ماذا يمكنك أن تتصوره على هذه البطاقة البيضاء. تصور صورة ما على هذه البطاقة ثم أوصفها لنا بالتفصيل» وإذا عجز المفحوص فمن الممكن أن نقول له: «طيب أقفل عينيك وتخيل أية صورة». وبعد أن يصف لنا ما أمكنه تخيله نطلب منه أن يكوّن حكاية عن هذه الصورة التي تخيلها.

ويعقب إجراء الاختبار مباشرة أو بمدة وجيزة أن يقابل الفاحص المفحوص مقابلة أخرى ليستقصي العوامل التي بعثت موضوعات القصص التي تخيلها والوقوف على أصولها. على أن البعض يفضل القيام بهذه الخطوة أثناء إجراء الاختبار نفسه خشية نسيان المفحوص لما يقول.

٢ ـ تفسير الاختبار:

إن إجراء الاختبار وتطبيقه ليس مشكلة، لأن كثيراً من المفحوصين يساهمون بإرادة طيبة في إجراء الاختبار، خصوصاً بعد التغلب على المقاومة الأولى التي تظهر في بداية الإجراء. لكن المشكلة هي في تفسير المادة التي يعطيها المفحوص. وقد أشار موراي نفسه إلى أن تفسير الاختبار يتطلب الدقة والخبرة. والواقع أنه كلما زادت خبرة الفاحص بالاختبار وحسن إعداده من الناحية النفسية وإلمامه بالأمراض النفسية والعقلية ومبادئ التحليل النفسي، كان أقدر على القيام بعملية التفسير.

ويستدعى الأمر ـ قبل القيام بعملية التفسير ـ تفريغ المعطيات التي حصل عليها الفاحص من القصص. وقد صممت عدة استمارات لرصد وتحليل القصص أشهرها استمارة بلاك. والتي تتضمن النقط الأساسية التي تشتمل عليها القصة عادة وهي:

١ ـ الموضوع الرئيسي للقصة.

٢ ـ البطل الرئيسي.

٣ ـ الحاجات الأساسية للبطل.

يلي خطوة التفريغ عملية التفسير. وإذا كان الإخصائيون في الاختبار قد اتفقوا في ما بينهم على بعض العناصر التي يجب الإهتمام بها كتحديد البطل والعوامل المؤدية إلى الإحباط في المواقف المختلفة وتحديد العلاقة بين البطل وغيره من الأشخاص، وتحديد المحور الرئيسي الذي تدور حوله القصة، إلا أنهم اختلفوا في ما بينهم في طرق التحليل. وسوف نشير باختصار إلى الأسلوب الذي اتبعه موراي واضع الاختبار في تحليل وتفسير النتائج. كما نشير بعد ذلك إلى بعض الأساليب الأخرى المفيدة.

أولاً: طريقة موراي في تحليل الاختبار وتفسيره:

يهتم موراي على وجه الخصوص بتحليل محتوى القصة. وتحليل المحتوى الذي يشير إليه موراي هو محاولة للوقوف على الموضوعات الغالبة في قصص كل شخص. والموضوع عنده هو التكوين الدينامكي للحكاية أو هو عقدة القصة. وتدور هذه الموضوعات في العادة حول بيان:

١ ـ البطل الرئيسي الذي يتماهى الفرد شخصيته في القصص.

٢ ـ الحاجات التي تدفع بطل القصة والقوى التي تنطوي عليها نفسه.

٣ ـ الضغوط أو العوامل البيئية والمؤثرات التي تؤثر في الفرد.

٤ ـ خاتمة القصة[١].

١ ـ **البطل الرئيسي الذي يتماهى الفرد شخصيته**: وهو الشخصية التي تحظى بمعظم الحديث عنها في القصة والتي يصف إحساساتها ومشاعرها. أو الشخصية التي يرى الفرد نفسه فيها (ويتقمصها). ولذا فهو على وجه العموم شخصية تشبه شخصية المفحوص وتتفق صورته إلى حد بعيد مع صورة المفحوص. ومن الملاحظ على وجه العموم أن المفحوص يتماهى عادة أبطالاً من نفس سنه وجنسه

---

(١) هنا محمود عطية: علم النفس الإكلينيكي، الجزء الأول (التشخيص)، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٦، (اختيار تفهم الموضوع).

وقد يحدث في حالات نادرة أن يتماهى أبطالاً من الجنس الآخر كأن يتماهى الذكور من المفحوصين أبطالهم من الإناث، وقد يتخذ من ذلك إشارة إلى جنسية مثلية كامنة لدى المفحوص. ومع ذلك فإن أكثر الشبان يتماهون شخصية الفتاة التي في مقدمة الصورة (رقم ٢)، على حين أن قليلاً منهم مَنْ ينظر إلى الشخص الذي يظهر في الصورة (رقم ٥ BM) على أنه فتاة.

ومن السهل في كثير من الأحيان تمييز البطل. ففي عدد كبير من القصص قد لا نجد سوى شخصية واحدة، أو نجد شخصية واحدة هي التي تقوم بالدور الرئيسي إذا قورنت ببقية الشخصيات التي تشملها القصة: وقد يحدث في بعض الأحيان أن يحتل عدد من الشخصيات المركز الرئيسي في القصة فيتماهى المفحوص شخصية أحدهم، أو قد يحدث أن يتماهى شخصية أكثر من واحد. ويشير موراي في هذا الصدد إلى أن هناك نزعات متعارضة قد توجد لدى المفحوص ويمكن أن تتمثل في وجود شخصين مختلفين. فالنزعات الإجرامية مثلاً قد تتمثل في عصابة مجرمين على حين يتمثل الضمير في شخصية رجل البوليس أو في صورة القاضي (أو أي رجل مسن في الصورة). وعلى العموم فإن الشخصية التي تشبه المفحوص كثيراً في سنه وجنسه وخصائصه وصفاته تعتبر هي شخصية البطل.

وغالباً ما تكشف مهنة البطل وميوله وسماته وقدراته وكفايته عن الصفات القائمة أو التي يرغب الفرد في تحقيقها.

٢ ـ الحاجات الرئيسية للبطل: وبعد أن ينتهي الفاحص من معرفة الشخصية الرئيسية في القصة، أو الشخصيات التي يتماهى بها المفحوص، فإنه يشرع في البحث عن الدوافع المحركة له في العشرين قصة، ومعرفة مشاعره وأفكاره ونزعاته. وهو في دراسته لهذه المعطيات يجب أن ينتبه إلى ما إذا كان البطل يكشف عن بعض خصائص المرض العقلي، أو انحرافات الشخصية أو هل هناك سمات غير عادية أو هل بعض السمات أكثر تأثيراً وظهوراً من البعض الآخر.

وقد أقام موراي تفسيره على أساس فكرة الحاجات التي جمعت حسب

اتجاهاتها وأهدافها الشخصية والمباشرة. ويصل عدد هذه الحاجات عند موراي إلى ٢٠ حاجة ظاهرة و٨ حاجات كامنة فيكون مجموع الحاجات ٢٨ حاجة[1].

وتقدر قوة الحاجة حسب موراي وفق مقياس ذي خمس درجات من ١ ـ ٥. فإن بدت «الحاجة» قوية في شدتها أو مدتها أو تكرارها أو أهميتها أعطيت الدرجة ٥ مثلاً. أما إن بدت ضعيفة قليلة الورود أمكن تقديرها بدرجة واحدة. وإذا ظهرت تلك الحاجات بين الطرفين قدرت بدرجة بين ٢ ـ ٤ حسب قوتها: وحين ينتهي الفاحص من تحليل كل قصة على هذا النحو تجمع درجات تلك المتغيرات التي تقيم الشخصية، وتقارن بالدرجات المقننة (إن وجدت) لعمر المفحوص وجنسه حتى نقف على مقدار سوائه أو شذوذه.

---

(١) يقدم موراي ثبتاً بالحاجات الأساسية. وقد أشار إلى وجود ٢٠ حاجة صريحة أو ظاهرة و٨ حاجات كامنة. أما الحاجات الظاهرة فهي الخنوع، الإنتاج، القرابة، الإعتداء، ، الاستقلال، الفعل المضاد، التبجيل. الدفاعية، السيطرة، ، العرض، تجنب الأذى، تجنب المذلة، الإعالة، النظام، اللعب، النبذ، التلذذ، الجنس، الإستنجاد والفهم.
وتتميز الحاجات الصريحة أو الظاهرة بالعلاقات التالية:
١ ـ اتجاه أو أثر سلوكي نمطي.
٢ ـ طريقة نمطية.
٣ ـ البحث عن «تجنب أو الإنتقاء من، أو الانتباه والإستجابة إلى واحد من الأنماط القليلة للضواغط.
٤ ـ إظهار انفعال أو وجدان خاص.
٥ ـ إظهار الرضا عند حدوث أثر خاص وعدم الرضا عند الفشل في إحداث أثر خاص.
وبالإضافة إلى هذه الحاجات الظاهرة هناك ٨ حاجات كامنة أو غير صريحة هي:
ـ الخضوع المكبوت (السلبية والماسوشية)، الإعتداء المكبوت (الكراهية والودية)، الإدراك والمعرفة المكبوتة (الحاجة إلى تقصي المسائل الشخصية الخاصة)، السيطرة المكبوتة (القدرة المطلقة والرغبة في الحصول على القوة كاملة)، العرض المكبوت (ميول استعراضية)، الجنس المكبوت، الجنسية المثلية المكبوتة، الإستنجاد المكبوت (القلق من اليأس)، الحاجة إلى الأمن والسند والحماية والمحبة.
انظر: Murray H. Explerations in Personality. N.Y. Oxford University Press 1953 p. 144 - 145.

ومن الحاجات التي يعطيها موراي أهمية كبيرة في التعبير[1]:

١ ـ **تجنب الأذى**: هل يلجأ الفرد إلى اتخاذ أسلوب الخنوع وقهر النفس كي يتجنب التأنيب والعقاب والألم، وهل يتحمل الضغوط الخارجية الشديدة والظلم دون احتجاج أو اعتراض؛ هل يخضع للظروف القاسية التي يصعب تحملها. هل يميل إلى تحمل العذاب أو تعذيب نفسه (ماسوشية).

٢ ـ **البحث عن الكمال**: هل يسعى بقوة ونشاط وراء ما يهدف إليه من أعمال هامة، هل يرغب في توجيه عمل ما، هل لديه الإرادة القوية في التغلب على جماعة ما وتوجيهها هل مستوى طموح الفرد عال.

٣ ـ **الإعتداء**: ويتضح في:

أ ـ الاستجابات الإنفعالية والتعبير اللغوي: كالبغض (الذي قد يعبر عنه لفظياً وقد لا يعبر عنه كذلك) الغضب، المنافسة الشديدة، السب، النقد، تحقير الناس، توجيه النقد وتأنيب الآخرين أمام الناس.

ب ـ والإعتداء الذي يأخذ صورة مادية واجتماعية: كالمقاتلة في سبيل الدفاع عن الذات أو عن شخص آخر محبوب؛ الإنتقام من الأعداء والأخذ بالثار لظلم وقع بالفرد؛ القتال في سبيل الوطن أو في سبيل العدالة؛ اقتفاء أثر المجرمين والقبض عليهم.

جـ ـ الإعتداء الذي يأخذ صورة مادية اجتماعية: كاحتجاز شخص وإيذائه وضربه أو قتله في ظروف تخالف القانون؛ الانتقام بأسلوب قاس مخالف للقانون، معارضة السلطات القانونية، العمل ضد الوطن، السادية.

د ـ الميل إلى التدمير كالهدم والتخريب وإتلاف الممتلكات.

٤ ـ **السيطرة**: محاولة التأثير في سلوك ومشاعر وأفكار الغير. البحث عن المواقف التي تؤدي إلى السيادة على الآخرين. ممارسة الضغط على الغير وتقييد حرياتهم.

٥ ـ **العدوان الموجه نحو الذات**: تأنيب الذات، إذلالها، التحقير من شأنها، معاناة النقص، الشعور بالذنب، الإنتحار.

---

(١) هول ـ لندزي: نظريات الشخصية، مرجع سابق، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٤.

٦ ـ **الإستنجاد والشفقة**: التعبير عن الشفقة في ما يقوم به من سلوك وتصرفات. أخذ مشاعر الغير في الاعتبار، تقديم العون والمساعدة للآخرين.

٧ ـ **السلبية**: حب الهدوء، النوم، التعب بعد بذل أقل جهد، أخذ اتجاه سلبي، عدم المبالاة.

٨ ـ الجنس: مصاحبة أفراد من الجنس الآخر، الاستمتاع بالتواجد معهم، قيام علاقات جنسية، الحب، الزواج.

هذا بالإضافة إلى الحاجات الأخرى كالاستقلال والفعل المضاد والتبجيل وتجنب المذلة والنظام الخ.

٣ ـ الضغوط أو العوامل البيئية والمؤثرات التي تؤثر في الفرد[١]:

وإلى جانب معرفة البطل الرئيسي ودراسة الحاجات والدوافع الأساسية المحركة للسلوك يلزم دراسة الجو المحيط بالبطل والذي يعيش فيه، كما يتطلب الأمر دراسة العلاقات المختلفة التي تقوم بينه وبين غيره من الناس، والضغوط المختلفة التي تصدر عن البيئة، على نحو ما يدركها المفحوص في الماضي أو الحاضر أو المستقبل. وهذه تشير إشارة صريحة أو ضمنية إلى المواقف المختلفة التي واجهها في أحلامه أو أوهامه، أو المواقف التي يُنتظر أن يواجهها، أو يرجو أن يواجهها والضغوط ـ كما عبر عنها موراي ـ هي رأي الفرد في العالم الذي يعيش فيه، وما يُحتمل أن يُسقطه من آثار في الاستجابات التي تصدر عنه خاصة بالمواقف التي تعرض له.

وفي دراستنا لهذه المواقف يهمنا أن نعرف ما إذا كان المفحوص يستخدم العناصر الموجودة في البطاقات أو هل يضيف إليها عناصر جديدة من عنده وبخاصة الأشخاص الذين لا وجود لهم في الصور. كما يهمنا أن نعرف وصفه للأشخاص الآخرين في البيئة المحيطة، واتجاهه نحوهم واستجابته لهم، وهل هي استجابات طيبة أم غير طيبة. وهل الأشخاص الذين يضيفهم إلى الصورة من الجنس الآخر، وما هي الصفات التي يضفيها على كل من الرجل والمرأة في سن معينة (صورة الأب والأم).

---

(١) هول ـ لندزي: نظريات الشخصية، مرجع سابق، ص ٢٣٩ ـ ٢٤١.

وكما اتخذ موراي مقياساً رقمياً لقياس الحاجات، فقد اتخذ نفس القياس الرقمي من ١ إلى ٥ لقياس الضغوط، وذلك حسب شدتها ومدتها وتواترتها ودلالتها العامة في القصة.

وقد أعطى موراي للضغوط والعوامل البيئة التالية أهمية:

١ ـ **النزعات الاجتماعية**: وهذه يندرج تحتها (أ) الخلطاء هل له صديق واحد أم عدد من الأصدقاء وهل هو عضو في جماعة من نفس سنه وطبيعته (ب) الأشخاص الآخرون (أب، أم، أفراد الأسرة، زوجة، خطيبة) وهل يحبه هؤلاء. وهل للبطل مغامرات عاطفية (حب متبادل أو زواج).

٢ ـ **الإعتداء**: وقد يأخذ (أ) صورة الإعتداء الوجداني أو اللفظي: هل هناك شخص آخر يكرهه أو غاضب منه. هل ينتقده الناس أو يهددونه أو يشعرونه بالذلة، هل هو مفتري عليه دائماً (ب) صورة اعتداء مادي واجتماعي: هل توقع السلطة (سواء سلطة الأب أو سلطة المجتمع الخارجي) العقاب بالبطل (جـ) صورة اعتداء مادي لا اجتماعي: هل هناك عصابة تهاجم البطل وتريد قتله مثلاً. هل هناك شخص آخر يبدأه بالعراك (د) صورة تحطيم الممتلكات: هل هناك شخص غريب يعبث أو يحطم ممتلكات البطل.

٣ ـ **السيطرة**:

أ ـ الضغوط الخارجية: هل هناك من يفرض رأيه بالقوة على البطل.

ب ـ تقييد حريته: هل هناك من يمنع البطل من القيام بشيء مرغوب، أو يقيد حريته.

جـ ـ محاولة التأثير عليه وإغرائه. هل هناك من يحاول حمله سواء بالتشجيع أو الإغراء أو الإقناع أو المحبة، على فعل شيء أو عدم فعله.

٤ ـ **العطف**: هل هناك من يحمي البطل ويعطف عليه ويعفو عن خطاياه.

٥ ـ **النبذ**: هل هناك من ينبذ البطل ولا يتقبله أو يبالي به ويقابل مطالبه بالرفض.

٦ ـ **الحرمان والفقد**: وهذه يندرج تحتها حرمان البطل مما يحتاج إليه من أجل الحياة أو النجاح أو من أجل أن يصبح بطلاً. كما تتضمن فقد أشياء كان يملكها أو فقد شخص عزيز عليه.

٧ ـ **الأخطار المادية**: كتعرض البطل لأخطار مادية من جانب قوى غير بشرية كالحيوانات المتوحشة أو عواصف البحر، أو من ناحية فقدان السند القوي الذي كان يعتمد عليه مما يتسبب عنه تعرضه لكثير من الأخطار المادية، ومن ثم تعرضه للقلق والاضطراب النفسي.

٨ ـ **الجروح المادية**: وجود شخص يهاجم البطل (أي عدوان) أو وجود حيوان يهاجم البطل أو أن البطل يصاب في حادثة ما (خطر مادي).

تلك هي النواحي الرئيسية بفروعها المتعددة التي يركز عليها مورواي اهتمامه في تحليل محتوى القصة، ونعني بها البطل الرئيسي وحاجاته وما يتعرض له من ضغوط. لكن بالإضافة إلى هذه الدراسة المستقلة لهذه العوامل يلزم دراسة ما بينها من علاقات. هل ينجح البطل مثلاً في التغلب على العوائق والضغوط. أم هل يجد مشقة، وهل يتكيف معها أو يخضع لها، وماذا يفعل للتغلب على عوامل الإحباط، هل يتعاون مع الغير من أجل تحقيق أهدافه أم يتخذ أساليب عدوانية الخ.

إن أشرنا إلى أن القصص التي يعطيها المفحوص قد تحوي أشياء لاحظها المفحوص بنفسه أو أشياء قام بها أو يرغب في القيام بها أو تجنبها، كما تحوي نزعات وميول ترجع في ناحية منها إلى طفولته الأولى، أو تحوي مشاعر ورغبات يعانيها وقت القيام بالاختبار، أو تنبؤات عن سلوكه المقبل، أو تحوي أشياء تكشف عن علاقاته بالمحيطين له، أو مواقف يأمل أن يوجد فيها، أو يوجد فيها فعلاً.

ولكي يكون التفسير دقيقاً يجب أن يلمّ الفاحص بشيء عن حياة المفحوص: سنه وجنسه وحالته الراهنة، ولذلك ينصح مورواي ألا نلتجيء إلى «التفسير الأعمى» للحكايات ذلك التفسير الذي يعتمد فحسب على البروتوكول دون أدنى معرفة بالشخص المفحوص أو حياته.

ثانياً: طريقة تومكينز في تحليل استجابات T.A.T:

١ ـ يميز تومكينز قوائم أربعة أساسية يسير وفقها التحليل[١]:

أ ـ الموجهات Vectors.

(١) Thomkins, Sylv.M. The Thematic Apperception Test. The Theory and Technique of Interpretation. New York. Grune & Stratten, 1947.

ب ـ المستوى Levels .

جـ ـ الظروف Conditions .

د ـ الصفات والخصائص Qualifiers .

وسوف نلقي نظرة سريعة على كل ناحية من هذه النواحي.

أ ـ الموجهات: ويقصد بالموجهات «الاتجاه النفسي المميز للسلوك» وكذلك النزعات والرغبات والشحنات الإنفعالية. وقد يكون موضوع الموجه هو الذات أو أشخاص آخرين أو الأنظمة الاجتماعية الثابتة أو الأشياء المادية والأفكار وباختصار قد يكون موضوع الموجه، كل ما له اتصال باهتمامات الفرد.

ولقد أشار تومكينز إلى عدد من الموجهات هي:

١ ـ التوقف على، وطلب العون والمساعدة والاعتماد على شيء أو شخص أو (موجه «على»).

٢ ـ التملك واكتساب قيم إيجابية أو مال (موجه «من»).

٣ ـ الإستمتاع والإتجاه نحو الأشياء ذات القيمة الإيجابية (موجه «نحو»).

٤ ـ المشاركة وتكوين علاقات مع أفراد من جنسه (موجه «مع»).

٥ ـ النجدة ومساعدة الغير (موجه «لـ »).

٦ ـ السيطرة والتحكم في الأشياء والمواقف (موجه «فوق»).

٧ ـ الخضوع والاستسلام للغير أو لأنا الأعلى متزمت (موجه «تحت»).

٨ ـ الاعتراف بالقيم والتوافق مع أنا أعلى مثالي قبلة الفرد (موجه «بـ »).

٩ ـ الابتعاد عن والهرب من (موجه «بعيداً عن»).

١٠ ـ الهجوم سواء وجه إلى الآخرين في صورة تحطيم وإيقاع الأذى بهم، أو إلى الذات في صورة انتحار (موجه «ضد»).

ب ـ المستويات: وتشير إلى الوظائف النفسية التي تتضح في الحكايات كالوصف والإدراك والانتباه إلى الأشياء والميل والقصد والمشاعر والعواطف والتأمل والرغبة والإنفعالات والتذكر وأحلام اليقظة وأحلام النوم. وقد يكون لهذه

الوظائف النفسية موضوع، وقد لا يكون لها موضوع. على نحو ما نقول مثلاً «الولد بيحلم وفاتح عينيه».

جـ ـ الظروف، وقد تأخذ صورتين:

١ ـ ظروف ذات دلالة سلبية: كالحرمان أو العجز أو النقص أو الفقدان أو الإفراط الذي لا يترتب عليه تقدماً أو نجاحاً والخطر والحالات النفسية غير السارة كالإكتئاب والقلق والشك والصراع والخداع والريبة.

٢ ـ ظروف ذات دلالة إيجابية: كوفرة الأشياء والإعتدال والطمأنينة والبعد عما يسبب التهديد والإحساس بالخطر أو الحرمان أو الفقد أو الإحباط أو الإفراط الضار، وكذلك الحالات النفسية السارة كالتفاؤل والشعور بالثقة والإحساس بالسعادة.

د ـ الصفات والمحددات: ويقصد بها تومكينز الأشياء الأكثر تخصيصاً من الموجهات والمستوى والظروف، كالتحديد الزمني (متى حدث الفعل: في الماضي في الحاضر، في المستقبل: مستقبل قريب، بعيد، مباشر) ودرجة اليقين وقوة المشاعر أو ضعفها والإتجاه نحو غاية والعلاقات العلية، علاقة السبب بالنتيجة.

وإلى جانب هذه النواحي تقدم تومكينز خطوة أخرى في تقدير وتحليل نتائج الاختبار. وقد نعرض لمجالات أربعة ذات تأثير بالغ في حياة الفرد.

٢ ـ المجالات(١):

(أ) الأسرة (ب) الحب والجنس والزواج (جـ) العلاقات الاجتماعية (د) العمل والنشاط المهني.

مثلاً الأسرة: المهم أن نعرف كيف يفسر المفحوص المواقف المختلفة التي فيها علاقات عائلية. هل يضيف صورة الأب، أم يهمل صور الشخصيات المتقدمة في السن رغم وجودها بالصورة. هل هناك صراع بين الآباء والأبناء...

(١) Anzieu: Les methodes proj. Op.cit. p: 149 - 150.

ثالثاً: طريقة ليون في تحليل استجابات T.A.T:

لقد حاول ليون[1] الجمع بين مختلف الطرق لتلخيص القصص التي يعطيها الفرد وصياغتها في جدول. كما حاول أولاً وقبل كل شيء الجمع بين التفسير الشكلي وتفسير المحتوى في عملية التحليل. ولذلك يقترح أن يتضمن جدول التحليل النواحي التالية:

١ ـ موضوع القصة.

٢ ـ التفسير الشكلي ويشمل:

أ ـ الإتجاه العقلي.

ب ـ الإتجاه الإنفعالي.

٣ ـ تفسير المحتوى ويشمل:

أ ـ البطل.

ب ـ الموقف.

جـ ـ الحل.

٤ ـ الملاحظات: عن القصة وإتجاه المفحوص.

ويقترح ليون أن نذكر ـ في كل عمود وبلغة المفحوص إن أمكن ـ الجزء الرئيسي الجوهري في القصة، كي نستخلص منها النتائج في ما بعد. ويذهب شتيرن إلى أن هذا المنهج الذي اتبعه ليون يبدو مفيداً، وإن من الممكن توسيعه من وجهة نظر التفسير الشكلي. وقد أضاف إليه «شتيرن» **Schtern** بالفعل ملاحظات عن العلاقات بين البطاقة والقصة، وعن التركيب الشكلي للقصة وارتباط عناصرها المختلفة بعضها بالبعض الآخر، والحقيقة أن البطاقة يجب ألا

(١) Charles Aldunate Lyon: «Le Thematic Apperception Test», Revue Psyché 1949.

تحوي الكثير من العناصر التي لا تفيد في الواقع بقدر ما تعوق سرعة العمل بها والاستفادة منها. ولقد استفاد شتيرن من كل من تومكينز وليون ووضع صورة لجدول يسير وفقه تحليل البطاقات وفي الوقت نفسه يجمع بين ناحيتي الشكل والمحتوى. وسوف نورد في ما يلي مثالاً للصورة التي يتم عليها التحليل عند شتيرن. في الجدول (أ) يفرغ فيه جميع نواحي الشكل والمحتوى التي تتصل بالاستجابة أو القصة. وفي الجدول (ب) يعرض فيه المجالات المختلفة التي تؤثر في حياة الفرد. وقد استفاد في هذه الناحية مما قدمه تومكينز.

ولنأخذ على سبيل المثال البطاقة رقم ١. (الولد والكمان)[١]

«هذه الكمان قدمها الأب والأم لابنهما وهما يريدان أن يستعلمها ويتعلم عليها ويعزف عليها بانتظام، ولكن العمل هذا لا يبسط الولد ولا يدخل السرور عليه. نعم هما يريدانه أن يبدأ بعزف قطعة لموزار، لكن اللعب على الكمان لا يدخل السرور إلى نفسه. هو مثل النائم على الكمان، ويفكر في طريقة يتخلص بها من هذا الموقف. هو يريد أن يلعب مع زملائه في الحدائق، ولكنه يخاف من أبويه ليزعلوا ويقولوا له إنه سوف يشعر بالأسف في ما بعد إذا ضاعت منه هذه الفرصة، وإنهم يعلموه كل شيء من أجل أن يشق طريقه في حياته وينجح، وهو الآن لا يفهم جيداً كل الأشياء، وإن كل اللي يهمه في ذلك الوقت هو أن يستمتع باللعب مع زملائه وأترابه خارج المنزل. وأخيراً الولد أخذ «الفيولين» وقعد يعزف عليه شوية وبعدين وضعه في علبته ورايح يلعب في الخارج مع أصدقائه»[٢].

تلك هي القصة رقم ١ التي أعطاها رجل في الخمسين من عمره أعزب، يعيش في ظروف قاسية إلى حد ما. وقد حللناها وفق طريقة شتيرن.

---

(١) غنيم ـ براده: الاختبارات الإسقاطية، (النموذج والجداول)، ص ١٥٥ ـ ١٥٧.

(٢) E.Stern: *Le* Test d'Apperception Thématique de Murray (TAT). Delachaux & Niéslté S.A. Pariu VII, *1950*.

الجدول (أ):

موضوع القصة	ارتباط الصورة بالقصة	ارتباط عناصر القصة	الاتجاه العقلي	الاتجاه الانفعالي	البطل	الموقف	الحل	ملاحظات
الوالدان يدفعان الطفل إلى تعلم العزف على الكمان.	حسنة - تحدد الموقف أولاً ثم تنميه وتوسعه بعد ذلك.	حسنة - لغة صعبة، إلى حد ما ولكنها غنية والعبارات مركبة.	الولد يقوم ببعض التأملات حول التمرينات. يتأمل ويفكر في وسيلة للتخلص والهرب. لا يفهم بعد الهدف الذي يرمي إليه الوالدان من وراء تعليمه العزف على الكمان.	الولد غير راض عن أن يدفع دفعاً لتعلم العزف على الكمان أو القيام بالتمرينات. إنه غاضب، ولكنه خائف من والديه ومن تأنيبهما له. يشعر بالرغبة في الذهاب إلى اللعب مع زملائه. هناك شيء من عدم المبالاة تجاه والديه. هناك رغبة في أن يصبح حراً. الوالدان لا يفهمان الطفل جيداً.	الولد. ثم يضيف الوالدان.	الطفل جالس أمام الكمان يفكر.	يقوم ببعض التمرينات حتى يشعر بالطمأنينة وراحة الضمير. ثم بعد ذلك خرج ليلعب. عبارة عن نوع من التوفيق.	المفحوص الطفل أحياناً، وأحياناً أخرى شخصية الأبوين، وهذه نزعة أخلاقية. صراع الطفل مع والديه.

ثم يلي ذلك الجدول (ب) حيث يدرس فيه المجالات الأربعة الأساسية التي يتعرض لها الفرد في حياته. وسوف نعالج في الجدول (ب) كيفية تفريغ القصة السابقة على المجالات الأربعة على النحو التالي:

الجدول ب:

رقم البطاقة	الأسرة	الحب والجنس والزواج	المهنة والعمل	العلاقات الاجتماعية	مشكلات أخرى
١	الوالدان يرغبان في أن يتعلم الولد العزف على الكمان ولكن الولد لا يريد ويثور. إنهم يقولان له ماذا فعلوا بالنسبة إليه وأنهم يرغبون في أن يصبح من كبار العازفين	—	ليس للولد رغبة أو ميل في تعلم العزف على الكمان	يريد اللعب مع زملائه	يبحث عن اللذة

وبعد القيام بعملية التحليل هذه يستطيع الفاحص أن يسجل التقرير النهائي الشامل عن المفحوص على ضوء ما وصل إليه من نتائج.

٣ ـ الدلالة التشخيصية لاختبار T.A.T[١]:

وبالإضافة إلى استخدام اختبار T.A.Tكوسيلة لدراسة الشخصية، فقد استخدم كذلك كأداة للتشخيص في ميدان الطب النفسي وأعمال العيادات والتشخيص الإكلينيكي.

وسوف نقدم في ما يلي بعض صور الاضطرابات النفسية والأمراض العقلية لنرى إلى أي حد يساعدنا اختبار T.A.T في تحديدها والكشف عنها[٢].

---

(١) هنا محمود عطية: علم النفس الإكلينيكي، (التشخيص)، مرجع سابق، انظر: ص ٤٩١ـ٤٩٧.

(٢) Rapaport. O. Diagnostic Psychological Testing. Yearbook Publishers. Inc. 1945 pp. 439 - 459.

يذهب «رابابورت» إلى أن اختبار T.A.T ـ شأنه شأن بقية الاختبارات الإسقاطية الأخرى كالروشاخ ـ يتطلب من المفحوص أن يفكر وأن يصوغ أفكاره في قالب لغوي. وهذا التفكير، وهذه الصياغة اللغوية تتشكل إلى حد بعيد في نواحيها الشكلية بالأسلوب المرضي الذي يميز حالة المريض ذاتها. وبعبارة أخرى فإن كل حالة عقلية يمكن الكشف عنها من خلال تعبيراتها في عمليات التفكير، على نحو ما يعبر عنها أيضاً في أداء المفحوص وسلوكه. فعصاب القلق مثلاً قد يترك أثره واضحاً في الأسلوب العام للتفكير، في صورة التعليل العقلي الزائد عن الحد، والشك الزائد وكثرة التدقيق، على حين نجد حالة الهستيريا تترك أثرها في صورة التحول الوجداني السريع الذي يشكل جزءاً كبيراً من خبرة الفرد وتفكيره، كما أن الإكتئاب يجمد عمليات التفكير، أما الفصام فيتضح في أسلوب التفكير الإجتراري المرضي.

وتقوم أدلة التشخيص في اختبارات T.A.T على أساس أن المريض يتحدث باستمرار عن مواقف وحالات وجدانية ودوافع متنوعة متعددة دون أن تكون لديه فرصة مراجعة هذه النواحي. ومن ثم فإنه يكشف بسهولة ويسر عن كثير من أساليب تفكيره المميزة له أو أساليبه المرضية.

وسوف نقدم في ما يلي صورة تشخيصية للحالات المرضية المختلفة.

أولاً: حالات التقلب الوجداني:

ويتضح هذا التقلب أو التحول الوجداني لدى المرضى الذين يستجيبون انفعالياً بشكل زائد عن الحد لصور المثير. وهذه المبالغة في الاستجابة وجدانياً قد تأخذ صورة التفسير أو النقد، أو الوصف المشبع بشحنة انفعالية أو التشكيل التعسفي لمحتوى القصة، أو زيادة الضغط على الجانب الانفعالي أو الوجداني في القصة، أو الاضطرابات الانفعالية التي قد تصل أحياناً إلى درجة البكاء أو الإعاقة نتيجة تداخل الوجدانات المختلفة.

وقد أورد رابابورت نماذج من تقارير حالات التقلب الوجداني يمكن أن نشير إلى بعضها بقصد توضيح استجابات هذا النوع.

أ ـ التعجب: «ما أجمل هذه الصورة»!. «هذه الصورة عاملة مثل الكابوس»، «ما هذه الصور المخيفة؟».

ب ـ **الاكتئاب**: تداخل الوجدانات في إنتاج القصة: «الصورة هذه تبدو معتمة وليست مفرحة. إنها لا تبدو جميلة ويلزمها خيال واسع من أجل أن نكوّن منها قصة. أنا أحب الأشياء المفرحة لكي أستطيع أن أعمل منها قصة».

ثانياً: الاكتئاب:

وقد يعبر الإكتئاب عن نفسه في القصص بطرق متعددة، كما يختلف ظهوره في القصص اختلافاً ملحوظاً باختلاف عمق هذا الإكتئاب (ذهاني، حاد شديد أو عصابي). ويتكشف الإكتئاب عادة في صورة ضحالة وضيق شديد في النشاط الفكري الذهني، لدرجة أن جانباً كبيراً من محتوى القصص التي نحصل عليها من المفحوص لا نصل إليه إلا بالدفع المستمر من جانب الفاحص. «ومعظم القصص التي نحصل عليها من النوع الاكتئابي تكون قصصاً محزنة تنتهي عادة نهاية حزينة كئيبة». وليس من المستبعد أن يعلق المفحوص نفسه في نهاية القصة بقوله: «لماذ تعطيني هذه الصور المحزنة الكئيبة»؟. «ومع ذلك فقد تحوي قصص حالات الإكتئاب على بعض الحكايات الخيالية التي تشير إلى الرغبات والأماني التي يرغبون في تحقيقها». كما قد يشغل الحب والسعادة جانباً كبيراً منها.

وقد يظهر التفكير الهذائي في قصص حالات الإكتئاب خصوصاً حالات الإكتئاب الذهاني. كما يتصفون بالاستمرار على إعطاء عبارات نمطية تتصل بالجريمة والأخلاق. وقد يظهر في قصصهم اهتمام ظاهر بالشخصيات التي يحتمل إصابتها بمرض عقلي أو يكون لديها مخاوف مرضية.

ويكثر ورود الميول الإكتئابية لدى بعض المجموعات الإكلينيكية من غير حالات الإكتئاب. وفي هذه الحالة تكشف هذه المجموعات عن التعبيرات الإكتئابية المماثلة. ويجب أن يعطى الفاحص اهتماماً كبيراً لسلوك الفرد، وما قد يطرأ عليه من تغير كالبكاء أو الشعور باليأس.

ومن أمثلة حالات الإكتئاب ما أورده رابابورت بصدد (البطاقة ٣ GF): «هذه شابة صغيرة واقفة أمام باب مغلق وتركوها وحدها على الباب لأنها بنت وغير مؤدبة. إنها لا تريد أن تقوم بعمل أي شيء لأنها كسولة كثيراً لا تحب عمل أي شيء. وهي تتسكع في الطرقات من مكان لآخر، لا تهتم بنفسها ولا يريد أحد أن يقبلها، وليس لها عمل، كما لا يمكنها القيام بأي عمل. إنها بائسة لكن هذه

غلطتها، إنها مرمية في الشارع، ولا يوجد أي إنسان يريد أن يقبلها عنده. إنها ستموت».

وقد يظهر الإكتئاب في صورة اتهام للذات وإحساس قوي بالذنب والقلق واليأس. أي في صورة أفكار إكتئابية شديدة أو في قصص الانتحار أو في صورة توقف عن الأنتاج. وقد أورد ربابورت مثلاً لهذه الحالة الأخيرة بالنسبة للبطاقة (F ١١): صورة أم. هذا كل ما في الصورة [فلما قال الباحث أنا عاوز تكون قصة] أكمل المفحوص بقوله: [إنها فقدت طفلتها. ودفنتها. هذه أصغر وحدة في الصورة (نقصد الأم)]. [ومين الشكل الثاني؟] الموت [وماذا حدث للفتاة] ماتت. [من ماذا؟] الحمى. وماذا تشعر الأم الآن؟ بالحزن. فالإجابة على قدر السؤال.

ثالثاً: حالات الوساوس والقهر:

إن دلالات الوساوس والقهر كثيرة متنوعة، وتظهر بدرجات مختلفة باختلاف المرض. وهذه الدلالات تتضمن ـ من ناحية الإلزام والقهر ـ أسلوب الوقت الذي يتميز بكثرة الحشو والتفاصيل الزائدة غير المباشرة في وصف الصورة. ويكون هذا الأسلوب من الحديث شاذاً وغريباً، كما يظهر هذا الجمود القهري في عدم تقبل أجزاء الصورة أو أن عناصرها تبدو له «غير متسقة معاً». على حين تتضمن هذه الأدلة ـ من ناحية الوساوس ـ التعليل العقلي الزائد عن الحد، واحتمالات كثيرة جداً لتفسير الصورة والتي ترد إلى الشعور أو القلق أو الشك. وعلى العموم فإن حالات الوساوس والقهر تعطي اهتماماً بالتفاصيل الدقيقة. وغالباً ما يعطي المفحوص أكثر من قصة للصورة الواحدة كما أن الشخص الذي يقص القصة يعبر عن اتجاهات تهكمية نحو البطل، كما يظل هو نفسه بعيداً من الناحية الوجدانية بعكس حالات الهستيريا التي تكشف عن قدر كبير من التماهي الوجداني مع البطل.

والقصة التالية التي وردت في تقرير شاب في السادسة والعشرين من عمره عند الحديث عن (الصورة رقم ٥) ما يبين التحليل الدقيق والتعليل العقلي الزائد عن الحد.

«أشاهد في هذه الصورة امرأة تفتح باب الحجرة. ولكنني أتساءل هل تدخل حجرتها أم حجرة شخص آخر غريب. لا يمكن أن تكون حجرتها لأنها تفتح

الباب بحذر. لأنه إذا كانت حجرتها ما كانت تدخلها بهذا الشكل بل كانت تدخلها مسرعة. وإذا كانت حجرة شخص آخر غريب، فإنها بذلك ترتكب إثماً. ويبدو أنها تعلم ما تفعل لأنها تدخل بهدوء وحذر حتى لا يراها إنسان: وإلى جانب ذلك فإن الغرفة توحي بجو غريب. فالوعاء الموضوع على حافة المنضدة والمصباح يبدو مضيئاً، ونلحظ أيضاً ظلالاً وإن كان الوقت ليس ليلاً، طالما أن هناك نوراً صادراً من الخارج يدخل إلى الغرفة. لست أدري سبباً لوضع الزهور هناك. ثم هناك كتب ومكتبة صغيرة وهذا يدل على أن سكان الغرفة من النوع الذي يقرأ. ولكني أرى أن طابع الغرفة من النوع البورجوازي جداً. ويبدو أن المرأة عندها الغدة الدرقية. وفي هذه الحالة يبدو أن الغرفة كما لو كانت قاعة انتظار في عيادة أحد الأطباء. لا، لا أظن ذلك «لأنه في هذه الحالة لا بد من وجود عدد من الكراسي والصحف والمجلات. ولكن ليس هذا بالأمر الضروري، ومع ذلك يبدو لي أن هذه الغرفة هي غرفة نوم في بيت».

في هذه القصة تتضح لنا عناصر الحصر والحالات الحصرية. فالمفحوص يناقش نفسه مناقشة ذهنية دقيقة. يقلب الرأي حول ما إذا كانت الغرفة هي غرفة السيدة أم غرفة شخص آخر غريب، ومثل هذه المناقشة والتعليل الذهني والأخذ والرد بشكل مبالغ فيه، تعتبر من سمات حالات الحصر. وغالباً ما يكون انتباه المفحوص موزعاً بين أمرين مختلفين لا يمكن أن يستقر على أحدهما. وهذا ما تجلى في عناصر القصة جميعها هل الغرفة غرفتها أم غرفة شخص آخر، هل المصباح مضيء أم النور آت من الخارج، هل هذه عيادة طبيب أم غرفة نوم في أحد المنازل. وهكذا يعيش الفرد في حالة عدم استقرار وأخذ ورد بين الأفكار التي ترد إلى ذهنه.

رابعاً: حالات البارانويا:

تشير أدلة البارانويا إلى إتجاهات بارانوية سواء لدى المرضى بحالات بارانوية Paranoid Conditions أو بحالة الفصام البارانوي. وتتضح هذه الأدلة في الموضوعات التي تمتلىء بالشك والريبة والتوجس، أو استنباط دوافع الفاحص من الصور، أو التحريفات الإدراكية الكبيرة التي تشير إلى وجود أفكار هذائية.

ومن الأمثلة التي تثير الشك والريبة والتوجس، ما ورد في إحدى القصص

بالنسبة (للبطاقة الخامسة) «هذا تجسس أكثر من اللازم» «أو هذا منظر يسمح بالقول بأن هناك شيئاً مريباً أو غير مناسب يجري داخل الغرفة».

وقد ذهب ربابورت إلى أن التحريفات الإدراكية تشير على وجه العموم.إلى وجود حالة هذاء أو أفكار بارانوية. ذلك أن الأفكار أو العواطف التي تثيرها الصورة تكون من القوة بحيث تؤدي إلى تحريف الحقيقة أو الواقع على نحو مماثل للتحريفات الهذائية للواقع، والذي نلاحظه في الناحية الإكلينيكية. والهذاءات البارانوية تتضح بشكل ظاهر في حالات عدم التعرف أو الإنكار الزائد لجنس الأشكال الموجودة بالصورة. وفي البطاقات الغامضة خصوصاً البطاقات (٥، M ١٣، M١٧، M١٩) يشير إلى عدم الاعتراف بالجنس أو إنكاره إلى ميل شهوي مثلي كامن أو إلى حالة تماهي أنثوي. ويمكن أن يتخذ عدم التعرف على الجنس في (الصورة رقم ٢)، والمرأة العجوز وطفلها بين يديها في (البطاقة رقم ٨)، دليلاً قوياً على حالة البارانويا. وكذلك يمكن أن يتخذ عدم التعرف على جنس الأشخاص في (البطاقتين M ١٤، F١١)، وعدم التعرف على الأشكال الأنثوية في (البطاقات M ١٨، F١٧، F١٨، F١٩) والشكل العلوي في (البطاقة ١٠) أدلة قوية على وجود حالات البارانويا.

خامساً: الفصام:

الأدلة التي تكشف عن حالات الفصام متنوعة وكثيرة: وهذه الأدلة قد تظهر أحياناً في محتوى القصة، كما تظهر أحياناً أخرى في استجابة المفحوص للصور، أو في تعبيره اللفظي، أو اتجاهه نحو الفاحص، أو نحو الموقف الاختباري. أما بالنسبة لمحتوى القصة، فإنه يكون عادة غريباً وغير مقبول على نحو ما ورد في استجابة شخص (للبطاقة رقم ١٠) «هذا يمثل منظراً غرامياً بين شخصين مثلي الجنسية». أو بالنسبة (للبطاقة رقم ١٧) «تمرين لشاب يريد عبور نهر المانش» ومن أمثلة التعبير الرمزي بالنسبة لبعض التفاصيل، ما أورده ربابورت في استجابة (للبطاقة رقم F ١٢) «هذا الجسد الفاصل بين الحياة والموت، الشمس هي الحياة والماء هو الموت وهذه البنت لم تقرر بعد أيهما تختار. العمال يرمزون إلى العبودية والاستقلال. وقد قامت الفتاة بعمل شاق مجهد وهي تعلم أنه إذا لم تجد لنفسها مكاناً تحت الشمس. فسوف تصبح واحدة من هؤلاء العمال أو يكون مصيرها الإنتهاء إلى الماء» وموضوع هذاالموقف يتلخص في كلمة واحدة هي «الشك».

وتكشف قصص الفصاميين عن محتوى هذائي. وقد أورد ربابورت مثلاً لذلك في (البطاقة رقم ١٨) «إنه يهلوس ويبدو له أن هناك شخصاً يمسكه من الخلف. إنه نزل إلى الشارع وفيه قوة خفية لفت أصابعها النحيلة حول رقبته وحاولت خنقه، ولقد سقط على الأرض ووجد نفسه بعد فترة في مركز البوليس. إنه يتصور أن شخصاً قتله هو، عاد إلى الحياة مرة أخرى وأخذ يقتفي أثره».

وليس ثمة شك في أن عدم الإتساق الذي يتجلى سواء في المحتوى أو في التعبير اللغوي، يعتبر دليلاً هاماً على الفصام. وبالمثل يعتبر استخلاص المشاهدات والملاحظات التي لا تمت بصلة إلى القصة والتي تبعد عن واقع القصة بعداً ظاهراً دليلاً على وجود حالة فصام. مثال ذلك في (البطاقة رقم ١) «الولد بيتمرن على الكمان. إن له معدة عصبية وأمه تريده عازف كمان كبير، أو ما جاء بالنسبة (للبطاقة رقم M ١٢): هي عندها مجموعة من الأسلحة، واحدة منها معمرة، وهو أطلق النار عليها من هذه البندقية. لقد كان مغفلاً ثملاً (هل هي مصادفة؟) لا، لقد كان يريد ذلك، والفتاة نسيت تشيل الطلقة، وهو كان بيحبها وقتلها. (لماذا قتلها؟) هو لا يحب مجموعة أسلحتها. وأظن عدم الإتساق في الفكر واضح ظاهر. وهذه سمة واضحة من سمات الفصام وعدم الإتساق هذا يرتبط بشكل واضح بما هناك من تناقض في قصص الفصاميين، وحالات ما قبل الفصام. وهذا التناقض ظاهر واضح في كثير من الأحيان.

أما العلامات التي أوضحها ربابورت فإنها تتصل بحالات الفصام الظاهر والتي يتجلى عندها المرض بشكل ظاهر واضح لا يحتاج إلى الكشف عنه باختبار T.A.T. ومع ذلك فنسبة ملحوظة من حالات الفصام حتى في حالات الفصام الكامن، تعطى بعض الأدلة التي تكشف عن اضطراب خطير في قصص T.A.T، من ذلك مثلاً المحتوى الغريب الشاذ المضطرب الذي لا يقابلنا في الأسلوب العادي، أو اضطراب الأفكار إلى آخر هذه الدلائل التي سبق الإشارة إليها.

سادساً: الجنسية المثلية:

وفي بعض الأحيان يظهر العدوان ضعيفاً حتى في (البطاقات ٤، ١٨ BM)

التي توحي بوجود حالة عدوانية ظاهرة. ومثل هذا العدوان الضعيف قد يشير إلى جنسية مثلية. وقد يكشف محتوى القصة كذلك عن إنتاج لحالات جنسية مثلية. مثال ذلك ما جاء في (البطاقة PM ٧) «هذا الشاب وقع تحت تأثير الرجل الكبير. ويبدو أن فيه حاجات بينهما والرجل الكبير ناداه وانفرد به ليؤثر عليه».

وفي بعض الأحيان حين يكون هناك رجال في الصورة نجد حالة كبت عند المفحوص، فيتوقف عن مواصلة الاستجابة نحو ما حدث بالنسبة لأحد المفحوصين في (البطاقة BM٩) «الدنيا حر والرجال يستريحون بعد عناء العمل ولا أستطيع أن أكمل بينهم وليس لدي ما أقوله. وكذلك ما قاله الآخر بالنسبة (للبطاقة BM ٨): رجل عمل عملية، ولما كان مش قادر ينام كان بيتألم كثير، وبينما هو يتألم كذلك، ظهرت أمامه صورة شاب صغير... لا أعرف ماذا أقول، لا أقدر أن أقول شيئاً آخر. [هل هو شاب يعرفه؟] إنه يذكره بشيء سبق أن مر به».

سابعاً: الجناح:

لماذا ينحرف الفرد ولماذا يصبح جانحاً. لماذ يرتكب هذا الجرم أو ذاك رغم معرفته بقسوة العقاب الذي ينتظره، ما الدور الذي تقوم به العوامل الوراثية في الإجرام، وما الدور الذي تقوم به العوامل البيئية. وما العوامل التي أثرت في نموه وجعلت منه جانحاً. إن القصص التي يعطيها الجانح كثيراً ما تكشف عن العوامل التي أثرت فيه وجعلت منه جانحاً. ولقد أورد شتيرن مثالاً لحالة طفل جانح تكشف القصص التي أعطاها في استجابته لاختبار T.A.T عن كثير من النواحي ذات الدلالة البالغة في الكشف عن الجناح.

وصاحب القصة صبي في الخامسة عشر من عمره، كان يعمل صبياً في محل لصناعة الحقائب. وقد اتهم بسرقة حقائب السيدات من المحل الذي يعمل به. وقد أنكر الصبي التهمة الموجهة إليه، وأدعى أن شخصاً قابله في الطريق وأبلغه أن صاحب المحل يطلب إليه أن يوصل الحقائب إلى عنوان آخر، غير العنوان الذي كان يتجه إليه في بادىء الأمر. وكان التناقض ظاهراً في إجابات الطفل وادعى أنه ذهب لإبلاغ الشرطة وأنه قص قصته على أحد رجال البوليس

الذي كان واقفاً بباب المخفر. وأخبره الشرطي أن هذا يكفي، وأنه سوف يتخذ اللازم. وكان الطفل كاذباً في أقواله.

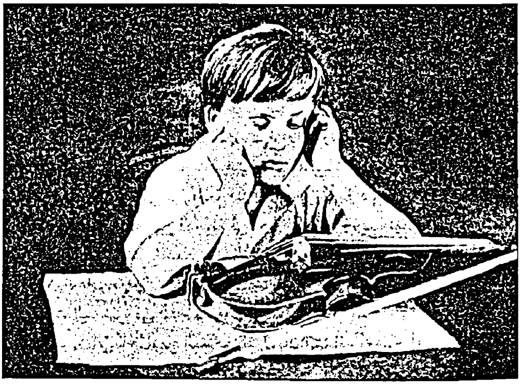
وحين أعطى اختبار T.A.T كشفت الإجابات التي أعطاها في عدد كبير من هذه البطاقات بما لا يدع مجالاً للشك، أنه قد ارتكب الجرم. كما كشفت أيضاً عن بعض العوامل التي دفعته إلى الإجرام، وخصوصاً في العلاقات الأسرية بينه وبين والديه.

من ذلك مثلاً ما ذكره بالنسبة (للبطاقة ٣ BM): هذا ولد في السجن. إنه يؤنب نفسه بشدة. إنه كان ينشل الناس. وقد ارتكب جريمة سرقة ومن أجل ذلك قبض عليه البوليس رغم صغر سنه وأودعوه السجن. إنه يفكر الآن في مصيره. آه لو كنت أعرف، لما فعلت ذلك. ولكن التفكير يأتي بعد فوات الأوان. وكذلك ما جاء في (البطاقة ٧ BM): هذا أب وابنه. الأب يقدم النصائح لابنه لأنه يتعلم في مدرسة تأهيل للصناعة. والإبن بدأ يتضايق من شغله ولا يريد الاستمرار فيه ومن أجل ذلك نجد أن والده أخذ يشجعه ويقوي من إرادته. وقد بدأ الابن يواصل دراسته ويذاكر بعد أن قدم له والده النصائح. وقد نجح في نهاية الفصل الدراسي وكان ترتيبه الأول وكان أبوه فخوراً به.

ويكشف الصبي عن تمنياته ورغباته في القصة التي أعطاها (للبطاقة رقم ٨ BM) «أب وابن». الأب يبدو أنه يعمل عملية جراحية ومن أجل ذلك فإن الابن يبدو عليه الخوف. ولما لم تنجح العملية مات الأب. وقد أصبح الابن في هذه الحالة وحيداً وأصبح يتيماً. ولما كان لا يستطيع أن يعيش بمفرده، فقد نقل لكي يعيش مع عائلة. وهناك تعلم وذاكر، ثم زاره في المنزل زائر وأعجب به وطلب أن يتبناه. ولقد أصبح الولد مسروراً أن يكون له أب بالتبني. وقد شجعه هذا على مواصلة الدراسة. وقد درس جيداً وحصل على الشهادة الثانوية ودخل كلية الحقوق وتخرج محامياً. وكان الناس الذين تبنوه وراعوه فخورين به إلى حد بعيد.

ولعل القصة الأولى تكشف عن «الجرم الكبير» الذي ارتكبه بطل القصة والذي من أجله أودع السجن. كما تكشف لنا القصتين الأخريين وغيرهما مما لم يرد ذكره هنا، عن الظروف النفسية القاسية التي مر بها الطفل، والتي انتهت به إلى

حالة الجناح. ولم يكن الطفل ضعيف العقل أو غبياً بل كان متوسط الذكاء، وقابلاً للتعلم. ولكن أباه توفي في سنوات الحرب وكانت أمه سيدة مريضة لم تكن تعنى به إلا قليلاً. ولما لم يكن له من يعنى به، فقد وضع في إحدى بيوت الطفولة. وكان معه في البيت أطفال آخرون في مثل سنه، ولكنهم كانوا أذكى منه بكثير، واصلوا تعليمهم وحصلوا على الشهادات العليا. وكان هو دائم الحقد عليهم والشعور بأنه أقل منهم. وهذا ينعكس أحياناً في قصصه من الشعور بالوحدة، وأن الناس قد تخلوا عنه، وأنه لم يجد التشجيع الكافي، وأنه لو كان قد وجد هذا التشجيع، لكان قد أصبح أحسن مما هو عليه، وأنه كان يتمنى أن يعيش في أسرة. وأن الأسرة في نظره تعد رمز الحياة السعيدة، حيث يلقى المحبة التي يفتقر إليها. وهذه الأحداث كلها قد انعكست في بعض قصصه التي ذكرها في الاختبار[1].



عازف الكمان ـ بطاقة رقم (1)

(1) إسحق رمزي: اختبار تفهم الموضوع مجلة علم النفس ص٤٦٦.

II ـ اختبار بقع الحبر ـ روشاخ[1] ـ

منذ القدم يحاول الإنسان تأويل الأشكال المرئية الغامضة غير المحددة وإعطائها معنى من المعاني. فهناك من يتطلع إلى إشكال السحب ويحاول أن يعطيها معنى. ولا يزال بيننا حتى الآن من يقرأ الفنجان ويفسر ما يراه فيه من أشكال، تفسيرات مختلفة ومتعددة.

كان «ليونار دي فنشي» أول من أشار إلى الطبيعة الذاتية للمدركات التي تثيرها المثيرات الغامضة غير المتشكلة: بصرية كانت هذه المثيرات أو سمعية. فالمثير الواحد يثير استجابات متعددة مختلفة لدى الأفراد المختلفين. وربما أدرك «روشاخ» الذي كان يهوى الفن ويقدره ويتذوقه، والذي كان أبوه مدرساً للرسم ـ أهمية هذه الأفكار التي ذكرها «ليونار دي فنشي».

كان الدافع الرئيسي لروشاخ على تأليف كتابه «التشخيص النفسي» ما نشره «هنز Szymon Hens عن خيال التلاميذ في المدرسة نتيجة عرض بقع حبر لا شكل محدد لها. وقد أثارت مقالة هنز اهتمام روشاخ، ولكنه لم يغفل الاحتمالات الكثيرة التي مر عليها هنز مروراً سريعاً يكاد يصل إلى حد الإغفال. وقد أثار ذلك مجموعة من الأسئلة في ذهن روشاخ أجاب عنها في ما بعد. «فبدأ يحلل المدركات التي تكمن وراء الأشياء المتخيلة». فقد وصل إلى كثير من الأفكار والمبادئ. «والتي من أهمها اكتشاف العلاقة بين الجوانب الشكلية للمدرك والسمات المتميزة في الشخصية». وكان هذا اكتشاف هام وجريء ويتميز في الوقت نفسه بالإبداع. ومن الممكن القول بأن اكتشاف روشاخ أهم من اكتشافات

---

(١) Loosli - Usteri: «*Manuel pratique du test de Rorschach*» éd. Hermann, Paris 1976.
انظر أيضاً: برونو ـ سون: «تكنيك الروشاخ»، ترجمة سعد جلال وآخرون، المركز القومي للبحوث الاجتماعية، القاهرة ١٩٦٥.

جميع من سبقه، وأن من أتوا بعده - وإن أحدثوا بعض التعديل - لم يغيروا شيئاً من المبادىء التي وضعها روشاخ.

لقد طبق روشاخ اختباره على ٤٠٥ شخصاً، منهم ٢٣١ من الرجال، و١٧٤ من الإناث. وكان من بين هذه المجموعة ١١٧ من العاديين والباقي حالات تتصف بالاضطراب العقلي. وقد ضمَّن روشاخ خلاصة تجاربه وأبحاثه ودراساته في كتابه المعروف باسم «التشخيص النفسي - اختبار في التشخيص قائم على عملية الإدراك»[١]. فكان بذلك أول من جعل من بقع الحبر طريقة صالحة للعمل والقيام بدراسة أنماط الاستجابات، وقد وصف «هوايت» الاختبار بأنه مثل طيب للنبوغ والعمل الشاق المتواصل الذين تعتبر دراسات الشخصية في أمس الحاجة إليهما[٢].

وقد كان «التشخيص النفسي» سابقاً لعصره، فلقي معارضة من الكثيرين، حتى قد رفض معظم الناشرين نشره. وقد تمكن أحد أصدقاء روشاخ من إقناع أحد الناشرين بنشره وطبع الصور التابعة له. وكان «روشاخ» قد وضع ١٥ صورة. ولكن الناشر أصر على اختصارها إلى عشر. ومع كل ذلك لم يلق الكتاب ولا الاختبار ترحيباً وتشجيعاً إلى أن وافته منيته بعد أقل من عام من نشر الكتاب، ولم يكن قد بلغ بعد الثامنة والثلاثين من عمره. وحتى بعد وفاة روشاخ بعدة سنوات لم يعنِ بالاختبار أحد، إلى أن نشره بيك في أمريكا. ومنذ تلك الآونة أخذ الاختبار في الانتشار السريع في أمريكا وأوروبا وأصبح أداة من أدوات التشخيص الأساسية في العيادات النفسية، كما أصبح وسيلة من وسائل دراسة الشخصية. وقد ساهم نفر كبير من الباحثين في نشر الاختبار من أمثال «بن اشن برج» Behn Esehenburg - الذي وضع مجموعة صور مماثلة لمجموعة روشاخ وتعرف باسم مجموعة «بين - روشاخ» أو «بيرو»، «ولويفه وموللر ولوسلي أو ستري وكلوبفر وكيللي وفرنون وبتروفسكي» وغيرهم.

---

(١) Rorschach H. Psychodiagnostic; A Diagnostic Test based on Perception.

(٢) Quot. bu Sargent H.: Projective Methods.. Psychol Bulletin Vol 42, No 5, May 1945.

لقد ظهرت أهمية اختبار روشاخ في الكشف عن النواحي المرضية، والمعاونة على القيام بعملية التشخيص. وعرف له الأطباء العقليون والمهتمون بالدراسات النفسية أهميته وقيمته. وأصبح هو واختبار تفهم الموضوع (T.A.T) من أوسع الاختبارات النفسية انتشاراً وأكثرها استخداماً في العيادات النفسية.

ولننتقل الآن إلى دراسة اختبار بقع الحبر لروشاخ بشيء من التفصيل.

١ ـ وصف الاختبار:

يتألف الاختبار من عشر صور تتكون كل صورة منها من أشكال متماثلة (Symmetrical) على نحو ما يحدث حين نلقي بنقطة حبر كبيرة على ورقة بيضاء ثم نطبق الورقة ونضغط عليها قليلاً فتخرج أشكال مختلفة متماثلة مع ذلك. وعلى الرغم من أن بطاقات روشاخ قد تكونت بصورة عارضة، إلا أن الصور العشر التي تكون منها الاختبار قد اختيرت من بين عدد كبير جداً من الصور. وقد استبقى روشاخ هذه الصور العشر، لأنها تثير أكبر قدر ممكن من الاستجابات المختلفة لدى الأشخاص المختلفين. والترتيب الذي تقدم به هذه الصور للمفحوص تحدده رغبة روشاخ في ادخال نظام نفسي يكفل بقاء استثارة المفحوص على أعلى مستوى ممكن إن خمس صور منها تتكون من درجات مختلفة الظلال، وصورتين أخريين من اللونين الأسود والأحمر أما الثلاث الباقية فتتكون من ألوان متعددة غير الأسود.

٢ ـ إجراء الاختبار:

ظروف إجراء هذا الاختبار لا تختلف كثيراً عن ظروف إجراء الاختبارات الأخرى من حيث ضرورة إجراء الاختبار في غرفة خاصة حتى لا يتحرج المفحوص من وجود شخص ثالث، ومن حيث أن المفحوص يجب أن يكون مستريحاً في جلسته، ومن حيث العلاقة بين الفاحص والمفحوص.

* أما من حيث جلسة المفحوص، فإن «روشاخ» و«بيك» يذهبان إلى أن يجلس الفاحص خلف المفحوص، وبذلك يمكنه أن يرى البطاقات بالنظر من فوق

كتف المفحوص، على حين يذهب ربابورت وچيل وشافر إلى أن يجلس الفاحص وجهاً لوجه أمام المفحوص حتى يتمكن من أن يتابع ما يطرأ على المفحوص من تغيرات وانفعالات تدخل في صميم العمل. وعلى كل حال يجب أن يترك الأمر للفاحص يختار الجلسة التي تريحه وتسهل عليه عملية إجراء الاختبار.

* هناك بعض الاعتبارات التي يجب مراعاتها عند إجراء الاختبار. من ذلك مثلاً ألا يمسك المفحوص بالبطاقة على طول الذراع أو يضعها على بعد لأن مثل هذه النظرة قد تكسب البطاقة مظاهراً وأشكالاً تختلف إلى حد ما عن الوضع الطبيعي. ويجب أن يمسك المفحوص البطاقة ويترك له تقدير المسافة بين عينيه والبطاقة على نحو ما هو حادث مثلاً في عملية القراءة والكتابة.

وطبيعي أننا نحصل على أفضل النتائج إذا طبق الاختبار في ضوء النهار لأن الضوء الصناعي قد يغير من تأثير الألوان والظلال... ومع ذلك يمكن إجراء الاختبار في مثل هذا الضوء الصناعي إذا كانت الإضاءة الطبيعية غير كافية.

* ويبدأ الاختبار عادة بتوضيح الطريقة التي عملت بها البطاقات، وسأعرض عليك واحدة بعد الأخرى، ثم نمسك بالبطاقة الأولى ونلقي عليه التعليمات الآتية: «انظر في البطاقة وقل لي ماذا ترى فيها أو ماذا تتصور لك فيها. انظر في البطاقة كما تريد لكن كل ما أريده هو أن تقول لي كل شيء تراه. وعندما تنتهي تقول لي إنك انتهيت.

ثم نعطي البطاقة الأولى إلى المفحوص في وضعها الطبيعي. ويجب أن نعطيه كل فرصة ممكنة للاستجابة فلا يكون هناك ضغط أو إجبار. ويجب أن يكون دور المختبر دوراً ثانوياً لا يتدخل في الأمور، وإن كان في الوقت نفسه يقوم بدور هام إذ يسجل كل ما يقوله المفحوص، ويحاول الوصول إلى تقرير واف قدر الإمكان بما في ذلك المواقف التي يتوقف فيها المفحوص وسرعة استجابته والتغير في النغم الذي يطرأ على صوته وحركاته ولفتاته، أي أنه يدون كل ما يلاحظ من تغير على المفحوص.

ومن الملاحظ أن بعض المفحوصين، حين يأخذ البطاقة، يبدأ في

الاستجابة وينساب في تداعيه لدرجة يصعب معها على الفاحص تسجيل كل ما يقوله. ومع ذلك فإن معظم المفحوصين، يبدأون الاختبار عادة بتوجيه بعض الاستفسارات التي قد يكون لبعضها أهمية كبيرة في سير الاختبار بعد ذلك، كأن يتساءل مثلاً «هل أنظر إلى الصورة كلها أو لبعض أجزائها»، ولتكن الإجابة في مثل هذه الحالة «انظر كما تريد لكن قل لنا كل اللي أنت بتشوفه».

والصعوبة الكبرى في بعض الأحيان هي أن تجعل المفحوص يبدأ في تداعيه فمعظم نواحي التوتر والتردد التي نشاهدها في بداية الآراء تتصل، لا بإنتاج المدركات في الذهن ـ الذي يتم عادة بطريقة تلقائية ـ بل بنقل هذه المدركات إلى الفاحص. وهذا الاختبار ـ كأي موقف آخر من مواقف الحياة ـ يتوقف على العلاقة بين الفاحص والمفحوص. وعلى العموم فإن بعض الأشخاص يتعاون بسهولة مع الفاحص على إجراء الاختبار، على حين أن البعض الآخر لا يميل إلى التعاون خوفاً من أن تستغل نتائج هذا الاختبار في غير صالحه، كأن تتخذ أساساً لتقرير يكتب إلى المحكمة أو عن وظيفة يتقدم إليها، ما يضعف القيمة التشخيصية للاختبار. ويتطلب الأمر مهارة من الفاحص لإحداث هذا التعاون. ويمكن القول أن إقامة علاقة طيبة بينه وبين المفحوص وثقة المفحوص في الفاحص تقلل من هذه الإتجاهات الدفاعية التي يتخذها المفحوص للدفاع عن نفسه. يضاف إلى ذلك أن رغبة المفحوص في الاستمتاع بخياله وبالصور التي يعطيها للفاحص تدفعه إلى الاستجابة وإلى التعاون في معظم الأحيان.

* قد يصر بعض الأشخاص على معرفة نوع الاختبار، والنتائج التي يمكن أن نستخلصها منه، والنواحي التي يكشف عنها. ويكفي في مثل هذه الأحوال أن يقال لهم ـ كما يذهب إلى ذلك روشاخ ـ بأنه اختبار في التخيل. ولكن قد يصر البعض على معرفة المزيد من التفصيلات. وفي مثل هذه الأحوال نطلب منه أن ينتظر حتى نهاية الاختبار، وبأننا نرحب بتقديم بعض المعلومات التي يريدها عند نهاية الاختبار. فمن الممكن أن نعطيه معلومات ونتائج عامة، وأن نعرفه أن النتائج الدقيقة لا يمكن الكشف عنها إلا بعد عملية التحليل الدقيق للاختبار، وأن هذه

العملية تتطلب عدة ساعات. ويجب أن نراعي أن تتفق المعلومات والنتائج العامة التي نقدمها للمفحوص ومستوى قدرته العقلية وثقافته.

وقد يعيد المفحوص البطاقة بعد استجابة واحدة. وفي مثل هذه الأحوال يجب على الفاحص ألا يتسرع بأخذ البطاقة وإعطائه التي تليها، بل عليه أن يشجعه على القيام بتداعيات أخرى، كأن يقول له: «أن هناك أشخاصاً كثيرين يرون أشياء أكثر من هذا بكثير» أو «انظر بعد». أما تقديم الإجابات التي توحي باستجابات معينة في البطاقة فهذا غير مسموح به. ويذهب بيك إلى أن تشجيع الفاحص يجب أن يقل تدريجياً وأن ينقطع نهائياً بعد البطاقة الخامسة. أما بعد ذلك أي ابتداء من البطاقة السادسة، فعلى المختبر أن يتذرع بالصمت فترة.

وقد يصر بعض المفحوصين ـ بعد الإبتداء في عملية التداعي ـ على معرفة ما إذا كانت الاستجابات صحيحة أم خاطئة. وفي مثل هذه الأحوال، يمكن القول بأن «ليس هناك إجابات صحيحة وأخرى خاطئة، لأن المسألة مسألة تخيل وأن كل فرد يرى الأشكال كما تتراءى له».

* **الزمن**: يلزم استخدام ساعة Stopwateh لحساب الزمن. ويلزم عند بدء كل بطاقة تسجيل زمن الرجع أعني الزمن المنقضي من وقت تسلم المفحوص البطاقة إلى إعطاء الاستجابة الأولى التي تقبل التقدير أي الاستجابة ذات المحتوى. كما يلزم أيضاً تسجيل الزمن الكلي الذي استغرقته الاستجابات في كل بطاقة. ويمكن أيضاً حساب الزمن الكلي الذي استغرقه المفحوص في التداعي للاختبار كله.

وقد تحدث وقفات طويلة بين الاستجابات، وهذه يمكن الإشارة إليها بإشارات مثل + + + تشير كل منها إلى وقفة قدرها حوالي عشر ثوانٍ. أما إن طالت الوقفات بشكل ملحوظ فمن الممكن أن يسأل الفاحص المفحوص «هل هناك حاجات أخرى» فإن أجاب بالنفي وأنه ليس هناك استجابات جديدة ففي هذه الحالة نطلب منه أن يضع البطاقة أمامه مقلوبة على المنضدة لنعرف أنه انتهى من الاستجابات، ثم نقدم له البطاقة التي تليها. ويجدر بنا أن نشير إلى أن ترتيب

بطاقات روشاخ يجب أن نلتزم به في جميع الأحوال، وألا نقدم بطاقة على أخرى مهما كانت الأحوال.

* **تدوير البطاقة**: لم يذكر روشاخ شيئاً عن تدوير البطاقة في تعليماته. والملاحظة الوحيدة التي وردت عنده هي «قد يدير المفحوص البطاقات كما يشاء». وتفضل الأغلبية من أمثال كلوبفر وبيك وبوشنر عدم ذكر شيء يتصل بتدوير البطاقات إلى المفحوص. أما بتروفسكي فيرى أن من الحكمة والفطنة أن نضيف إلى التعليمات عبارة «إن من الممكن أن تدير البطاقة في أي اتجاه تشاء». وذلك من أجل استبعاد الجمود. ويقول بتروفسكي لقد كان لهذه العبارة أثر طيب في كثير من المفحوصين.

* **تسجيل الاستجابات**: وعند التسجيل يحسن أن نجعل الورقة التي تسجل عليها الاستجابات أفقية وأن نقسمها إلى ثلاثة أعمدة كبيرة. نترك العمود الأول لها لتقدير الاستجابات وتصحيحها ونسجل في العمود الثاني الاستجابات التي نحصل عليها من المفحوص. أما العمود الثالث فنتركه للقيام بعملية التحقيق التي نجريها عادة بعد عملية التداعي والحصول على الاستجابات. وعلى المختبر أن يسجل حرفياً كل ما يقوله المفحوص وأفعاله وحركاته وملاحظاته وأحاديثه وتعبيرات وجهه وتغيرات نغمة صوته إلى آخر هذه الدلائل التي تفيد أحياناً كثيرة في توضيح الاختبار وقد يتطلب الأمر عند التسجيل بيان موضع البطاقة وفي هذه الحالة يمكن الاستعانة بالعلامات التي وضعتها «لوسلي أوستري» وهي Λ وتشير إلى الوضع الطبيعي للبطاقة، V وتشير إلى أن وضع البطاقة مقلوب أو معكوس و < > وتشير إلى الوضع الجانبي الذي تأخذه البطاقة وقت الاستجابة وقد يدير بعض المفحوصين البطاقة عدة دورات متتابعة وهذه يمكن الإشارة إليها برسم دوائر متداخلة.

وبعد أن ينتهي المفحوص من البطاقة يضعها مقلوبة على المنضدة ويُعطَى البطاقة التي تليها إلى أن ينتهي من رؤية البطاقات العشر.

يستغرق إنجاز الاختبار كاملاً حوالي ٩٠ دقيقة. أما مع الأطفال ومعظم

حالات المرض العقلي. فقد يستغرق وقتاً أقل، نظراً لقلة عدد الاستجابات التي يعطيها المفحوص.

تلك هي الخطوة الأولى من إجراء الاختبار. ويليها خطوة ثانية بالغة الأهمية إذ بدونها لا يتمكن الفاحص أن يعرف العوامل التي تحدد الاستجابة. كما أنها تساعدنا على جمع بعض المعلومات التي تسهل لنا عملية تقدير النتائج تقديراً صحيحاً.

* **التحقيق**: يبدأ التحقيق عادة بعد الإنتهاء من البطاقة العاشرة. كما أنه يبدأ أيضاً بالبطاقة العاشرة التي لا تزال في يد المفحوص، ثم ننتقل منها إلى البطاقة التاسعة وهكذا حتى ننتهي إلى البطاقة الأولى. وهناك من يذهب إلى إجراء التحقيق بعد الإنتهاء من كل بطاقة على حدة مثل ربابورت وهرتز. ولكن قد يكون في هذا الإجراء شيء من الخطورة إذ ربما يوحي إلى المفحوص بأشياء يظن أنه الفاحص مهتم بالسؤال عنها، ومن ثم يحاول البحث عنها في كل بطاقة بعد ذلك. هذا بالإضافة إلى أن معرفته بأنه سوف يُسأل عن كل استجابة بقولها، قد تجعله حذراً في إعطاء استجاباته، مما يخرج الاختبار عن طبيعته. ولذا فإن من الأفضل أن نتبع طريقة روشاخ نفسه، ونرجئ عليه التحقيق حتى ننتهي من عملية الإجراء أو التداعي الحر.

٣ ـ الهدف من التحقيق:

١ ـ توضيح مكان الاختيار: هل استجاب المفحوص إلى الشكل ككل، أم اختار أجزاء من البطاقة واتخذها موضوعاً لاستجابته. وهل هذا الجزء الذي اختاره جزء كبير أم صغير.

٢ ـ توضيح العوامل المحددة لعملية الإدراك: هل هو عامل الشكل أم اللون أم الظلال أم الحركة أم خليط من هذه العوامل مجتمعة.

٣ ـ معرفة محتوى الاستجابة: فقد يعطي المفحوص استجابات عامة مثل «شخصين أو رأس أو رجل» وفي مثل هذه الأحوال يجب أن نعرف ما إذا كان

الشخصان من الرجال أو النساء وما إذا كان المقصود بالرأس أو الرِجل رأس إنسان أو رِجل حيوان الخ.

وعند التحقيق قد ترد استجابات إضافية وهذه المادة الإضافية على أنواع ثلاثة.

أ ـ إما أنها مدركات ظهرت خلال عملية الإجراء الحقيقي للاختبار وفشل المفحوص في نقلها إلى المختبر.

ب ـ أو مدركات جديدة اتجها المفحوص أثناء التحقيق. ويحسن أن نوضع هذه الاستجابات بين قوسين حتى يمكن تمييزها عن الاستجابات الأصلية التي وردت في الإجراء الحقيقي.

جـ ـ مادة توضح الاستجابات الأصلية والتي يرى الفاحص أن من الصعب تفسيرها إلا بالحصول على مزيد من الإيضاح من المفحوص. فقد يعطي المفحوص في بعض الأحيان استجابات مقتضبة للغاية مثل «رجال» بالنسبة (للبطاقة الثالثة) ولا يزد على ذلك شيئاً. وهنا يلزم أن نعرف ما إذا كان الرجلان في حالة حركة أم في حالة سكون، وإذا كان هناك حركة فهل العلاقة بينهما علاقة ود وصداقة أم علاقة عدوان وهجوم.

٤ ـ التقدير:

يأتي بعد الإجراء والتحقيق خطوة أخرى ذات أهمية كبيرة هي خطوة التقدير. وما التقدير إلا ترجمة الاستجابات التي نحصل عليها من المفحوص في رموز ووضع ما يقوله في صورة مختصرة.

* والتقدير نظام من نظم تصنيف الاستجابات في مجموعات أو وضعها على مستويات مختلفة. والنظام المثالي للتقدير هو الذي أعد إعداداً جيداً بحيث يشتمل على جميع العناصر والمكونات التي تحتاج إليها للقيام بعملية تحليل الشخصية. وفي الوقت نفسه يكون من البساطة بحيث يمكن الفاحص من القيام بالإستنتاجات الصادقة عن دلالة نظام التقدير كله أو بعضه. ومع ذلك فالتقديرات

التي يحتويها التقرير لا تشتمل على كل العناصر التي تتطلبه. فالتنظيم لا يوضح لنا التتابع الذي تحدث به الاستجابات كما لا يوضح لنا ما إذا كانت بعض الاستجابات قد ظهرت في موضعها الصحيح المتوقع أم لا (مثال ذلك هل تظهر الاستجابة الإنسانية الحركية في البطاقة الثالثة بالنسبة للرجلين أم لا تظهر).

* وقد تجلت عبقرية روشاخ في إدراكه أن هناك عوامل أخرى غير محتوى الاستجابة يكون لها أهمية في تقدير شخصية الفرد. ونواحي الشكل أهم في نظره من نواحي المضمون أو المحتوى. فهي أكثر ثباتاً وأقل تغيراً من المضمون، كما أنها تخرج عن نطاق التحكم الشعوري للفرد، هذا التحكم الذي يجعله يمسك عن ذكر المحتوى غير المقبول في نظره.

كان روشاخ يرمز لكل نمط من أنماط الاستجابة برمز خاص. ولم يدخل تعديل كبير على تلك الرموز التي وضعها روشاخ. ومعظم هذه الرموز تمثل الحرف الأول أو مجموعة الحروف الأولى من الكلمة التي تصف نمط الاستجابة والتي تمثل مكوناً من مكونات الاختبار. والمكون هنا هو الجانب الخاص المميز للاستجابة فالرمز «حر» يشير إلى المكون «الاستجابة الإنسانية الحركية». ولكل مكون معنى يحدد السمة أو السمات النفسية الخاصة. ولا يظهر أي مكون بمفرده بل يوجد مع مجموعة من المكونات الأخرى. فالاستجابة الحركية مثلاً يجب أن تكون في نفس الوقت استجابة كلية أو جزئية، كما يجب أن يكون لها محتوى يقبل التنصيف.

* والمكونات التي يتألف منها اختبار روشاخ تختلف اختلافاً كبيراً فيما بينها من حيث قوتها الدافعة وسمات الشخصية التي تكشف عنها. فالاستجابات الحركية الإنسانية مثلاً تكشف عن سمات أعمق أثراً في سلوك الفرد من تلك التي تكشف عنها مكونات الشكل. ودلالة الاستجابات الكلية أكثر أهمية من دلالة الأجزاء الدقيقة. وعلى ذلك فإذا أعطانا المفحوص استجابة مركبة أي يدخل في تحديدها أكثر من عامل أو مكون، فيجب أن نعطى الأهمية أولاً لأكثر هذه المكونات قيمة ودلالة.

وقد يحدث في بعض الأحيان ـ وخلال القيام بعملية التحقيق ـ أن ينكر الفرد استجابة أعطاها اثناء الإجراء الحقيقي للاختبار. وفي مثل هذه الأحوال نجد أننا بإزاء استجابات ذات دلالة انفعالية كبيرة بالنسبة للمفحوص. ويجب أن نحذر إثارة غضب المفحوص بالإصرار من جانبنا على الإبقاء على هذه الاستجابة التي أنكر ذكرها في عملية الإجراء الحقيقي للاختبار. وعلى كل حال يجب أن يبذل الفاحص جهده في أن يجعل المفحوص يحدد مكان الاستجابة أو يفسرها تفسيراً يسمح لنا بالقيام بعملية التقدير الصحيحة. فإن لم نجد التعاون من جانب المفحوص فلا نضغط عليه، بل ننتقل إلى الاستجابة التي تليها. والقاعدة العامة التي نسير عليها في مثل هذه الأحوال هي إذن أن كل مدرك ذكره المفحوص في عملية التداعي الحر يعتبر هو المادة الأساسية التي يسير عليها التقدير بصرف النظر عما يحدث بعد ذلك من جانب المفحوص من إنكار لهذه المادة.

فروشاخ مثلاً يقدر البطاقة الثالثة ـ باستبعاد الجزء الأحمر العلوي ـ على أنها استجابة كلية في حين يقدرها بيك على أنها استجابة (ج) جزء كبير. وبينما ينظر بيك إلى الجزء الجانبى في أسفل هذه البطاقة ذاتها ـ والذي يشبه الحذاء ـ على أنه جزء كبير إذ بكلوفر وكيللي يقدر أنه جزء صغير. ويقال مثل ذلك فيما يتصل بالجزء المتوسط في أعلى البطاقة الثانية عند موضع اتصال الجزءين الكبيرين وعن الامتدادات العليا في البطاقة السابقة. ومع ذلك يمكن القول بأن الاختلافات التي بين كبار المشتغلين بالإختبار اختلافات طفيفة لا تمس المبادىء الجوهرية التي يقوم عليها تحليل المدرك، كما أنها تتصل بالرموز أكثر من اتصالها بالمعنى السيكلوجي لهذه الرموز.

وقد نظر روشاخ إلى الاستجابة من نواحٍ أربع (تقدير الاستجابة):

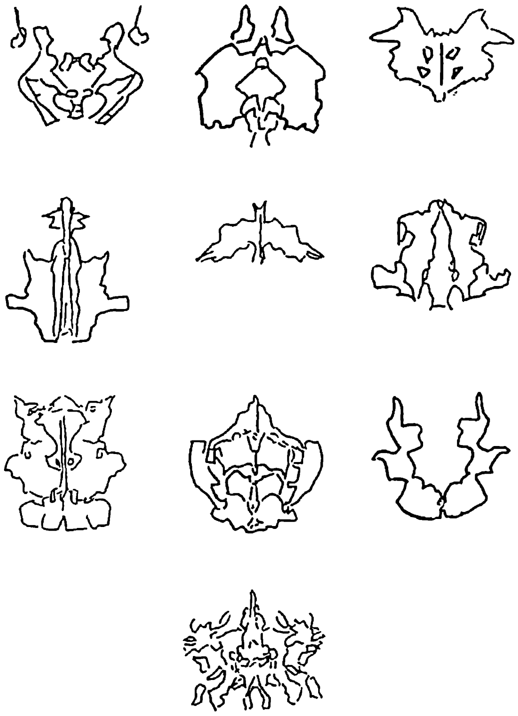
أ ـ التحديد المكاني Location: ذلك أن الاستجابة التي يعطيها المفحوص إما أن تشمل البطاقة كلها أو جزءاً منها. وهذا الجزء إما أن يكون جزءاً كبيراً عادياً يستجيب له معظم الناس، أو أن يكون جزءاً صغيراً أو دقيقاً. وقد تحتوى الاستجابة كذلك ـ سواء كانت كلية أو جزئية ـ على مسافات بيضاء داخل البقعة التي استجاب إليها الفرد (الفراغ).

ب ـ العوامل المحددة للاستجابة Determinant: وهذه تشير إلى العوامل التي تدخلت في تحديد الاستجابة: هل هو عامل الشكل أم عامل الحركة أم عامل اللون أم مجموعة عوامل مجتمعه مع بعضها.

جـ ـ المحتوى أو المضمون Content: هل محتوى الاستجابة شكل إنساني أم حيوانات أم جمادات أم استجابات تشريحية أم مناظر طبيعية.

د ـ هل الاستجابة من النوع المألوف أو الذي فيه إبداع Popularity and Originality: ذلك أن مضمون الاستجابة قد يتفق مع ما هو مألوف وعادى عند معظم الناس، وهذا النوع من الاستجابات يكثر وروده في تقارير مجموعة عادية من الأفراد، أو قد يكون محتوى الاستجابة أصيلاً وفيه إبداع، وهذا النوع الأخير لا يرد إلا مرة واحدة في كل مئة تقرير عادة. وسوف نوضح باختصار هذه النواحي المختلفة التي يتم على أساسها القيام بعملية التقدير.

بطاقات روشاخ



أ ـ التحديد المكاني

قد يقع اختيار الفرد على البطاقة كلها، وفي هذه الحالة يرمز إلى الاستجابة من ناحية التحديد المكاني بالرمز W، ونرمز إليه هنا بالرمز (ك). أو قد يقع الاختيار على جزء كبير أو عادي ويرمز إليه بالرمز D، ونرمز إليه بالرمز (ج)، أو قد يقع الاختيار على أجزاء صغيرة أو دقيقة، وفي هذه الحالة يرمز إليه بالرمز Dd، ونرمز إليه بالرمز (جـ). وهناك إحتمال رابع وأخير هو إما أن يهمل الفرد الشكل الذي على البطاقة ذاتها وينظر إلى الأرضية، باعتبارها شكلاً، وفي هذه الحالة يرمز إليها بالرمز S ونرمز إليه بالرمز (ف)، أو أن يدخل المسافات البيضاء ضمن استجابات الكلية أو الجزئية، ويكون لدينا في هذه الحالة استجابات كلية يتخللها مسافات بيضاء، ويرمز إليها بالرمز Ws ونرمز إليها بالرمز (ك ف)، أو استجابات جزئية عادية يتخللها مسافات بيضاء ويرمز إليها بالرمز Ds ونرمز إليها بالرمز (ج ف)، استجابات جزئية دقيقة يتخللها مسافات بيضاء ويرمز إليها بالرمز Dds ونرمز إليها بالرمز (جـ ف).

١ ـ ك W الاستجابة الكلية:

تقدر الاستجابة على أنها استجابة كلية إذا كانت تشمل البطاقة كلها، أو استبعد منها أجزاء صغيرة. ونحن نقصد بقولنا البطاقة كلها «الشكل الذي نراه نتيجة استخدام الحبر والذي هو على أرضية بيضاء دون اعتبار للمسافات البيضاء التي تتخلل الشكل أو تحيط به من الخارج: مثال خفاش بالنسبة للبطاقة ١.

والإستثناء الوحيد لهذه القاعدة هو حالة البطاقة ٣. فإن الاستجابة « بيرقصوا» (دون الإشارة إلى الأجزاء الرمادية السفلى أو الأجزاء الحمراء العليا أو البياض المنتصف) تعتبر في نظر روشاخ استجابة كلية. وقد وافق معظم الباحثين روشاخ على هذا الرأي.

وهناك نوع أخر من الكليات يرمز إليه بالرمز DW أو DdW ونرمز إليه بالرمز ج ك أو جـ ك. وجوهر الاستجابة هنا هو أن جزءاً من البطاقة هو الذي أثار

الاستجابة وأوحى بها. فيفسر المفحوص البطاقة كلها على أساس رؤيته لهذا الجزء. فإن كان الجزء الذي أثار عملية الإدراك جزءاً كبيراً قدرت الاستجابة على أنها ج ك، كما لو نظر المفحوص إلى البطاقة الأولى وقال إنها طائر لأن الجزء الجانبي العلوي فيها يشبه جناح الطائر. أما إذا كان الجزء الذي أثار عملية الإدراك جزءاً صغيراً دقيقاً قدرت الاستجابة في هذه الحالة على أنها جـ ك كما لو نظر المفحوص مثلاً إلى البطاقة السادسة، وقال عنها إنها قطة لأن الامتدادات الرفيعة التي في أعلى البطاقة تشبه شوارب القطة. وواضح أنه لما كان التفسير قد بني على أساس جزء بسيط فقط من الشكل، في الوقت الذي أغفل فيه المفحوص بقية الأجزاء الأخرى إلى حد كبير أو قليل، لذا فإن الاستجابات ج ك أو جـ ك تكون عادة استجابات ذات شكل غير جيد.

وأخيراً قد تتضمن الاستجابة الكلية الإشارة إلى المساحات البيضاء التي في الصورة وفي هذه الحالة تقدر الاستجابة بأنها ك ف.

هذه الأنواع المختلفة من الكليات سواء كانت ك أو ج ك أو جـ ك أو ك ف ينظر إليها جميعها عند التقدير الكمي على أنها كليات وإن كان الاختلاف من الناحية النوعية واضح جلي.

٢ـ ج D الاستجابة الجزئية الكبيرة:

والجزء الكبير هو القطعة الكبيرة من البطاقة والتي تنقسم إليها البطاقة بشكل طبيعي. وتسمى هذه الأجزاء الكبيرة أجزاء عادية. ويتحدث روشاخ عنها باعتبارها تلك الأجزاء التي يكون تكوينها مستقلاً إما بسبب شكلها أو بسبب توزيعها المكاني.

والحقيقة أن إحدى الصعوبات التي تصادفنا عند تقدير الاستجابات ج هي الأساس الذي نتخذه في القول بأن هذا الجزء جزء كبير أم صغير. فقد وصف روشاخ الأجزاء الكبيرة بقوله«إنها الأجزاء التي بسبب موقعها من الشكل تكون أكثر لفتاً للنظر، كما أن من الممكن تحديدها إحصائياً».

أما بتروفسكي فإنه يؤكد المعيار الإحصائي في القول بأن هذا الجزء كبير أم صغير. وهناك نفر من الباحثين - أمثال بيك - من يجمع بين الأساسين السابقين فيحدد الأجزاء الكبيرة أو العادية بأنها الأجزاء الأكثر لفتاً للنظر من ناحية، كما أنها هي الأجزاء الأكثر تواتراً من ناحية أخرى. والحقيقة أن أساس التواتر هو الأساس العلمي الذي تقوم عليه التفرقة بين الأجزاء الدقيقة والعادية عند بيك، مضافاً إلى ذلك حجم الجزء المشار إليه. ولكن قد يحدث أن تقدر أجزاء صغيرة الحجم، ومساحتها في البطاقة بسيطة للغاية على أنها ج وذلك على أساس أنها تواترات بكثرة عند الأفراد الذين أجرى عليهم بيك دراسته. مثال ذلك ج ١ في البطاقة الأولى[١].

٣ ـ جـ Dd الاستجابة الجزئية الصغيرة:

أما ما ليس بكلي (بأنواعه المختلفة) ولا بجزء عادي فإنه يدخل تحت ما نسميه بالأجزاء الدقيقة. والتي يرمز إليها بالرمز Dd، والتي رمزنا إليها بالرمز (جـ)، ويمكن القول بأن هذه الأجزاء الدقيقة أجزاء لا ينصرف إليها النظر كثيراً، كما لا يتواتر حدوثها بكثرة إلى الحد الذي يجعل منها جزءاً عادياً. فهي في أغلب الأحيان أجزاء صغيرة الحجم تخفى على كثير من الأشخاص. مثال ذلك الامتدادات الطويلة بالبطاقة السادسة ترى على أنها شوارب.

ولقد أشار روشاخ إلى نوع من الاستجابات الدقيقة النادرة الحدوث نسبياً، والتي نرمز إليها بالرمز DO وسماها باسم Oligophrenic Detail. وفي هذا النوع من الأستجابات نجد أن المفحوص يرى جزءاً فقط من الشكل في الوقت الذي يرى فيه العادي الشكل كله في العادة. فمثلاً تفسر البطاقة الثالثة على أنها رأس إنسان علي حين يرى الشخص العادي الشكل على أنه إنسان كامل وليس على أنه رأس إنسان.

غير أن الدراسات التي أجريت بعد ذلك أوضحت أن هذا النوع من

---

(١) Beck S: Rerschach's Test. I. Basic Processes.

الاستجابات ليس قاصراً على ضعاف العقول بل قد يظهر في حالات الكف العقلي الذي يحول بين الفرد ورؤية الشكل بأكمله والذي يراه الآخرون دون صعوبة، والذي كان من الممكن لهذا الشخص بالذات أن يراه كذلك، لو لم تكن لديه الكف هذه. إذن فإن هذا النوع من الاستجابات يشير إلى حالة القلق وليس إلى حالة الضعف العقلي.

٤ ـ ف S استجابة الفراغ:

قد، يستجيب الفرد للأجزاء البيضاء بالبطاقة. وكان روشاخ ينظر إليها على أنها أجزاء دقيقة، نظراً لقلة تواترها إحصائياً بشكل لا يسمح بجعلها أجزاء كبيرة، على الرغم من أن حجمها ووضوحها المكاني قد يؤهلانها لجعلها أجزاء كبيرة. غير أن بيك قد وجد إحصائياً مساحات بيضاء تواتر حدوثها بكثرة تمكن من النظر إليها على أنها أجزاء كبيرة ج، وليست أجزاء دقيقة جـ وهذه المساحات البيضاء التي ينظر إليها على أنها أجزاء كبيرة عادية تنحصر عند بيك في ثلاث فقط هي ج ف ٥ في البطاقة الثانية، ج ف ٧ في البطاقة السابعة وج ف ٨ في البطاقة التاسعة. وفي ما عدا هذه الحالات الثلاث فإنه ينظر إليها على أنها أجزاء دقيقة يرمز إليها بالرمز جـ ف.

ويمكن أن تكون الاستجابات التي تدخل فيها المساحات البيضاء على أربع صور. فإما أن يستجيب الفرد فقط لإحدى المساحات البيضاء الكبيرة السالفة الذكر ويعطيها مدركات معينة، أو يستجب إلى المساحات البيضاء الصغيرة التي تقدر عادة على أنها جـ ف أو يستجيب إلى منطقة كبيرة تتخللها أجزاء كبيرة أو صغيرة وهذه تقدر على أنها ج ف أو أن يختار الفرد أخيراً قطعة صغيرة ويراها كوحدة ويتصور وجود مساحة بيضاء صغيرة فيها كأن يقول مثلاً «فم مفتوح» وهذه تقدر (جـ ف).

ويندرج تحت هذا التحديد المكاني عوامل ثلاثة هي: منوال الإدراك Approch ويرمز إليه بالرمز App ونرمز إليه بالرمز ط، وعامل التتابع Sequence

ويرمز إليه بالرمز Seq ثم عامل التنظيم Organization ويرمز إليه بالرمز (ت). وسوف نعرض باختصار لكل منها:

* **منوال الإدراك**: ويقصد به الأسلوب الذي اتخذه المفحوص ف النظر إلى البطاقة. هل كان اهتمامه موجهاً أكثر إلى الاستجابات الجزئية وهل كان يعني بالأجزاء الدقيقة أكثر أم الأجزاء الكبيرة. ويمكن أن نعرف أسلوب المعالجة عن طريق دراسة نسب الاستجابات الكلية إلى الأجزاء الكبيرة إلى الأجزاء الدقيقة. ومعرفة النسب المتوقعة من كل منها ومدى انحراف الشخص عنها فأهمية كبيرة في التفسير والحكم على نوع ذكاء الفرد. والنسب المتوقعة العادية عند روشاخ ـ على افتراض أن عدد استجابات الشخص العادي يكون في المتوسط ٣٤ استجابة هي: ٨ استجابات كلية و٢٣ استجابة جزئية كبيرة وعادية و٣ جزئيات دقيقة. وقريب جداً من هذا التوزيع ما قدمه بيك في كتابه «اختبار روشاخ» على اعتبار أن مجموع الاستجابات التي قدرها استجابة على النحو الآتي: ٦ ك، ٢٣ ج، ٣ جـ وهذه أقرب إلى توزيع روشاخ. إن: «الشخصية السوية كما يكشف عنها اختبار روشاخ»[(١)] ـ يساعدنا أكبر مساعدة على معرفة النسب المتوقعة لأي عدد من الأستجابات لا يزيد على ١٢٠ استجابة ـ فنعرف بسهولة ويسر ما إذا كان المفحوص قد خرج عن النسبة المتوقعة، وفي أي عامل من هذه العوامل كان انحرافه، وهل بالغ في الإهتمام بهذا العامل أو أفرط في إهماله وإغفاله.

وعلى هذا الأساس إذا أعطى أحد الأشخاص ٣٠ استجابة وكان توزيعها على النحو التالي ٦ ك، ٢٠ ج، ٤جـ، فإن طريقة المعالجة «ط» عنده تعتبر عادية. أما إذا كان التوزيع على النحو التالي ٨ ك، ١٦ ج، ٦ جـ، فإن طريقة المعالجة عنده تشير إلى المبالغة في النظر إلى الكليات وإلى الأجزاء الدقيقة، على حين يغفل إلى حد ما الجزئيات العادية. ومثل هذا التوزيع يمكن أن يوضع على النحو التالي لسهولة توضيح التوزيع ومعرفة نواحي الإهتمام أو عدم الإهتمام بعناصر الاستجابة: ك!، (ج)، جـ !. وعلامة التعجب التي نضعها إلى يسار الرمز

---

(١) Beck. Ralim et 2l: The J. of Psychol. pp. 241 - 250.

تشير إلى أن الشخص قد أولى هذا العامل إهتماماً كبيراً، بينما الرمز الموضوع بين قوسين فيشير إلى أن المفحوص لم يعط هذا العامل إهتماماً كبيراً أو لم ينظر إليه بدرجة كافية، ولكن ليس إلى الحد الذي يبلغ درجة الإغفال التام.

وقد نقابل أحياناً توزيعاً من النوع التالي: فبالنسبة لثلاثين استجابة مثلاً نجد ١٠ ك، ١٠ ج، ١٠ جـ . وهذا يدل على سوء توزيع إهتمامات الفرد بشكل واضح قد يبلغ حد الإهمال أو الإغفال للجزئيات الكبيرة الواضحة. وفي هذه الحالة يمكن أن نكتب طريقة المعالجة بالصورة الآتية: ك! جـ ! . ومعنى حذفنا للجزئيات الكبيرة هو أن المفحوص قد أغفلها تماماً وأهمل النظر إليها.

ولنأخذ مثالاً آخر. لو أن شخصاً أعطى عدداً من الاستجابات يبلغ ٥١ استجابة مثلاً وكانت موزعة على النحو التالي ١٤ ك، ٣٥ ج، ٢ جـ ، كان معنى ذلك أن الشخص قد بالغ في نظرته إلى الاستجابات الكلية وذلك على حساب الأجزاء الدقيقة، طالما أن التوزيع المتوقع في مثل هذه الحالة هو ١٠ ك، ٣٤ ج، ٧ جـ . وعلى ذلك يكون نمط الإدراك عنده من النوع ك! ج. وعلى العكس لو أن شخصاً آخر وزع هذه الاستجابات الـ ٥١ على النحو التالي: ٤ ك، ٣٣ ج، ١٤ جـ . كان معنى ذلك أنه اهتم بالجزئيات الدقيقة على حساب الكليات وأنه يميل إلى إغفال هذه الكليات. وعلى ذلك يكون نمط الإدراك عنده (ك) ج جـ! أو ج جـ! .

وقد يحدث أحياناً مبالغة زائدة عن الحد في إعطاء الاستجابات الجزئية الكبيرة أو الاستجابات الدقيقة لدرجة تغفل معها بقية النواحي الأخرى. وفي هذه الحالة يكون لدينا نمطاً جزئياً خالصاً نشير إليه بإضافة علامتي تعجب إلى يسار الرمز فيكون لدينا ج!! أو جـ !! . والواقع أن هذين النمطين موضع خلاف بين الباحثين. فروشاخ مثلاً لم يجد نماذج خالصة من الجزئيات الكبيرة أو الدقيقة.

* **التتابع أو الترتيب**: ونحصل عليه من النظر إلى النظام الذي سار عليه الفرد في إعطاء الاستجابات بالنسبة للبطاقات العشر. والحقيقة أن هذا العامل لا يزال يعتمد على التقدير الشخصي للفاحص.

ويقسم بيك الترتيب أو التتابع تقسيمات قريبة من تلك التي وضعها روشاخ فهناك التتابع المنهجي Methodical الذي يتخذ أسلوباً ثابتاً في النظر لا يتغير، ويتجلى فيه الجمود إلى حد بعيد. فينتقل الفرد من الكليات إل الجزئيات الدقيقة ويسير الفرد على هذا النمط من التتابع في البطاقات العشر أو في معظمها. غير أن هذا الأسلوب الجامد لا يحدث عادة ، وإن وجد فهو دليل على الجمود العقلي.

وفي الطرف المضاد للنوع الأول الذي يتسم بالجمود هناك نوع ثان يتسم بالاضطراب والخلط ويسميه Confused. وفي هذا النوع من التتابع يكون من العسير علينا التنبؤ بترتيب معين. وهل سيبدأ الفرد باستجابات كلية أم جزئية كبيرة، أو أجزاء دقيقة. وهذا النوع من الترتيب المضطرب يتضح عادة في تفكير حالات المرضى بالفصام.

أما النوع الثالث فهو بين هذا وذاك. فلا هو من النوع المتصف بالجمود في كل خطواته، ولا هو من النوع المضطرب المختلط. ولهذا يسميه بيك باسم غير المنتظم Irregular أي التتابع غير الجامد وغير المضطرب في الوقت نفسه. وغالباً ما يكون ترتيب الأسوياء الممتازين من هذا النوع الأخير.

غير أن معظم الباحثين يتبعون تقسيماً آخر أكثر تفصيلاً ولكنه لا يخرج في جوهره عن التقسيم السابق الذي قدمه بيك. وقد قدم مونز(1) صورة تقريبية كمية يمكن على هديها تقدير نوع التتابع في التقرير.

لو اتبع الفرد أسلوباً محدداً في ثلاث بطاقات أو أربع سمى بالتتابع عنده من النوع المتفكك Leose.

ولو اتبع الفرد أسلوباً محدداً في عدد من البطاقات يتراوح بين ٥ ـ ٧ بطاقات سمى التتابع عنده من النوع المنتظم Orderly

ولو اتبع الفرد أسلوباً محدداً في عدد من البطاقات يتراوح بين ٨ ـ ٩ سمي التتابع عنده من النوع المنهجي Methodical.

---

(١) Mons. W, Principles and Practice of the Rorachach Personality Test pp. 183 - 104.
انظر أيضاً: Klepfer and Kelley: The Rorschach Technique pp. 273 - 274.

ولو اتبع الفرد أسلوباً محدداً في البطاقات العشر سمي التتابع عنده من النوع الجامد Rigid.

أما إذا لم يمكن التعرف على نوع من التتابع أو الترتيب في التقرير سمي التتابع في هذه الحالة من النوع المضطرب Confused.

ويرى مونز أن أكثر الأنواع شيوعاً عند العاديين هو النوع المنتظم على حين يمثل التتابع المرن المطلق عدم القدرة على التحكم العقلي.

*** التنظيم Z:**

معناه قيام الفرد بنشاط تنظيمي تجمع فيه الوحدات الصغرى في وحدات أكبر منها. وبعض هذه الوحدات الكبرى يكون كليات، أما معظمها فليست كليات، بل أجزاء كبيرة. وهذا العامل يهتم به بيك إلى حد بعيد، كما أنه من وضعه أيضاً. وقد وجد بيك أربعة أنواع من التنظيم أو النشاط التنظيمي الذي يقوم به الفرد، تواترت بشكل كاف يسمح بوضع قيم عددية لها.

أ - الكليات.

ب - الأجزاء المتقاربة التي تُرى متصلة الواحدة بالأخرى.

جـ - الأجزاء المتباعدة والتي يُرى في ما بينها شيء من التنظيم.

د - المسافات البيضاء التي تنتظم مع أجزاء أخرى من البطاقة.

وإذا كان روشاخ لم يحدد النشاط التنظيمي بهذه الصورة التي وضعها بيك، إلا أنه أشار إليه في دراسته للاستجابات الكلية، حيث يقول «إن عدد الكليات هو أولاً وقبل كل شيء دليل على قدرة الفرد على القيام بعملية التنظيم». كما لاحظ وجود هذه القدرة لدى الأفراد الذين لديهم ميول وقدرة على التخيل. ويبدو أن فكرة التنظيم لم تكن قاصرة في نظر روشاخ على الكليات، بل ربما شملت أيضاً الجزئيات، على نحو ما يتضح في نظرته إلى البطاقة الثالثة التي يظهر فيها الرجلان في حالة حركة وعلاقة تنظيمية دون أن تشتمل الاستجابة على جميع عناصر البطاقة. وقد اتخذ بيك من ذلك دليلاً على أن روشاخ كان ينظر إلى الرجلين -

باستبعاد بقية الأجزاء الرمادية في أسفل البطاقة أو الأجزاء الحمراء في أعلاها ـ على أنها استجابة كلية وليست جزئية.

وعلى كل حال يظهر النشاط التنظيمي في الاستجابة إذا رؤي جزءان أو أكثر من أجزاء البطاقة في علاقة أحدهما بالآخر، وإذا كان المعنى المدرك من هذا الإرتباط أو من أي جزء من الأجزاء المكونة له، ناتجاً فقط عن طريق هذا التنظيم. وقد وضع بيك مجموعة قواعد خاصة بعامل التنظيم نلخصهافي ما يأتي:

١ ـ كل الكليات نشاط تنظيمي.

٢ ـ أن جزءين أو أكثر من الأجزاء المكونة للبطاقة يمكن أن ترى في علاقة تنظيمية وقد يحدث التنظيم بين جزءين كبيرين أو جزء صغير أو أية مجموعة من هذه الأجزاء.

٣ ـ يجب أن يرتبط المعنى أو الاستجابة التي يعطيها المفحوص بالوحدة المنظمة الكبرى.

٤ ـ يوجد النشاط التنظيمي في الاستجابات التي يحددها ـ على الأقل في جزء منها ـ عامل الشكل. أما الاستجابات التي يحددها عامل اللون وحده أو عامل الظلال وحده، فلا تعتبر نشاطاً تنظيمياً.

٥ ـ ليس من الضروري أن تكون الأجزاء المنتظمة في ما بينها منفصلة بعضها عن بعض، ما دام المفحوص يقوم بتحليل الشكل أو أجزائه، ثم يعيد تركيبها.

٦ ـ ليس مجرد وجود الحدود الفاصلة بين جزءين، دليلاً على قيام نشاط تنظيمي. فقد توجد الحدود الفاصلة بين الأجزاء، ومع ذلك لا يقوم بينها نشاط تنظيمي.

٧ ـ إذا حدث أكثر من نشاط تنظيمي لاستجابة واحدة، فإن القيمة الأكبر هي التي تؤخذ. ومعنى هذا أن النشاط التنظيمي يعطى مرة واحدة فقط.

وقد أعطى بيك تقديرات رقمية أو عددية لأنواع التنظيم المختلفة في البطاقات العشر. ويدخل مجموع هذه القيم عند بيك كأحد عوامل الذكاء.

ويعتقد بيك أن الدرجة الكبيرة التي يحصل عليها الفرد من التنظيم تعتبر ذات قيمة كبيرة في تقدير عامل المستوى العقلي أو الذكاء عنده.

نماذج من الاستجابات التي أعطيت للبطاقات رقم ١ قيمة كل منها.

ك :	خفاش. طائر. حشرة	القيمة ١,٠
أجزاء متقاربة:	رجلين يمسكان دباً	القيمة ٤,٠
أجزاء متباعدة:	جزر وسواحل غير منتظمة	القيمة ٦,٠

مساحات بيضاء وأجزاء جامدة من الشكل: مثل الخريطة: وذلك على اعتبار أن الأجزاء الدقيقة التي تقع أسفل ج ٨ عند بيك هي الميناء، وأن الجزء الأسود الملاصق هو «أرض الخريطة» القيمة ٣,٥.

هذا هو العامل الأول أو البعد الأول من عوامل التقدير.

II ـ العوامل المحددة Determinant

والمحددات هي البعد الثاني والذي على أساسه يتم تقدير الاستجابات. وتعتبر المحددات في الواقع أهم الأبعاد الأربعة جميعها. وهذه العوامل المحددة هي الشكل واللون والظلال والحركة أو أية مجموعة من هذه العوامل مجتمعة. ولكن ليس ثمة شك في أن قيم الشكل والحركة واللون والظلال أكثر أهمية وقيمة في تحديد سمات شخصية الفرد من أي ناحية أخرى. وعن طريق تحليل المحددات يمكن التغلغل في أعماق شخصية الفرد.

وتقسم المحددات إلى أربعة أنواع هي: الشكل، الحركة، اللون والظلال.

١ ـ الشكل Forme :

ويرمز إليه بالرمز F ونرمز إليه بالرمز (ش). وهو أكثر المحددات وروداً في التقرير. وحين نقول أن الشكل هو العامل المحدد للاستجابة، فإننا نعني بذلك أن شكل القطعة هو المثير الأول للاستجابة المعينة.

لقد ميز روشاخ بين نوعين من الشكل: الشكل الجيد ويرمز إليه بالرمز (+

F) ونرمز إليه بالرمز (ش+)، والشكل غير الجيد ويرمز إليه بالرمز (F –) ونرمز إليه بالرمز (ش –). لكن ما معيار الجودة وعدم الجودة عند روشاخ؟.

هناك اتجاهان: **الأول**: إحصائي ويذهب إلى أن الاستجابات التي يتواتر حدوثها بكثرة في مجموعة كبيرة من الناس تعتبر جيدة الشكل وتأخذ (ش+). أما الاستجابات التي لا يكثر تواترها، فإنها تعتبر شكلاً غير جيد وتأخذ (ش –). وقد لجأ روشاخ إلى هذا الإتجاه الإحصائي لاستبعاد العنصر الشخصي.

الثاني: أن الاستجابة التي يمكن أن نقبلها أو يكون عندنا الاستعداد لمشاركة صاحبها شكلها أو التي يتفق ثلاثة من الحكام على قبولها، فإنها تعتبر في هذه الحالة شكلاً جيداً (ش+).

ووفقاً لهذين الأساسين، يمكن القول بأن الاستجابة التي يتوافر ظهورها عند عدد كبير من العاديين يمكن أن تعتبر شكلاً جيداً. حتى ولو لم يشارك الفاحص المفحوص في القول بها. والعكس فإن الاستجابة التي يسهل على الفاحص مشاركة المفحوص في القول بها يمكن أن تعتبر كذلك شكلاً جيداً حتى ولو لم يتواتر حدوثها عند عدد كبير من الأشخاص العاديين.

ويذهب كلوبفر إلى وضع الرمز (ش+) إذا كانت الاستجابة ذات شكل محدد تحديداً واضحاً. أما الاستجابة ذات الشكل غير المعقول، والتي تبعد كثيراً عن واقع البطاقة فإنه يضع أمامها الرمز (ش –). أما ما عدا ذلك من استجابات ليست محددة ومعقولة فيضع أمامها الرمز (ش) دون علامة مميزة لها.

ونسبة الشكل التي نحصل عليها في التقرير يجب أن يكون جزء كبير منها من النوع الجيد الذي نرمز إليه بالرمز (ش+). ونسبة الشكل الجيد هي التي تعطينا فكرة عن درجة التحكم الشعوري للفرد في علمياته العقلية، كما تكشف عن نوع تفكيره ودرجة إحساسه بالواقع. ومن هنا يربط البعض بين استجابات الشكل الجيد والذكاء. والمتوقع أن يكون الذكاء العالي مصحوباً بنسبة مئوية عالية من الشكل الجيد، على حين تنخفض نسبة الشكل الجيد[1] ـ وبالتالي تعلو نسبة الأشكال غير

---

(١) سيد محمد غنيم: مدى صلاحية اختبار بقع الحبر لروشاخ لقياس الذكاء، مكتبة كلية التربية، جامعة عين شمس.

الجيدة ـ عند حالات الضعف العقلي وعند حالات الهوس والفصام غير المرتبطين ارتباطاً قوياً بالواقع.

٢ ـ الحركة Mouvement:

ويرمز إليه بالرمز M ونرمز إليه بالرمز (حر).

وتعتبر الاستجابات الحركية من أهم المكونات الإدراكية، وأهم عنصر أضافه روشاخ في دراسته التجريبية للشخصية. وقد أوضحت التجارب أن هذا الاهتمام غير العادي بالاستجابات الحركية عند روشاخ كان له ما يبرره، نظراً لأهمية هذه الاستجابات في فهم الدوافع المحددة لسلوك الفرد شعورياً ولا شعورياً، وكذلك الطرق المفضلة في معالجة العلاقات الإنسانية المتبادلة. فالاستجابة الحركية تعكس في نظر روشاخ كل ما هو إنساني.

والاستجابات الحركية قليلة العدد نسبياً في التقارير العادية. ولذلك يجب أن نوليها عناية كبيرة في عملية التقدير. ويعد تقدير الاستجابات الحركية مشكلة بالغة الصعوبة. فالفرد لا بد أن يتصور الشيء في حالة حركة. وقد أعطى روشاخ اهتماماً كبيراً لناحية معينة وهي أن الحركة في المدرك لا بد أن تُحس باعتبارها تغيراً في التوتر العضلي. فالحركة التي نحسها ـ وليست الحركة التي نستدل عليها عقلياً أو التي نستنتجها عن طريق التداعي ـ هي التي تحول الاستجابة من استجابة يحددها عامل الشكل إلى استجابة حركية. وخير قاعدة يمكن السير عليها في نظر روشاخ عند تقدير الاستجابات الحركية هي: «تعتبر الاستجابة محددة تحديداً حركياً إذا كانت الأشكال المرئية في البطاقة كائنات إنسانية أو حيوانية تقدر على الحركة حركة شبيهة بحركة الإنسان كالقردة والدببة وغيرها».

ولذلك يحذرنا روشاخ من الخلط بين الاستجابات الحركية الحقيقية التي تخضع للقاعدة السابقة، والاستجابات الحركية الخادعة التي لا يحددها في الواقع سوى عامل الشكل. فالحركة التي تظهر في هذه الأخيرة، ليست إلا من قبيل الاستدلال العقلي أو من قبيل التداعي. فليست كل حركة يصفها المفحوص دليلاً

على أن الاستجابة محددة تحديداً حركياً مثال ذلك: «كلب يعض عظمة. طائر بيطير» «طيارة طايرة» «بركان ثائر».

وأحب أن أشير إلى أنه ليس معنى أن الاستجابات تقدر تقديراً حركياً هو أن الحركة هي المثير الوحيد، ذلك أن الشكل متضمن بالضرورة في جميع الاستجابات الحركية.

ومع أن روشاخ أجاد بالاستجابات الحركية في الحيوان وفي الجمادات، إلا أنه لم يعطها بنفس الدلالة التي أعطاها للاستجابات الحركية الإنسانية. وقد أدى هذا الموقف إلى أن يتوسع البعض من أمثال كلوبفر وكيللي وبتروفسكي في نظرتهم إلى الاستجابات الحركية. وقد أفرد هؤلاء أنواعاً ثلاثة من الاستجابات الحركية. فالأشكال الإنسانية التي ترى في حركة هي التي تعطي لها رمز «حر» أو M والحيوانات التي ترى في حركة، تقدر حركتها بالرمز FM أما الجمادات أو غير الأحياء التي ترى في حالة حركة فتقدر بالرمز m.

وعند الدراسة الدقيقة والتحليل النوعي للاستجابات الحركية، نجد أن روشاخ قسم الاستجابات الحركية الحقيقية إلى أولية وثانوية. والفرق بينهما يرجع إلى السرعة التي يمتزج بها «الشكل مع الصورة الحركية». فإن كانت السرعة التي يتم بها هذا المزج قوية للغاية بحيث يدرك الشكل والحركة معاً، فإن الاستجابة الحركية تعد في الحالة استجابة أولية. أما إن ظهرت الحركة بعد تفهم شكل الاستجابة بفترة فإن الحركة تكون في هذه الحالة ثانوية. وقد فسر روشاخ الفرق بين النوع الأول والثانوي على أساس بطء عملية التداعي على نحو ما نجده أحياناً عند بعض أنواع الصرع.

وقد ميز روشاخ بين نوعين من الاستجابات الحركية. فالحركة التي فيها امتداد واتساع تختلف عن الحركة التي فيها انحناء وخنوع واستكانة. لقد سمى روشاخ النوع الذي فيه امتداد باسم extensor «شخص رافع شيء إلى أعلى». على حين سمى النوع الثاني باسم flexor «شخص راكع على ركبته». النوع الأول يشير إلى القوة والسيطرة والاستمتاع بالحياة والنشاط، على حين يشير النوع الثاني إلى السلبية والإستكانة واليأس والإعياء.

* صدمة الحركة Choc :

لما كانت البطاقة الثالثة هي أكثر البطاقات استدعاء للاستجابة الحركية، فإن من الممكن استخدامها من الناحية العملية في تحديد صدمة الحركة. ويمكن أن نستدل على وجودها من النواحي الآتية: حين يعجز المفحوص عن تقديم أية استجابة - في البطاقة الثالثة - تقبل التقدير على أنها استجابة حركية، أو حين يأخذ أطول وقت ممكن قبل أن يعطى استجابة تقبل التقدير على أنها استجابة حركية، أو حين يكون زمن الرجع في هذه البطاقة أطول من متوسط زمن الرجع في غيرها من البطاقات، أو حين يسبق الاستجابة ظهور إتجاهات إنفعالية ذات دلالة خاصة بالنسبة للمفحوص تشير إلى هناك شيئاً من الصعوبة بالنسبة له، أو حين يسبق إعطاء الاستجابة عبارات توحي بزيادة التوتر الداخلي لدى الفرد.

وصدمة الحركة شأنها شأن بقية الصدمات تشير إلى وجود حالة من القلق العصابي والتناقص الوجداني لدى الفرد. وصدمة الحركة لا نجدها عادة في تقارير العاديين كما أنها قليلة في تقارير العصابيين ولكنها كثيرة في تقارير الذهانيين.

٣ ـ اللون Couleur :

اللون مكون هام من مكونات الاختبار لارتباطه الوثيق بالجانب الإنفعالي، ولما له من علاقة وثيقة بالاستجابات الحركية والتي تكشف عنها نسبة مجموع الاستجابات اللونية إلى الحركية (مجـ ل/ حر (M c\M)).

* **تقدير الاستجابة اللونية**: وتتحدد الاستجابات اللونية بالقيم اللونية في البطاقة. ولكي تقدر الاستجابة على أنها استجابة لونية، لزم أن يتأثر الفرد بصورة مباشرة وإيجابية بصبغة اللون - أعني اللون الأحمر والأخضر والأزرق والأصفر وهي الألوان الأربعة الأساسية التي في البطاقات. وليس يكفي أن يكون الجزء المثير ملوناً حتى تقدر الاستجابة على أنها استجابة لونية، بل يجب أن تتضمن الاستجابة شيئاً يشير إلى تأثر الفرد باللون. ومعظم استجابات اللون يثيرها اللون الأحمر غالباً مثل دم، لكن هناك استجابات أخرى تثيرها بقية الألوان مثل سماء أو ماء بالنسبة للون الأزرق، زهرة بالنسبة للون الأصفر، حشيش بالنسبة للون

الأخضر. وعند تقدير الاستجابة على أنها استجابة لونية يلزم إذن أن نعرف ما إذا كان المفحوص مدركاً أو غير مدرك للون، وهل تأثر به فعلاً في استجابته أو لم يتأثر. وهذا الأمر ضروري وجوهري لأن كثيراً من المفحوصين ينظرون إلى البطاقة ويفسرونها على أنها فراشة مثلاً أو على أنها زهرة أو سحاب سواء كانت البطاقة ملونة أو غير ملونة. وإذا أعطى المفحوص هذه الاستجابات للأجزاء الملونة من البطاقة دون أن يتأثر شعورياً بهذا العامل، فإن الاستجابة تقدر في هذه الحالة على أنها شكل وليست على أنها استجابة لونية.

* والحقيقة أنه ليس من السهل تقدير الاستجابات اللونية. ولذلك كان روشاخ يلجأ إلى التحقيق وسؤال المفحوص عما إذا كان يعطي نفس هذه الاستجابة لو أن هذه المنطقة كانت سوداء فعلاً. وهناك طريقة أخرى أقل إيحاء وتفي في الوقت نفسه بالغرض المطلوب كما تتم بصورة غير مباشرة. وتتلخص في استخدام الورقة التي تحوي الصور العشر الصغيرة، والتي نستخدمها عادة في التحديد المكاني أثناء إجراء الاختبار. وحين نتبين بأية صورة من الصور أن استجابة المفحوص للصور المصغرة تختلف عن استجابته للبطاقة الأصلية الملونة، فإن الاستجابة تقدر في هذه الحالة على أنها استجابة لونية. أما إذا عبر المفحوص عن ذلك بقوله: «طبيعي هذه ملونة ومع ذلك فالاثنين شيء واحد أو مثل بعض»، فإن الاستجابة لا تقدّر في هذه الحالة على أنها استجابة لونية. لأن اللون هنا لم يضف شيئاً جديداً للاستجابة. وقد يستدعي الاستجابة للمنطقة المصغرة تعليقاً من جانب الفرد، كأن يقول مثلاً «هذه أحسن، أنا ممكن أن أراها هنا أحسن مما رأيتها هناك» (يقصد البطاقة الأصلية)، وفي مثل هذه الأحوال التي يسهل استبعاد عنصر اللون فيها، فإن الاستجابة لا تقدر على أنها استجابة لونية، بل إنه في مثل هذه الحالة الأخيرة التي يكون فيها اللون تأثيراً معوقاً، فإن الاستجابة تعتبر نوعاً من صدمة اللون.

(أ) أنواع استجابات اللون:

قسم روشاخ استجابات اللون إلى ثلاثة أقسام رئيسية، وذلك على أساس

العامل المحدد للاستجابة. فإن كان العامل المحدد لوناً خالصاً مثل «دم» لأنه أحمر، قدرت الاستجابة بأنها لون خالص ويرمز إليه بالرمز C ونرمز إليه بالرمز «ل». أما إذا دخل عامل الشكل مع عامل اللون وكان لعامل اللون الغلبة في تحديد الاستجابة، قدرت الاستجابة على أنها CF أي (ل ش)، مثل «لهب لأن لون اللهب والألسنة الممتدة منه». وإذا دخل عامل الشكل مع اللون، وكان لعامل الشكل الغلبة على عامل اللون قدرت الاستجابة بأنها FC أي (ش ل) مثل «رباط رقبة أحمر اللون».

وليس من العسير علينا في معظم الأحيان تحديد استجابات اللون الخالص، ولكن المشكلة في التفرقة بين (ل)، (ل ش) أو بين (ل ش)، (ش ل). لقد اتخذ روشاخ معياراً للتمييز بين استجابات (ل ش)، (ش ل) هو حدة إدراك المفحوص لاستجابات الشكل الخالصة. فإن كانت حدة إدراك الشكل في الاستجابة اللونية أضعف، قدرت الاستجابة في هذه الحالة بأنها (ل ش) وليست (ش ل)، وذلك لغلبة عامل اللون على الشكل، وضعف عامل الشكل عندما دخل معه عامل اللون. ولذلك يقدم لنا بتروفسكي معياراً آخر يبدو أنه يفي بالغرض المطلوب في التميزيين (ل ش)، (ش ل). «إذا أمكن تغيير شكل الجزء المعني، بشكل ملحوظ دون أن يؤدي ذلك إلى تغيير قبولنا للاستجابة ودون أن يجعلها مقبولة بدرجة أكثر أو أقل من ذي قبل، فإن الاستجابة تقدر في هذه الحال على أنها (ل ش) (وذلك لغلبة عامل اللون على عامل الشكل)، ومن ناحية أخرى إذا أدى تغيير شكل المنطقة المعنية إلى تغيير قبولنا للاستجابة وجعل التلاؤم بين شكل الموضوع المتخيل والذي تتضمنه الاستجابة وبين شكل هذا الجزء من البطاقة ضعيفاً بدرجة ملحوظة، فإن الاستجابة تقدر في هذه الحالة بأنها (ش ل) (وذلك لغلبة عامل الشكل على عامل اللون نتيجة أن تغيير الشكل أدى إلى تغيير الاستجابة).

وعلى ذلك «فبقعة دم» بالنسبة للجزء العلوي من البطاقة الثانية تعتبر استجابة لونية ومن النوع «ل ش»، لأن بقعة الدم يمكن أن تأخذ أشكالاً كثيرة، مختلفة دون أن يغير ذلك من تقبلنا للاستجابة على أنها بقعة دم. فاللون الأحمر هو الغالب في هذه الحالة على شكل البقعة التي يمكن أن تتخذ أشكالاً متعددة. أما استجابة مثل

فراشة بالنسبة للجزء الأحمر المتوسط والجزء البرتقالي في (البطاقة رقم ٨ مقلوبة)، فإنه لا يمكن تغيير شكل المنطقة تغييراً ملحوظاً دون أن يؤدي ذلك إلى جعل الملاءمة بين الاستجابة وهذا الجزء من البطاقة ضعيفاً. ومن ثم تصبح الاستجابة غير مقبولة. فتغيير الشكل تغييراً ملحوظاً يؤدي بدوره إلى تغيير درجة الملاءمة بين الاستجابة والبطاقة. وهذا يعني بدوره أن عامل الشكل في الاستجابة يحتل مكان الصدراة. ومن هنا يلزم أن نقدر الاستجابة على أنها «ش ل».

وكان بيك يسير وفق قواعد معينة في عملية التقدير للاستجابات اللونية.

أ ـ كان يركز اهتمامه أولاً حول ما توحي به التعبيرات التلقائية للمفحوص، خصوصاً في التداعي الحر من دلالات وإشارات.

ب ـ فإن لم تسعفنا لغة التداعي بما يساعدنا على حسن تقدير الاستجابة، فإننا نملأ هذا الفراغ بالمادة التي نحصل عليها في التحقيق.

جـ ـ وبالإضافة إلى لغة التداعي والتحقيق، فإن الخبرة قد حددت لنا بعض الاستجابات التي تعتبر مباشرة لوناً خالصاً ومن ذلك مثلاً استجابة الدم.

وقد ذهب روشاخ إلى أن الأنواع الثلاثة من الاستجابات اللونية تمثل درجات ثلاث من الإنفعالية فكلما ضعف عنصر الشكل قوي جانب الانفعال، والعكس بالعكس. وقد اقترح روشاخ قيماً عددية لهذه الأنواع الثلاثة من الاستجابات اللونية، فأعطى استجابات اللون الخالص «ل» (درجة ونصف)، واستجابات اللون المتغلب على الشكل «ل ش» (درجة واحدة)، أما استجابات الشكل المتغلب على اللون (ش ل) فقد أعطاها نصف درجة. ويسمى المجموع الكلي لهذه القيم والدرجات باسم مجموع استجابات اللون ويرمز ل بالرمز «Σ C» ونرمز له بالرمز «مجـ ل» ويعد «مجـ ل» مقياساً تقريباً لإنفعالية الفرد. ويذهب روشاخ إلى أنه كلما زادت «مجـ ل» كان ذلك دليلاً على زيادة القابلية للإستثارة الإنفعالية والنشاط الحركي عند الفرد، وأصبحت الإنفعالات والعاطفة عنده أقل ثباتاً واستقراراً. ولكن لا نستطيع بطبيعة الحال أن نستنتج ما إذا كانت هذه الإنفعالات سارة أم غير سارة.

وقد ذهب روشاخ أيضاً إلى أن هناك فرقاً كبيراً ـ من ناحية القابلية للإستثارة الإنفعالية والنشاط الحركي ـ بين الاستجابات (ش ل) من ناحية وبين (ل ش)، (ل) من ناحية أخرى. فلو أن شخصين أعطيا نفس مجموع الاستجابات اللونية، فإن من الممكن مع ذلك أن نجد فروقاً جوهرية ملحوظة بينهما من ناحية السلوك الإنفعالي. فقد يكون أحدهما قد حصل على هل هذا المجموع من استجابات (ش ل)، على حين حصل عليها الآخر من استجابات (ل ش)، (ل)، ومع تساوي بقية الظروف الأخرى يمكن القول بأن الشخص الثاني أسهل قابلية للإستثارة وأقل ضبطاً وتحكماً في سلوكه الإنفعالي من الشخص الأول.

ومن الممكن حسب روشاخ أن نعرف شيئاً عن اتجاه الفرد بدراسة العلاقة بين (مجـ ل)، (مجـ حر)، أي مجموع الاستجابات اللونية حسب القيم السابقة الذكر إلى نوع الاستجابات الحركية في أعدادها المطلقة. فغلبة الاستجابات اللونية على الحركة يشير إلى أن الفرد أميل إلى الانبساط حسب روشاخ، على حين أنه كلما زادت الاستجابات الحركية على اللونية، كان الفرد من النوع المنطوي، وإذا كانت المسافات البيضاء أو (ف)، تشير حسب روشاخ إلى نزعة المعارضة عند الفرد، فإن من الممكن القول أن معنى هذه الاستجابات بالمسافات البيضاء (ف)، يغير حسب نسبة (مجـ ل/ حر). فحين يغلب عدد الاستجابات الحركية على اللونية كان معنى ذلك اتجاه المعارضة نحو الذات، وإلى افتقار الفرد إلى الثقة بالنفس والإحساس بعدم الكفاية الشخصية. أما إذا غلبت استجابات اللون على استجابات الحركة أشار ذلك إلى اتجاه المعارضة نحو العالم الخارجي وقد تأخذ أحياناً صورة عناد. أما في حالة تساوي (مجـ ل) و(حر)، كان معنى ذلك عدم قدرة الفرد على القطع برأي في ما يجب عليه عمله أو القيام به.

* تسمية الألوان:

وقد يلجأ البعض إلى تسمية الألوان أو الإشارة إلى اللون دون ذكر اسمه للتعبير عنه في حالة الإرتياح إلى هذه الأجزاء الملونة أو وصف اللون. وقد أعطى البعض لهذا النوع من الاستجابات بالرمز Cn أو Color naming غير أن مجرد

تسمية اللون لا يقدم تفسيراً ذا معنى بالنسبة للبقعة الملونة. فهو ليس استجابة بالمعنى الدقيق يمكن تقديرها، بل هو مجرد اعتراف إو إشارة إلى وجود اللون. ولذلك لا يميل الكثيرون إلى تقدير هذا النوع من الاستجابات أو إضافته إلى استجابات اللون. ومع ذلك، فهذا النوع من التسمية يدخل في الاعتبار عند كتابة التقرير النهائي، حيث يكشف عن بعض الجوانب الإنفعالية لدى الفرد ومدى تقبله أو عدم تقبله لبعض الألوان، كما يساعدنا أيضاً على معرفة صدمة اللون.

(ب) صدمة اللون Choc:

وصدمة اللون اصطلاح أطلقه روشاخ على أي اضطراب إنفعالي يحدث نتيجة تقديم البطاقات الملونة.

ويمكن الكشف عن صدمة اللون بطرق مختلفة.

١ ـ **تأخر زمن الرجع في الاستجابة:** ذلك أن الفرد حين يواجه ببطاقة ملونة لا يستجيب بنفس السرعة التي يستجيب بها للبطاقات غير الملونة أو البطاقات السوداء كلها. فقد يستغرق زمناً أطول في الاستجابة إلى البطاقة الملونة. وقد يشير طول زمن الرجع إلى أن الفرد يواجه موقفاً إنفعالياً يصعب عليه مؤقتاً التعامل معه بسبب ما هناك من اضطراب داخلي، وأنه محتاج إلى بعض الوقت حتى يستطيع أن يعيد تنظيم نفسه لمواجهة الموقف مرة أخرى.

وقد يدرك الفرد أن هناك اضطراباً، ولذا فإنه قد يلجأ إلى اتخاذ بعض الحيل لتغطية هذا الاضطراب. كأن يبدي بعض الملاحظات على البطاقة أو على نوعها كأن يقول مثلاً «هذا نوع ثانٍ من البطاقات». «هل أنت الذي عملت كل هذه البطاقات». وكل هذه الحيل تكون عادة لا شعورية.

وقد يظل الاضطراب موجوداً لدى الفرد تحت تأثير صدمة اللون، ومن ثم يأخذ الفرد زمناً أطول دون أن يقدم أية استجابة أو أي تفسير.

٢ ـ **تجنب الألوان:** قد يلجأ الفرد أيضاً من أجل التخلص من الاضطراب الإنفعالي، إلى تجنب مصدره وأسبابه. فهو يرى في الألوان نذير خطر فيهرب

منها نحو اللون الأسود أو الرمادي والأبيض. وأمثال هؤلاء قد يستجيبون إلى اللون الأصفر والأزرق، باعتبارهما ألواناً أقل إحداثاً للاضطراب، ولا يستجيبون للون الأحمر والبرتقالي.

والشخص الذي يتجنب اللون قد يعطي عدداً من الاستجابات (٣ أو ٤ استجابات) قبل أن يعطي استجابة لونية واحدة. وهذه الاستجابة اللونية التي يعطيها غالباً ما تكون من الشكل غير الجيد.

٣ ـ هناك مجموعة متنوعة من ردود الفعل: من ذلك مثلاً أن يكون عدد الاستجابات في البطاقات الملونة أقل منه في البطاقات غير الملونة، وذلك بسبب رغبة الفرد في عدم التعامل مع تلك النواحي التي تسبب له الاضطراب الأنفعالي، أو بسبب أن الاضطراب من القوة بحيث لا يستطيع معه أن يعطي تفسيرات كثيرة، إن لم يكن لا شيء على الإطلاق فالموقف صعب بالنسبة إليه، وهو لا يستطيع معه أن يفعل شيئاً لعدم قدرته على السيطرة عليه. ويمكن أن نفسر وجود الأشكال غير الجيدة تحت تأثير صدمة اللون بافتقار الفرد إلى الموضوعية والإرتباط بالواقع، كما أنه يحدث هناك تداخل بين النواحي الإنفعالية والوظائف العقلية، لا يمكن الفرد من الوصول إلى أقصى قدراته وإمكانياته تحت تأثير هذا الضغط الإنفعالي. وإذا كانت معظم صدمات اللون تتجلى في محاولة تجنب اللون والهرب منه، فإن هناك صورة أخرى تظهر في ناحية الإتجاه نحو الألوان. ومن ثم تزداد عدد الاستجابات اللونية بشكل ملحوظ في البطاقة الملونة، وتكون عادة في صورة استجابات لونية خالصة أو استجابات لونية يغلب فيها عامل اللون على الشكل: ل ش.

هذا، ويمكننا أن نقف على وجود صدمة اللون من نواح أخرى كتعبيرات الوجه، أو التغيرات التي تطرأ على نغمة الحديث، أو من الضحكة المفتعلة التي يبدو فيها الإرتباك واضحاً.

والشخص العادي يمكنه أن يتكيف بسرعة وبصورة مناسبة مع الموقف بعد حدوث صدمة اللون، بعكس ما هو عليه الحال مثلاً بالنسبة لحالات المرض العقلي أو بعض الإضطرابات النفسية. وعلى كل حال يجب أن يقدر صدمة اللون

على ضوء شدتها ومدتها، وعلى ضوء الحيل اللاشعورية التي يلجأ إليها الفرد لمواجهة الموقف، وليس فقط على ضوء وجودها أو عدم وجودها.

٤ ـ **الظلال (ظ)**: وأخيراً هناك عامل هام يدخل في عملية تقدير الاستجابات ويثير من المشكلات الشيء الكثير. ويرمز لهذا العامل بالرمز(Chiaroscur أو Shading Ch) ونرمز إليه بالرمز (ظ).

وقد رمز روشاخ لجميع استجابات الظلال برمز واحد فقط هو F (C). وقد حدد هذا النوع من الاستجابات بقوله: «إنها التفسيرات التي لا يكون فيها للقيم اللونية أثر، بل يرجح هذا الأثر إلى الضوء والظلال. ودلالات هذه التفسيرات لا تزال غير واضحة، ولكن يبدو أنها تتصل بقدرة الفرد على التكيف الإنفعالي، كما تشير أيضاً إلى هذا النوع من التكيف الذي اتسم بالحذر والجبن والإعاقة. هذا بالإضافة إلى أنها تشير إلى ضبط النفس أمام الآخرين، واتجاه واضح نحو الإكتئاب يحاول الفرد السيطرة عليه في حضرة الآخرين. «إن استجابات الظلال هذه تؤكد عمق الصورة كبعد، أكثر مما تؤكد أية تفسيرات أخرى».

تحدث روشاخ عن معنى البياض والسواد كألوان. فاللون الأسود في البطاقة يخلق في النفس آثار إكتئاب شديد على نحو ما يفعل الظلام في الليل، كما أنه يذكر الفرد بالأسى والموت. فالأسود يشير إلى نوع من القلق والاكتئاب الدفين في نفس الفرد، ومن هنا يذهب روشاخ إلى أن الإلتجاء إلى الألوان السوداء والبيضاء كألوان. يكثر في حالات الصرع وعند العاديين الذين يدركون ما يعنونه من حالات مزاجية اكتئابية.

ومن الطبيعي أن تكون هناك فروق واضحة في الاستجابات التي تثيرها الظلال. فاستجابات الظلال التي يثيرها اللون الرمادي أقل إكتئاباً في نظر روشاخ، من تلك التي يثيرها اللون الأسود. ومن الممكن القول أيضاً بأن روشاخ كان يعتبر استجابات الظلال نوعاً من استجابة اللون المكبوتة جزئياً على الأقل، إن لم تكن مكبوتة كلية، وهذا ما يتضح في جداول التقدير حيث يضع استجابات الظلال تحت استجابات الشكل المتجهة نحو اللون، والتي يرمز إليها بالرمز F → C.

أما بيك فقد قسم عامل الظلال إلى قسمين.

القسم الأول يلعب فيه البعد الثالث دوراً واضحاً، وقد أطلق عليه نفس تسمية روشاخ وهي Vista ورمز إليه بالرمز V.

القسم الثاني حيث لا يوجد بعداً ثالثاً، وإنما يكون المدرك الذي تعكسه الظلال في هيئة مسطح. وقد أطلق عليه اسم Gray ورمز إليه بالرمز Y.

ثم أضاف بيك بعد ذلك قسماً ثالثاً حيث تعكس الظلال نوع من الملمس وقد أطلق عليه بيك اسم Texture ورمز إليه بالرمز T.

أما عامل الـ Vista فمعناه أن اختلافات الظلال يمكن أن تعطى أثراً له أبعاد ثلاثة. ويدرك المفحوص مضمون التداعي في هذه الحالة كما لو كان من بعد أو عن بعد، أو كما لو كان يراه من مرتفع أو على مرتفع. ويدخل هذا الرمز بعض الخرائط الطوبوغرافية وليست كلها.

أما عامل الـ Gray فمعناه أن اختلافات درجات الضوء تحدث الشكل المرئي، ولكنه في هذه الحالة لا يرى في أبعاده الثلاثة بل في هيئة مسطح. ونموذج هذا النوع من الاستجابات أشعة إكس X، والاستجابات التي تسقطها الألوان الرمادية القاتمة في هيئة سحب ودخان.

وتعتبر القوائم التي أتبعها كلوبفر أكثر تفصيلاً. لقد أشار كلوبفر إلى وجود تأثيرات ثلاث كبرى هي:

- c وتشير إلى الظلال التي توحي بانطباعات السطح أو الملمس.

K وتشير إلى الظلال التي توحي بانطباعات الأبعاد الثلاثة سواء كانت الإنتشار (K F ، K) أو الفستا F K.

k وتشير إلى الظلال التي توحي بانطباعات امتداد البعد الثالث حين يُسقط على مسطح ذي بعدين.

ومع دخول عامل الشكل أو عدم دخوله في الاستجابة يمكن أن نميز بين استجابات ظلال متمايزة واستجابات ظلال غير متمايزة.

أما استجابات الظلال المتمايزة فهي تلك التي يدخل فيها عامل الشكل مع عامل الظلال من الأنواع الثلاثة السابقة. وتكون الغلبة في هذه الحالة لعامل الشكل على الظلال. ومن ثم يمكن أن نميز الأنواع الثلاثة الآتية:

F c حيث يكون السطح أو الملمس متمايزاً هو نفسه وفي حد ذاته أو ـ وهذا هو الأغلب ـ أن يكون الموضوع المدرك ذو الملمس أو السطح له شكل محدد مثال ذلك فروة الحيوان. قماش حرير أو ستان.

F K حيث يكون انطباع البعد الثالث أو العمق مقروناً بشكل مدرك محدد يعطى شكلاً منظوراً لمنظر من المناظر. مثال ذلك جزيرة والمياه حولها، خلجان وجبال بالنسبة للبطاقة ٤، حيث الأجزاء ثقيلة الظلال تعطى الانطباع لوجود جبال، على حين تعطى الأجزاء الخفيفة الظلال والأجزاء البيضاء بالسطح والماء والخلجان.

F k حيث تعطى الظلال الانطباع بامتداد البعد الثالث حين يسقط على سطح ذي بعدين مثال ذلك الخرائط الطوبوغرافية.

أما استجابات الظلال غير المتمايزة فهي تلك التي يدخل فيها عامل الشكل ضعيفاً مع عامل الظلال، وتكون الغلبة في هذه الحالة لعامل الظلال على الشكل أو تلك التي تخلو كلية من عامل الشكل ويكون الانطباع الناتج للظلال وحدها. ومن هنا ينتج لدينا ستة أنواع من استجابات الظلال غير المتمايزة هي:

C F حيث يكون الشكل غامضاً أو غير محدد، ويكون انتباه الشخص مركزاً على السطح. ويدخل تحتها أشكال مثل الصخور والحشيش والفراء والثلج.

C حيث يغفل المفحوص كلية عامل الشكل ويركز اهتمامه فقط على السطح أو الملمس. ومن النادر أن نقابل استجابات من هذا النوع، وغالباً ما تكون في حالات مرضية. مثال ذلك حالة مريض مصاب بإصابات خطيرة في الفص الجبهي، استجاب للبطاقات الخمس الثقيلة الظلال بالاستجابة «جلد حيوان» وبشكل يوحي أن جلد الحيوان ليس له شكل محدد وأن خصائص الملمس وحدها هي التي حددت المفهوم.

K F حيث يتدخل عامل الشكل في الانطباع بالعمق أو الانتشار ولكن عامل الشكل له تأثير ضعيف في تكوين المدرك. مثال ذلك سحب في السماء.

K حيث تتضمن الاستجابة عمقاً أو انتشاراً دون وجود أي أثر للشكل، والانطباع يرجع كله إلى الظلال. مثال ذلك ضباب، دخان وسحاب حيث لا يوجد أي عامل للشكل.

k F حيث الشكل غير محدد، والظلال غير متمايزة. فالاستجابة التي من هذا النوع تتضمن وجود شكل له أبعاد ثلاثة، مسقطاً على سطح ذي بعدين. مثال ذلك خريطة غير محددة ببلد معين، وحيث تستخدم الظلال لتوضيح الفروق غير المعينة في ارتفاع الأرض. مثال ذلك «ساحل قطعة كبيرة من الأرض». واستجابة مثل أشعة إكس يمكن أن تقدر حسب كلوبفر بأنها kF أو (FK أو k). k حيث لا يوجد أي أثر للشكل في الاستجابة.

ويعتبر تحليل هانز بندر أدق تحليل لاستجابات الظلال. وميز من حيث المبدأ بين نوعين من التفسيرات: التفسيرات (C) التي تشير إلى التفسيرات «الفاتحة ـ القاتمة المفصلة»[١]. والتفسيرات Clob والتي تشير إلى التفسيرات «الفاتحة ـ والقاتمة غير المفصلة»[٢].

وسوف نوضح في ما يلي بشيء من الاختصار النوعين السابقين من استجابات الظلال عند بندر.

أولاً: *التفسيرات (C) أو التفسيرات الفاتحة ـ القاتمة المفصلة*. ومعظم استجابات هذا النوع تكون غالباً أجزاء كبيرة ج أو أجزاء صغيرة جـ . ويتميز هذا النوع من الاستجابات بأن المفحوص يكشف عن كل نوع من الظلال على حدة. والتي استجاب بها الفرد لهذا الجزء المعين من البطاقة وبشكل يوحي أن الفرد قد أخذ في اعتباره قبل أي شيء حدود الأنواع المختلفة والدقائق المختلفة من الظلال. ويوضح بندر هذه النقطة بقوله: «في هذا النوع من الاستجابات يجب أن

(١) Interprétations- Clair - obscur détaillé.

(٢) Interprétations clair - obscur diffus.

يفسر المفحوص أشكالاً ظلالية كثيرة ومحدودة. ويكون لكل واحدة منها صورة معينة مختلفة ومتميزة عن الأشكال الأخرى». ولعل المثال التالي يوضح لنا المقصود.

مثال من البطاقة الثانية «ممشى في وضح النهار تحفة أشجار مورقة ومظلمة، والممشى هذا ضيق ويضيق حتى ليبدو من بعيد طريقاً ضيقاً للغاية في الظلام لأن على الجانبين توجد أشجار كثيفة».

ومن الممكن أن نقابل استجابات فاتحة ـ قاتمة مفصلة في البطاقات الملونة على نحو ما يتضح في هذا المثال الذي أشار إليه روشاخ «الساحل النرويجي» مع أشكال ودقائق لونية وجبال بالنسبة للجزء البني المتوسط من البطاقة العاشرة. وقد قدر روشاخ هذه الاستجابة جـ ش (ل) + جغرافيا، إبداع.

أما النوع الثاني Clob أو التفسيرات الفاتحة ـ القاتمة المنتشرة غير المفصلة وغير المحددة. وغالباً ما تكون استجابات كلية ك أو أجزاء كبيرة ج. ويتميز هذا النوع من الاستجابات بأن المفحوص لا يكشف عن أي دقائق خاصة في الظلال. وبعبارة أخرى تعطى الاستجابة انطباعاً كلياً مبهماً تحدثه قيم الظلال القاتمة والفاتحة للبطاقة كلها. وعلى نحو ما وجدنا بالنسبة لاستجابات اللون فإن بندر يميز داخل هذا النوع الثاني:

أ ـ استجابات يلعب فيه الشكل دوراً هاماً ويرمز إليها بالرمز F Clob. فإن كان الشكل جيداً وضعت علامة + إلى جانب الرمز، وإن كان الشكل رديئاً وضعت علامة .

مثال ذلك «خيال قصر متهدم فوق صخرة (+ FClob) (البطاقة ٤) مثل غراب كبير طاير (– FClob).

ب ـ استجابات يدخل فيها عامل الشكل، ولكن الدور الرئيسي تقوم به الظلال الفاتحة القاتمة. مثل صور لعاصفة (بالنسبة للبطاقة ٧) أو صورة أشعة لحيوان (بالنسبة للبطاقة ٤). وصور الأشعة غالباً ما تكون من النوع Clob F ولا تعطى FClob إلا إذا كانت خاصة بشكل معين وتنطبق عليه فعلاً.

جـ ـ استجابات Clob خالصة. حيث لا يلعب الشكل دوراً ما، أو حيث يظهر فحسب الانطباع الخالص والغامض المستمد من خاصية اللون الفاتح ـ القاتم للبطاقة مثل «جو عاصف» بالنسبة للبطاقة ٤، أو مثل الكابوس بالنسبة للبطاقة الأولى.

* **صدمة الظلال**: وكما وجدنا اللون بالنسبة لاستجابات اللون، هناك أيضاً صدمة الظلال بالنسبة لاستجابات الظلال. وتتميز صدمة الظلال بهبوط مستوى التفسيرات وبعدم وجود التفسيرات العادية التي يستخدمها المفحوص، وبإلتجاء المفحوص إلى الجزئيات الدقيقة أو رفض التفسير والاستجابة. وصدمة الظلال كصدمة اللون، وتشير إلى الكبت ولكن الكبت هنا يتصل بالاستجابات الإنفعالية والوجدانية المركزية أعني الأولية الأقل تطوراً. فالفرد يصارع في هذه الحالة ضد استجابات شاذة.

٥ ـ نمط الخبرة:

وتحت هذا العامل الثاني ـ عامل المحددات ـ تندرج العلاقة بين عامل الاستجابات الحركية واللونية، والتي يرمز إليها بالرمز MC ونرمز إليها بالرمز حر: ل. ونسبة الاستجابات الحركية إلى اللونية تعد في نظر روشاخ وغيره من الباحثين أكثر أهمية من الأعداد المطلقة التي نحصل عليها من كل منهما؛ ذلك أن الباحث يهمه أن يعرف ما إذا كان لأحد العاملين ـ الإنبساط والإنطواء ـ الغلبة على الآخر أم أنهما في حالة تعادل أم أن التقرير يخلو من كل منهما. ومن هنا تتخذ هذه النسبة نقطة إرتكاز هامة في تلخيص النتائج الرقمية للاختبار، ونقطة بداية في القيام بعملية التفسير.

وحساب نمط الخبرة ـ أو كما يسميه البعض نمط الحياة ـ عملية سهلة للغاية ذلك أن كل استجابة حركية تقدر بدرجة واحدة. أما الاستجابات اللونية فتقدر على هذا النحو: ش ل بنصف درجة $(\frac{1}{2})$، ل ش بدرجة واحدة (١) على حين تقدر استجابة اللون الخالصة ل بدرجة ونصف $(1\frac{1}{2})$. وتجمع الاستجابات الحركية كما تجمع الاستجابات اللونية وتستخرج النسبة مجـ حر إلى مجـ ل.

وتميز لوسلي أوستري ستة أنواع من نمط الخبرة:

١ ـ نمط الخبرة الذي يحوي تفسيرات لونية، ويخلو من التفسيرات الحركية. وهذا ما يسمى بالنمط الإنبساطي الخالص، ويرمز إليه $OM: x\ \Sigma\ C$ ونرمز إليه صفر حر: مجـ ل س حيث تشير إلى عدد الاستجابات اللونية.

٢ ـ نمط الخبرة الذي يزيد فيه محموع الاستجابات اللونية على الاستجابات الحركية بواحد على الأقل. وهذا ما تسميه أوستري بالنمط الإنبساطي المختلط.

ويرمز إليه $yM < x\ \Sigma\ C$ (حيث تشير Y و X إلى قيم مختلفة غير الصفر)، ونرمز إليها بدورنا ص حر < س مجـ ل حيث تشير س، ص إلي قيم مختلفة غير الصفر).

٣ ـ نمط الخبرة الذي يحوي تفسيرات محركية ويخلو من التفسيرات اللونية. وهذا ما نسميه بالنمط المنطوي الخالص ويرمز إليه $yM : O\ \Sigma\ C$ حيث تشير y إلى قيمة الاستجابات الحركية. ونرمز إلى ص حر: صفر مجـ ل.

٤ ـ نمط الخبرة الذي يزيد فيه مجموع الاستجابات الحركية على مجموع الاستجابات اللونية بواحد على الأقل. ويسمى بالنمط الإنطوائي المختلط. ويرمز إليه $yM > x\ \Sigma\ C$ ونرمز إليه ص حر < س مجـ ل.

٥ ـ نمط الخبرة الذي يخلو من كل من التفسيرات الحركية واللونية على السواء. ونسميه باسم Coarté. ونرمز إليه $OM : O\ \Sigma\ C$ ونرمز إليه: صفر حر: صفر مجـ ل.

٦ ـ نمط الخبرة المتعادل حيث يتساوى مجموع استجابات الحركة مع استجابات اللون ولا يفترق أحدهما عن الآخر إلا بنصف درجة مثال ذلك $xM : (x + \frac{1}{2})\ \Sigma\ C$ أو $xM\ (x - \frac{1}{2})\ \Sigma\ C$ ونرمز إليه س حر: (س + $\frac{١}{٢}$) مجـ ل أو س حر: (س − $\frac{١}{٢}$) مجـ ل.

ومن المهم أن نعرف العوامل المكونة لمجموع الاستجابات اللونية. فإذا كان نمط الخبرة مثلاً ٦ : ٦ فإن التقدير سوف يختلف حسب سيطرة أي أنواع

الاستجابات اللونية في هذه القيم الست. بمعنى هل تغلب كفة الاستجابات ش ل أو الاستجابات ل ش أو الاستجابات اللونية الخالصة ل. ذلك أن دخول الشكل مع اللون وغلبته يؤدي إلى شيء من الإستقرار والثبات الإنفعالي عند الفرد، على حين تعبر الاستجابات اللونية الخالصة عن انطلاق في العاطفة. ومن الضروري إذن أن يكون لدينا من التوزيعات ما يساعدنا على تحديد مختلف التجمعات الممكنة.

III ـ المحتوى Contenu

أما البعد الثالث الذي يدخل عند تقدير الاستجابات فهو المضمون أو المحتوى وهذا البعد لا يثير خلافاً كبيراً بين مختلف الباحثين، ويندرج تحته نواحٍ مختلفة. إذ أن من الممكن أن نرى أي شيء في هذه البطاقات.

وقد ينحرف بعض الأشخاص في محتوى استجاباتهم فتظهر لنا أشياء غريبة كل الغرابة تبلغ الذروة ـ سواء من الناحية العددية أو النوعية ـ عند البالغين ذوي الذكاء العالي أو عند حالات الفصام.

ويقصد بالمحتوى أو المضمون أو الملامح الأساسية التي أثارتها البطاقة في ذهن المفحوص. ويُصنف المحتوى وفق قوائم أو مجموعات. وتعتبر هذه القوائم أو المجموعات الكبيرة ـ بالنسبة لعملية التقدير ـ أكثر أهمية من المحتوى الخاص بالاستجابة ذاتها. ولنوضح ذلك بمثال إذا استجاب شخص بالنسبة «للبطاقة الأولى» مثلاً قائلاً أنها «فراشة» فإن الذي يهمنا في هذه الحالة ليس هو الفراشة بل المجموعة العامة التي تندرج تحتها الفراشة أي المجال العقلي الذي كان يسير فيه تفكير المفحوص ونعني به في هذه الحالة المدرك الحيواني.

وأهم القوائم التي تقابلنا عند تقدير المحتوى المدركات الإنسانية ويرمز لها بالرمز H ونرمز إليها بالرمز (ن) والمدركات الحيوانية ويرمز إليها بالرمز A ونرمز إليها بالرمز (حي)، ثم أجزاء كل منهما فيرمز لجزء الإنسان الظاهر أي الذي ليس جزءاً نشير إليه بالرمز Hd ونرمز إليه بالرمز «جزء / ن» ثم جزء الحيوان ويرمز أليه

بالرمز Ad ونرمز إليه بالرمز «جزء حي» هذا بالإضافة إلى عدد كبير من المحتويات الجغرافية والأشياء المادية المصنوعة، والاستجابات التشريحية. وسوف نوضح باختصار أهم القوائم التي يتضمنها المحتوى. ولنبدأ بأكثر هذه الاستجابات وروداً في المحتوى ونعني بها الاستجابات الحيوانية.

١ ـ **الاستجابات الحيوانية:** وتعتبر هذه الاستجابات أكثرها تواتراً في التقرير لأن طبيعة البطاقة ذاتها توحي بعدد كبير من الاستجابات ذات المحتوى الحيواني. وهي تشير إلى النوع الحيواني ـ عدا الإنسان ـ كالقردة والأسماك والطيور والخفافيش والحشرات. وتقسم الاستجابات الحيوانية إلى قسمين استجابات حيوانية كاملة ويرمز إليها بالرمز (حي) وأجزاء حيوان ويرمز إليها «جزء / حي».

ويذهب روشاخ إلى أن النسبة العالية من الاستجابات الحيوانية تشير إلى النمطية والافتقار إلى الخيال. ويصدق هذا التفسير على العاديين والشواذ على حد سواء. ويرى روشاخ أن الأذكياء يعطون في المتوسط ما بين ٢٥ إلى ٥٠٪ من مجموع استجاباتهم استجابات حيوانية، ويعني بها رؤية حيوانات كاملة أو أجزاء منها. والانحراف عن هذه النسب كثيراً، سواء إلى أعلى أو إلى أسفل، يشير إلى وجود مشكلات عقلية أو إنفعالية عند الفرد. وتشير النسبة العالية من الاستجابات الحيوانية إلى التفكير النمطي وذلك لأن هذه الاستجابات لا تحتاج إلى أصالة أو إبداع في إنتاجها.

وقد لاحظ روشاخ أيضاً وجود علاقة عكسية بين نسبة الاستجابات الحيوانية في المئة والاستجابات الحركية.

٢ ـ **الاستجابات الإنسانية:** وتعتبر الاستجابات الإنسانية من أكثر القوائم وروداً في التقرير. وهذه الاستجابات تقسم كذلك إلى قسمين: استجابات إنسانية كاملة نرمز إليها بالرمز (ن)، ثم أجزاء إنسان ونرمز إليها «جزء / ن». وجميع الاستجابات ذات المحتوى الإنساني تعتبر استجابات إنسانية باستثناء الاستجابات التشريحية والجنسية التي أفرد لها قوائم خاصة. وتتراوح نسبة الاستجابات الإنسانية في التقرير ما بين ١٠ ـ ٢٠٪. وهناك فرق بين معنى الاستجابة الحركية

الإنسانية (حر) والاستجابة الإنسانية بصرف النظر عن كونها حركية أو غير حركية. ذلك أن الاستجابات الإنسانية تشير عادة إلى اهتمام الفرد بالآخرين. ومن هنا فإن خلو التقرير من الاستجابات الإنسانية يشير إلى عدم الاهتمام بالناس. وبطبيعة الحال تتضمن هذه القائمة الإشارة إلى الرجل والمرأة والطفل كاملاً ثم ما يتصل بهم من إشارة إلى الوطن أو المهنة أو اسم الشخص، كما يدخل تحت هذه القائمة أيضاً استجابات مثل ملاك أو شيطان والأشكال الخرافية كالعفاريت والدمى. أما أجزاء هذه الأشياء فتقدر على أنها أجزاء إنسان أو جزء/ ن.

٣ ـ **الاستجابات التشريحية**: ويرمز إليها بالرمز A n ونرمز إليها بالرمز «تشر». وتشير إلى أجزاء من جسم الإنسان أو الحيوانات لا يمكن رؤيتها إلا بتشريح الجسم. وما لم نفرد قائمة مستقلة للدم فإن من الممكن إدراجه تحت هذا النوع التشريحي.

٤ ـ **استجابات الجنس** Sex: ونرمز إليها بالاسم «جنس». ويحسن أن نقصر هذا النوع على الاستجابات التي تتصل بالأعضاء الجنسية وجميع الأشخاص الذين يعطون استجابات من هذا النوع غالباً ما يكون المقصود في أذهانهم الأعضاء الجنسية البشرية. وقد يكون المقصود أحياناً جنسية حيوانية. وهذه تشير إلى اهتمام بالأعمال الشهوية بصورة أولية، وإلى النشاط الجنسي العادي. وهناك نوع من الاستجابات يعرف باسم الاستجابات الجنسية الثانوية كالصدر والشفاه، وهذه يمكن فصلها وحدها أو يحسن أن تضم إلى الاستجابات الإنسانية (ن)، وذلك لأن معناها يختلف عن معنى الاستجابات الجنسية الأولية.

٥ ـ **استجابات طبيعية**: وهذه نرمز إليها بالاسم «طبيعة» وهذه القائمة تتضمن استجابات مثل جبال، بحر، مناظر طبيعية، ماء، شلالات، سحب، شمس نار، جزر.

٦ ـ **استجابات نباتية**: وهذه نشير إليها بالاسم «نبات». وتشمل الأشجار والحشائش والأزهار والفواكه وورق الشجر.

* وإلى جانب هذه القوائم هناك عدد كبير من الاستجابات التي يمكن أن

يخرج بها في [illegible] خاصة بها كالمستجابات الفنية (فن) أو الاستجابات [illegible] (أشكال [illegible]) أو المستجابات الجغرافية (جغرافي) الخ.

[illegible] - الاستجابات المألوفة والمبتكرة

[illegible] الاستجابة وفق [illegible] فلا بد من معرفة ما إذا كانت [illegible] من الاستجابات المألوفة ونرمز إليها بالرمز P [illegible] أو [illegible] من الاستجابات الأصلية غير المألوفة ونرمز إليها [illegible].

[illegible] الاستجابة مألوفة إذا كانت ترد مرة واحدة تقريباً في كل ثلاثة [illegible] أو مرة واحدة كل ستة تقارير حسب [illegible]

والاستجابات المألوفة تكون دائماً ذات شكل جيد ولا يمكن أن تكون [illegible] بنسبة أكبر من ورود الاستجابات [illegible] هذه الاستجابات محددة [illegible] استجابة مألوفة.

[illegible] إلى أنه ليس هناك سوى تسع استجابات مألوفة [illegible] ومنها الخفاش وفراشة بالنسبة للبطاقتين الأولى والخامسة.

[illegible] الاستجابة المألوفة إلى قدرة الفرد على التفكير الذي يشارك فيه تفكير الجماعة [illegible] تكيفاً عقلياً وانفعالياً مع الحياة المحيطة به وتقبلاً [illegible] في الإنساق معها. ويتوقف عدد الاستجابات المألوفة التي يعطيها [illegible] وثبات الانفعالي [illegible] والشخص [illegible] ٢٠٪ من استجاباته استجابات مألوفة. أما الأذكياء [illegible] تقل عندهم نسبة عدد الاستجابات المألوفة

الإنسانية (حر) والاستجابة الإنسانية بصرف النظر عن كونها حركية أو غير حركية. ذلك أن الاستجابات الإنسانية تشير عادة إلى اهتمام الفرد بالآخرين. ومن هنا فإن خلو التقرير من الاستجابات الإنسانية يشير إلى عدم الاهتمام بالناس. وبطبيعة الحال تتضمن هذه القائمة الإشارة إلى الرجل والمرأة والطفل كاملاً ثم ما يتصل بهم من إشارة إلى الوطن أو المهنة أو اسم الشخص، كما يدخل تحت هذه القائمة أيضاً استجابات مثل ملاك أو شيطان والأشكال الخرافية كالعفاريت والدمى. أما أجزاء هذه الأشياء فتقدر على أنها أجزاء إنسان أو جزء/ ن.

٣ ـ **الاستجابات التشريحية**: ويرمز إليها بالرمز A n ونرمز إليها بالرمز «تشر». وتشير إلى أجزاء من جسم الإنسان أو الحيوانات لا يمكن رؤيتها إلا بتشريح الجسم. وما لم نفرد قائمة مستقلة للدم فإن من الممكن إدراجه تحت هذا النوع التشريحي.

٤ ـ **استجابات الجنس** Sex: ونرمز إليها بالاسم «جنس». ويحسن أن نقصر هذا النوع على الاستجابات التي تتصل بالأعضاء الجنسية وجميع الأشخاص الذين يعطون استجابات من هذا النوع غالباً ما يكون المقصود في أذهانهم الأعضاء الجنسية البشرية. وقد يكون المقصود أحياناً جنسية حيوانية. وهذه تشير إلى اهتمام بالأعمال الشهوية بصورة أولية، وإلى النشاط الجنسي العادي. وهناك نوع من الاستجابات يعرف باسم الاستجابات الجنسية الثانوية كالصدر والشفاه، وهذه يمكن فصلها وحدها أو يحسن أن تضم إلى الاستجابات الإنسانية (ن)، وذلك لأن معناها يختلف عن معنى الاستجابات الجنسية الأولية.

٥ ـ **استجابات طبيعية**: وهذه نرمز إليها بالاسم «طبيعة» وهذه القائمة تتضمن استجابات مثل جبال، بحر، مناظر طبيعية، ماء، شلالات، سحب، شمس نار، جزر.

٦ ـ **استجابات نباتية**: وهذه نشير إليها بالاسم «نبات». وتشمل الأشجار والحشائش والأزهار والفواكه وورق الشجر.

* وإلى جانب هذه القوائم هناك عدد كبير من الاستجابات التي يمكن أن

يفرد لها قوائم مستقلة خاصة بها كالاستجابات الفنية (فن) أو الاستجابات الفلكية (فلك) أو الملابس (ملابس) أو الاستجابات الجغرافية (جغرافي) الخ.

IV - الاستجابات المألوفة والمبتكرة

وأخيراً نصل إلى البعد الرابع الذي تقدر الاستجابة وفقاً له. فلا بد من معرفة ما إذا كانت الاستجابة من الاستجابات المألوفة وهذه يرمز إليها بالرمز P ونرمز إليها بالرمز «م» أو أنها من الاستجابات الأصلية غير المألوفة وهذه يرمز إليها بالرمز O ونرمز إليها بالرمز «ص».

١ - تعتبر الاستجابة استجابة مألوفة إذا كانت ترد مرة واحدة تقريباً في كل ثلاثة تقارير عادية حسب بيك أو مرة واحدة كل ستة تقارير حسب لوسلي أوستري.

والاستجابات المألوفة تكون دائماً ذات شكل جيد ولا يمكن أن تكون أشكالاً رديئة بحال من الأحوال إذا أنها ترد بنسبة أكبر من ورود الاستجابات الأخرى ذات الشكل الجيد. وقد أصبحت هذه الاستجابات محددة تحديداً إحصائياً دقيقاً. وتقدر عند بيك بواحد وعشرين استجابة مألوفة.

أما أوبرهولزر فيذهب إلى أنه ليس هناك سوى تسع استجابات مألوفة. يمكن اعتبارها استجابات عالمية؛ منها «خفاش» وفراشة بالنسبة للبطاقتين الأولى والخامسة.

وتشير الاستجابة المألوفة إلى قدرة الفرد على التفكير الذي يشارك فيه تفكير الجماعة، كما أنها تتضمن تكيفاً عقلياً وإنفعالياً مع الحياة المحيطة به وتقبلاً لأفكار الجماعة ورغبة في الإتساق معها. ويتوقف عدد الاسنجابات المألوفة التي يعطيها المفحوص على عوامل كثيرة كالذكاء والثبات الانفعالي والسن. والشخص البالغ متوسط الذكاء يعطي حوالي ٢٠٪ من استجاباته استجابات مألوفة. أما الأذكياء فهم أكثر ذاتية وفردية في تفكيرهم ومن ثم تقل عندهم نسبة هذه الاستجابات المألوفة.

٢ ـ أما الاستجابات غير المألوفة أو الأصيلة فهي التي ترد مرة واحدة في كل ١٠٠ تقرير عادي. وهذه الاستجابات الأصلية تشير ـ بصرف النظر عن نوعها ـ إلى قدرة الفرد على إدراك علاقات جديدة، كما تمثل أكثر من أي عامل آخر التفكير الذاتي للفرد وطريقته الخاصة في معالجة الأمور.

غير أن من الضروري أن ندخل في حسابنا أيضاً نوع هذه الاستجابات غير المألوفة. فهناك الاستجابات ص −، ص +. وهذا يبين مدى مطابقة هذا التفسير المبدع للجزء المرئي «المدرك» أو عدم مطابقته له. وتنحصر نسبة الاستجابات غير المألوفة عند العاديين من الناس بين صفر٪ و٢٠٪. وكلما زاد ذكاء الفرد زادت قدرته على إيجاد علاقات جديدة وإعطاء استجابات أصيلة جيدة الشكل بدرجة واضحة ملموسة.

تلك هي الأبعاد الأربعة الرئيسية التي تقدر الاستجابة وفقاً لها ـ وهي «التحديد المكاني»، «المحددات»، «المحتوى»، «الاستجابات المألوفة وغير المألوفة».

تلخيص التقرير:

بعد الانتهاء من عملية التقدير وفق القوائم الأربعة السابقة، نبدأ في تلخيص النتائج واستخراج النسب التي تدخل في وضع التقرير النهائي «السيكوجرام» والذي يسهل لنا القيام بعملية التفسير. ومن النسب الهامة التي نستخرجها نسبة الشكل الجيد في المئة، ونسبة الأشكال الحيوانية ثم عدد الاستجابات لمسافات البيضاء والاستجابات المألوفة.

أما نسبة الشكل الجيد في المئة فنستخرجها حسب هذه المعادلة.

$$\text{ش + ٪} = \frac{\text{ش +}}{\text{(ش +) + (ش −)}} \times ١٠٠$$

ويذكر بيك أن في الحالات التي يحتوي فيها التقرير على استجابات شكل

لم يوضع أمامها علامة + أو -، فهذه لا تدخل ضمن هذه النسبة. أما النسبة المئوية للأشكال الحيوانية فنستخرجها كالآتي:

$$\frac{\text{مجموع الاستجابات الحيوانية (حي + جزء/ حي)}}{\text{المجموع الكلي للاستجابات}} \times ١٠٠$$

أما الاستجابات المألوفة والمسافات البيضاء فلا داعي لاستخراج نسب مئوية لها بالنسبة لمعظم الباحثين.

٧ ـ دلالة الأبعاد المختلفة (الدلالات النفسانية)

سوف نتعرض باختصار لدلالة الأبعاد الأربعة (المكاني ـ المحددات ـ المحتوى ـ مألوفة، غير مألوفة).

أولاً: دلالة البعد المكاني

١ ـ الاستجابات الكلية ك: تحدث روشاخ كثيراً عن هذه الاستجابات وذهب إلى أنها تشير إلى قدرة الفرد على إدراك العلاقات الكبيرة والتأليف بين العناصر. ومن ثم فإنها ترتبط بالذكاء النظري والتفكير المنهجي المنظم. وقد اعتبرها روشاخ أحد المكونات السبعة التي تحدد القدرة العقلية العامة أو الذكاء. ورغم وجود ارتباط موجب بين القدرة العقلية العامة وعدد الاستجابات الكلية إلا أن هذا الإرتباط ليس عالياً[1].

ومع ذلك فعند تقدير الاستجابات الكلية يجب أن ندخل في اعتبارنا جودة الشكل أو عدم جودته، فنحن نقابل أحياناً كثيرة استجابات غير مضبوطة عند ضعاف العقول وحالات الإصابة العضوية، كما نقابل أيضاً استجابات غير محددة عند بعض الحالات السيكوباتية.

---

(١) سيد محمد غنيم: «مدى صلاحية اختبار الحبر لروشاخ لقياس الذكاء». مكتبة كلية التربية، جامعة عين شمس.

والكليات الجيدة وحدها ليست دليلاً كافياً عن القدرة العقلية الفائقة للفرد، فقد تكون أيضاً من النوع المألوف البسيط الذي لا يوحي بأي تنظيم عقلي أو إدراكي أصيل للعلاقات القائمة بين عناصر الشكل. ومن ثم يجب أن ندخل في اعتبارنا عند الحكم على ذكاء الفرد ما إذا كانت الكليات مألوفة أو غير مألوفة. والكليات غير المألوفة والجيدة الشكل هي التي توحي أكثر من غيرها بوجود قدرة عقلية فائقة لدى الفرد.

وقد لاحظ روشاخ أيضاً أن المزاج المنشرح يزيد عن عدد الاستجابات الكلية على حين يؤدي الإكتئاب إلى التقليل من إعطاء هذه الاستجابات الكلية. ويبدو أن هذا القول أكثر انطباقاً على الحالات العادية منه على الحالات المرضية. فحالات الهوس الشديد تعطي عدداً من الاستجابات الكلية أقل مما تعطيه حالات الهوس الخفيف.

* وثمة رأي آخر في تفسير الاستجابات الكلية. لقد ذهب بتروفسكي إلى أن الأهمية الكبرى لهذه الاستجابات تكمن في علاقتها بقدرة الفرد على التخطيط الوظيفي والقيام بالنشاط الحركي الصريح أكثر مما ترجع في علاقتها بالمستوى العقلي للفرد أو إلى ارتباطها بحالات الإكتئاب والانبساط. ومن هنا يذهب بتروفسكي إلى القول بوجود ارتباط موجب بين الاستجابات الكلية، والقدرة على المثابرة وبذل الجهد. ويجدر بنا أن نشير إلى أن زيادة اهتمام الفرد بالاستجابات الكلية ليس معناه إغفال الجزئيات. فالشخص الذي يعطي استجابات كلية يعطي أيضاً استجابات جزئية كثيرة ولكن اهتمامه بالجزئيات يتوقف على النظر إليها باعتبارها أجزاء متكاملة في الصيغة العامة أو في الكليات.

وعلى ذلك، فالبالغ الذي يعطى قليلاً من الكليات أو لا يعطي منها شيئاً على الإطلاق يفتقر إلى المبادأة، ويميل إلى الخمول والبلادة، ولا يميل إلى رسم خطط مستقبلة.

(أ) ج ك: هذا النوع من الاستجابات يمثل نزعة الفرد إلى القفز والانتقال السريع إلى نتائج غير جائزة وغير سليمة. كما تشير بالمثل إلى افتقار الفرد إلى

الصبر من أجل الوصول والانتقال إلى النتائج السليمة. فهي تشير إذن إلى تفكير غير دقيق وغير واضح. ومن ثم فإن هذا النوع من الاستجابات يكثر عند الحالات السيكوباتية والذهانية، وقد يوجد أيضاً لدى العاديين من الأطفال، لما هم عليه من عدم النضج في القدرة على التفكير.

(ب) جـ ك: ودلالة الاستجابات جـ ك كدلالة الاستجابات ج ك، سواء بسواء، إلا أنها تكثر لدى الأطفال وعند حالات الفصام.

وإذا دخلت المسافة (ف) مع الاستجابات الجزئية العادية، اتخذت دليلاً على وجود حالة توتر نفسي بين الفرد وبيئته، سواء كانت بيئة العمل أو الأسرة الخ.

كما اعتبرت دليلاً على عدم ارتياح الفرد الذي قد يبلغ إلى درجة الميل إلى المعارضة.

٢ ـ ج: وإذا كان روشاخ قد حدد الاستجابات الكلية على أنها مقياس للذكاء النظري، فإنه اعتبر الاستجابات الجزئية مقياساً للذكاء العملي. وفي معظم التقارير يفسر وجود الكليات والجزئيات معاً كدليل على أن المفحوص يميل في بعض الأحيان إلى التفكير المجرد بقصد إدراك العلاقات المنطقية والعلّية، على حين يميل في معظم الأحيان إلى الاهتمام اهتماماً كبيراً بالأعمال غير المجردة والعملية والمباشرة التي لا يتطلب آداؤها أو القيام بها الإلتجاء إلى القوانين النظرية. وعلى العموم كلما كان الفرد سوياً وأقرب إلى المتوسط زادت الاستجابات الجزئية في تقاريره.

وإذا أخذنا بتفسير روشاخ لكل من الاستجابات الكلية والجزئية فمن الواجب أن نعرف ـ مع ذلك ـ أن الإرتباط بين الكليات والذكاء المجرد من ناحية، وبين الجزئيات والذكاء العملي من ناحية أخرى ارتباط ضعيف، رغم أنه موجب.

وهناك نوع من الاستجابات يسميه روشاخ بالاسم «الإوليجوفرينية» أو الضعف العقلي ويرمز إليه بالرمز Do. ونرمز إليه بالرمز (ض) وقد ذهب روشاخ إلى أن هذا النوع من الاستجابات يشير إلى وجود حالة ضعف عقلي. ولكن

الدراسات التي أجريت على هذا النوع من الاستجابات ـ بعد روشاخ ـ أوضحت أنها تشير إلى نوع خاص من الكف العقلي يحول بين الفرد ورؤية الشكل بأكملة، والذي يراه الآخرون بسهولة ويسر. فهي إذن استجابات تشير إلى القلق وليس إلى الضعف العقلي. ويذهب «بوم» إلى أن من الممكن القول بأن الاستجابت الأوليجوفرينية يمكن أن تشير إلى وجود حالة الضعف العقلي أو البلاهة إذا كانت مصحوبة بعدد كبير من استجابات الشكل غير الجيد، على حين تشير إلى حالة الكف العقلي إذا صحبها عدد كبير من استجابات الشكل الجيد. وتفسر في هذه الحالة الأخيرة بضيق المجال النفسي كما هو الحال عادة في حالة القلق والإكتئاب.

٣ ـ جـ: ويذهب روشاخ إلى أن الاستجابات الدقيقة تشير إلى ميل الفرد إلى تقصي الأشياء الغريبة وإدراك دقائق الأمور كما تشير إلى الدقة المبالغة في الملاحظة. ويذهب بتروفسكي إلى أن الاستجابات الدقيقة إذا زادت نسبتها في التقرير عن ١٠٪ دل ذلك على زيادة اهتمام الفرد بالتفاصيل الدقيقة التافهة وإلى اهتمامه بالأجزاء من حيث هي أجزاء وليس من من حيث هي أجزاء في إطار كلي عام متكامل. والمعنى النفسي لكثرة الاستجابات الدقيقة هو القلق المصحوب عادة برغبة الفرد في التخفف من حدة القلق عن طريق استمرار الفرد وانشغاله بأعمال صغيرة تافهة، حتى ولو لم تحقق هذه الأعمال أهدافاً محسوسة. فالعمل يبعده إذن عن القلق والاضطراب.

٤ ـ ف: ذهب روشاخ في تفسيره لاستجابات المسافات البيضاء إلى ميل الفرد إلى المعارضة. ذلك أن المفحوص الذي يستجيب إلى المسافات البيضاء تعد استجابته في هذه الحالة مخالفة للتعليمات التي توجه إليه والتي تتطلب منه أن يستجيب إلى الأشكال التي في البطاقة. فبدلاً من استجابة المفحوص إلى الشكل يستجيب إلى الأرضية. وهذا في حد ذاته يعتبر ميلاً إلى المعارضة، غير أن روشاخ نفسه قد عقد الموضوع حين ذهب إلى القول بأن معنى الاستجابات للمسافات البيضاء يختلف تبعاً لتغير نسبة الاستجابات الحركية إلى اللونية (حر: ل). فحين يغلب عدد الاستجابات الحركية على اللونية فإن المعارضة تتجه في

هذه الحالة نحو الذات وتشير بذلك إلى افتقار الفرد إلى الثقة بنفسه وإلى الإحساس بعدم كفايته الشخصية. وحين تتساوى نسبة «حر: ل» دل ذلك على عدم قدرة الفرد على القطع برأي في ما يجب عليه عمله أو القيام به. أما إن زادت نسبة استجابات اللون على الحركة دل ذلك على اتجاه نزعة المعارضة إلى العالم الخارجي، وقد تأخذ في هذه الحالة صورة عناد.

ولقد عزا روشاخ أيضاً إلى استجابات المسافات البيضاء بعض الخصائص والسمات التي تبدو مقبولة كذلك. فقد تعكس هذه الاستجابات طاقة ملحوظة لدى الفرد. وسمات الشخصية التي تشير إليها استجابات المسافات البيضاء، قد تمكن الفرد من الإبقاء على معارضته القوية والكشف عن بعض نواحي القوة في شخصية الفرد. فاستجابات المسافات البيضاء قد تعني أن المفحوص يستجيب إلى الموقف بشيء من الثقة بالنفس وأنه قد ينتقد الآخرين دفاعاً عن نفسه. وهذا ما قد يبرر معارضته في تعديل وجهة نظره تحت ضغط الآخرين. فاستجابات المسافات البيضاء قد لا تعني العناد والمكابرة لمجرد العناد والمكابرة، بل هي محاولة لإثبات استقلال الذات وتأييد وجهة نظر الفرد في المواقف التي يحاول فيها الآخرون إخراجه عن السبيل الذي اختاره لنفسه.

ثانياً: دلالة المحددات

١ ـ ش: دلالة استجابة الشكل:

يشير عالم الشكل إلى تلك السمات التي يشارك فيها الفرد ـ بدرجة كبيرة ـ الآخرين والتي لا تميزه كثيراً عن الآخرين، والتي تعتمد كثيراً على التحكم الذاتي الشعوري للفرد. ولما كانت السمات التي يكشف عنها الشكل تتصل ـ أكثر من أي محدد آخر ـ بالواقع الخارجي الموضوعي المدرك، فإن من السهل جداً أن يتأثر عامل الشكل بالبيئة المباشرة التي يعيش فيها الفرد، كما يتأثر بتربية الفرد وتعليمه. فالسمات التي يكشف عنها الشكل تقيس قدرة الفرد على معرفة العالم الموضوعي وقدرته على الإدراك الحسي للأشياء والتحليل العقلي للمدركات. وقليلاً ما نجد تقريراً يحوي من استجابات الشكل الخالصة تقل نسبتها عن ٢٠٪.

فهؤلاء الذين تقل نسبة الشكل في تقاريرهم عن هذه النسبة إنما يعانون من اضطراب عقلي خطير يتسم بعدم القدرة على الانتباه بدرجة كافية للعالم المادي والبيئة المحيطة بهم. ومن ناحية أخرى فإن التقارير التي لا نجد فيها سوى استجابات الشكل، يفتقر أصحابها إلى سمات الشخصية المميزة لهم عن الآخرين ويكون اتجاههم نحو العالم خال من الخيال والإبداع تسيطر عليه مطالب الواقع والبيئة الاجتماعية.

ونسبة الشكل التي نحصل عليها في التقرير يجب أن تكون نسبة كبيرة منها من النوع الجيد ش +. وهذه تعطينا فكرة عن درجة التحكم الشعوري للفرد في عملياته العقلية، كما تكشف عن نوع تفكيره ودرجة إحساسه بالواقع. ومن هنا يعتقد أن استجابات الشكل الجيد ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالذكاء.

والمتوقع أن يكون الذكاء العالي مصحوباً بنسبة مئوية عالية من الشكل الجيد. وتهبط هذه النسبة في حالة انخفاض المستوى العقلي.

* ويذهب البعض إلى أن الشكل الجيد يرتبط بقوة الأنا. فالنسبة العالية من الشكل الجيد تعتبر مقياساً لقوة التنظيم الشخصية وتماسكها إذا ما هددها أي اضطراب. ويمكن القول بصورة أخرى كلما قويت الأنا زاد ظهور مدركات الشكل الجيد عند الفرد، أما ضعفها فيؤدي إلى زيادة مدركات الشكل غير الجيد.

* وإذا كانت استجابات الشكل الجيد تعتبر دليلاً على الإدراك السليم واحترام الواقع، فإن استجابات الشكل غير الجيد تصبح إذن دليلاً على الضعف. هذا الضعف إما أنه كامن في تكوين شخصية الفرد على نحو ما هو واضح في حالات الضعف العقلي أو أنه راجع إلى تلف لحق بأنسجة المخ بسبب مرض أو نتيجة إصابة أو أنه المرحلة الطبيعية لتطور الفرد ونموه كلما هو الحال بالنسبة للطفل الصغير، أو أنه نمط تكيف الفرد، كأن يستجيب بأول فكرة ترد إلى ذهنه أو تقابل هوى في نفسه، ومن ثم ينتج عدداً كبيراً من استجابات الشكل غير الجيد. وبعبارة أخرى يكون الفرد من النوع الذي يتخذ أيسر السبل وأسهلها للتخلص من الموقف وهذا ما نجده عند حالات الفصام.

وهكذا يمكن القول بأن نسبة الشكل الجيد تكون منخفضة عند ضعيف العقل ومن لديه إصابة بالمخ، والطفل الصغير وحالات الفصام وتتناسب عند كل منهم مع درجة الضعف أو الاضطراب. أما بالنسبة للعصابيين فإنها تكون قريبة من المستوى العادي للسويين على الرغم من أنها أقل نسبياً من النمط العام ككل. وقد تكشف ارتفاع نسبة الأشكال الجيدة عند العصابيين عن أثر القلق عندهم.

٢ ـ الحركة: «حر» ـ دلالة استجابة الحركة ـ:

تشير إلى ثراء نمط الخبرة عند الفرد وحياته الذاتية الداخلية. ويعتبر تعمق روشاخ في دراسة جوهر الاستجابات الحركية من حيث هي نشاط تخيلي أهم ما وصل إليه روشاخ في اختباره.

ومن الغريب أن هناك عدم إرتباط بين السلوك الحركي الظاهر للفرد وبين خياله أو حياته الداخلية، كما تكشف عنها الاستجابات الحركية. فالأشخاص الذين يعطون استجابات حركية كثيرة ليسوا ممن يميل دائماً إلى الحركة والنشاط، بل هم من النوع المستقر حركياً والذي يحيا حياة داخلية، أي أقرب إلى الإنطواء في حياته. وإذا كانت الحركة الظاهرية الصريحة تتعارض وحياة الخيال والتأمل، فكبت الحركة يقوى من الميل إلى إنتاج هذه الاستجابات.

وعلى حد تعبير روشاخ يمكن القول أنه كلما قلت حياة الفرد وإتجاهه نحو العالم الخارجي، زاد اتجاهه نحو عالمه الداخلي وحياته الداخلية، تلك الحياة الداخلية التي تعتبر مرادفة للخيال أو أحلام اليقظة.

فقد ذهب إلى القول بأن الاستجابات الحركية تكشف عن النزعات اللاشعورية أو الإتجاهات الأساسية في الشخصية سواء كانت هذه الإتجاهات إيجابية أو سلبية.

وهكذا نجد أن المناقشات التي دارت حول الاستجابات الحركية قد ساعدت روشاخ على استنتاج أن الاستجابات الحركية تعتبر دليلاً على وجود نزعة إلى الانسحاب إلى حياة الخيال وإلى الإبداع العقلي والتعامل مع الواقع على مستوى

الخيال سواء كان ذلك من الناحية العقلية أو العاطفية. ويمكن صياغة المبدأ الذي تقوم عليه فكرة روشاخ في الاستجابات الحركية على النحو التالي «جميع نزعات الفرد إلى الفعل والتي لا تجد لها منفذاً نحو الخارج تتحول إلى الداخل».

* غير أن روشاخ ميز بين نوعين من الحركة: الحركة الممتدة التي تشير إلى الاتجاه نحو العالم والتي توحي بالقوة والنشاط، ثم الحركة المستكينة والتي هي أميل إلى السلبية. والشخص الذي يعطي الاستجابات الحركية الممتدة (مثل شخص رافع يديه إلى فوق) يختلف عند ذلك الذي يدرك الأشكال (منحنية راكعة خانعة). الأول نشط لديه الدافع القوي لأن يصبح قوياً وأن يظل كذلك في حاله نشاط، رغم ما قد يعانيه من كبت عصابي. أما الثاني فأميل إلى السلبية ومن النوع الذي يدع الأمور تجري حسب المقادير. فإذا كانت الاستجابات الحركية دليلاً على الدور الذي يقوم به الفرد في الحياة أفلا توحي عبارات روشاخ وفكرته الأخيرة عن وجود علاقة مباشرة إيجابية بين نوع الاستجابة الحركية وبين السلوك الحركي الصريح. فإذا كان روشاخ قد ذهب إلى أن هناك ارتباطاً سالباً بين الاستجابات الحركية والسلوك الحركي الصريح للفرد، فإن بتروفسكي يؤكد وجود علاقة موجبة - وليست سالبة - بينهما. فالاستجابات الحركية تشير إلى فكرة المرء عن دوره في الحياة والتي على أساسها يحاول أن يتكيف مع الواقع. فهي إذن تمثل معظم الدوافع الشخصية والمتكاملة التي تسيطر على حياة الفرد أي أنها تمثل السمات التي تؤدي إلى استقرار وثبات العلاقة بين الفرد والبيئة. ففكرة بتروفسكي تجعل من الاستجابات الحركية الآلة الموجهة التي توجه الفرد نحو القيام بأدوار معينة محددة في علاقاته بالآخرين، والتي تعتبر أموراً حيوية بالنسبة إليه. فهي إذن تحدد السلوك الظاهري أو الخارجي للفرد بطريق مباشر أو غير مباشر.

٣ ـ اللون: ل ـ دلالة استجابة اللون ـ:

وعلى عكس الاستجابات الحركية نجد أن تفسير الأجزاء الملونة من البطاقة يعتبر استجابة مباشرة للمثيرات التي في البيئة. فاللون يستخدم كمثير انفعالي. والشخص العادي يمر بهذه الإنفعالات بدرجات مختلفة تبعاً لشدة المثير الإنفعالي

ودلالته الخاصة بالنسبة إليه. كما أن المواقف الإنفعالية المتشابهة تثير استجابات مختلفة عند الأشخاص المختلفين. والاستجابات اللونية تعتبر في اختبار روشاخ مقياساً للاتزان بين قوة الانفعالات المستثارة والتحكم العقلي للفرد في هذه الإنفعالات. ولذلك قسم روشاخ هذه الاستجابات اللونية إلى مستويات ثلاثة:

أ ـ ش ل: وتشير إلى الاستجابات اللونية التي يتدخل فيها عامل الشكل ـ أي الارتباط بالواقع ـ وتكون الغلبة فيها لعامل الشكل على اللون. فالفرد يتأثر بانفعالاته وعواطفه وإحساساته ولكنه يحكّم العقل ويسيطر على إنفعالاته، ويراعى الآخرين عند الاستجابة للمثيرات الإنفعالية المختلفة. فهذا النوع من الاستجابات يشير إلى أن إحساس الفرد يتسق وإحساسات الآخرين. وهذا يشير إلى سمة هامة من سمات التكيف ما دامت ترتفع إلى مستوى ترحيب الفرد بالإتساق مع العالم الخارجي. وهذه إشارة إلى نضج الفرد من الناحية الإنفعالية.

ب ـ ل ش: وهذه تشير إلى استجابات اللون التي يدخل فيها عامل الشكل ولكن الغلبة فيها للون على الشكل. فهي تمثل إذن سيطرة الإنفعال مع وجود درجة من التحكم والضبط يشير إليها عامل الشكل. فالفرد لديه الرغبة في التكيف مع البيئة والواقع، ولكن قوة التحمل والضبط غير كافية لإحداث هذا التكيف الناجح. وما دام الفرد لا يستطيع القيام بالتكيف اللازم، فإنه يتطلب من الآخرين أو من العالم إحداث هذا التكيف. وعلى الرغم من أن قدرته على فهم الآخرين محدودة، إلا أنه يرغب في أن يفهمه الآخرون، وأن يقدروه. وبعبارة أبسط تشير هذه الاستجابات إلى شخص ذاتي النزعة، لا تفتر مطالبه، ويميل إلى الإندفاع.

جـ ـ ل: أما استجابات اللون الخالصة فتشير إلى انطلاق النواحي الإنفعالية دون وجود عوامل ملطفة أو مخففة لحدة الإنفعال. فهي تشير إلى الاندفاع الذي لا يهدف أبداً إلى التكيف. وفي مثل هذه الأحوال يكون الفرد تحت رحمة إنفعالاته وثورات غضبه التي لا يقوى على السيطرة عليها. ومع كثرة وجود هذه الاستجابات اللونية الخالصة في تقارير الفصاميين وضعاف العقول، فإنها قد تظهر ـ بقلة ـ عند العاديين، ذلك أن التربية والحياة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعي

تعلمنا منذ وقت مبكر أن نسيطر على إنفعالاتنا، وأن نتحكم في أنفسنا ونضبط ثورات غضبنا. ومن هنا يقل ظهور هذا النوع من الاستجابات اللونية من التقارير العادية، على حين يكثر ظهور النوعين الآخرين فيها.

٤ ـ استجابات الظلال: ظ ـ دلالة استجابة الظل ـ:

يقول روشاخ عنها: «إنها التفسيرات التي لا يكون فيها للقيم اللونية أثر محدد، بل يرجع هذا الأثر إلى الضوء والظلال. أما دلالاتها فهي غير واضحة إلى الآن وضوحاً كافياً. وكل ما يمكن قوله أن هذه التفسيرات تتصل بقدرة الفرد على التكيف الإنفعالي، كما تشير أيضاً إلى هذا النوع من التكيف المتسم بالحذر والجبن. يضاف إلى ذلك أنها تشير إلى ضبط النفس أمام الآخرين وإلى ميل أساسي نحو الإكتئاب يحاول الفرد السيطرة عليه في حضرة الآخرين.

وقد صاغ «موهر» هذه الأفكار، وذهب إلى أن الفرد الذي يقع في صراع مع الأب ويشعر بالذنب بسبب الثورة على سلطة الأب، يحس بخبرة غير سارة ومزاج قلق حين تظهر البطاقات السوداء في اختبار روشاخ وهي (البطاقات ١، ٤، ٦)، أما الأشخاص الذين يعانون من مثل هذا الصراع فإنهم يستجيبون لهذه البطاقات ـ بما فيها البطاقة الرابعة الأشد قتامة ـ دون أي اضطراب ذاتي من جانب الفرد. فالاضطراب الشديد عند رؤية البطاقات السوداء يكشف ليس فقط عن صراع مع الأب مصدره أيام الطفولة، بل وأيضاً ـ في حالة الإناث ـ إلى صراع مع أي رجل، طالما يرمز اللون الأسود إلى الأجزاء أو النواحي الشريرة في الرجل، مثلما ترمز إلى سلطة الأب أو سلطة الرجل أو إلى القوة والحزم والثبات».

وهكذا تشير الدراسات التي أجريت على استجابات الظلال إلى عنصر الخوف والقلق، وأن هذه الاستجابات تختلف في بيان شدة القلق ودرجة عدم تكامل الشخصية تحت تأثير هذا العامل. وعلى نحو ما سبق أن أوضحنا بالنسبة لاستجابات اللون من ناحية دخول عامل الشكل، فإن من الممكن أن نطبق هذا القول أيضاً على عامل الظلال حيث يخفف دخول الشكل من حدة القلق.

ثالثاً: دلالات المحتوى

من المعقول أن تقدم لنا الصور التي يحتويها اختبار روشاخ أشياء لها قيمتها من ناحية المحتوى حتى ولو لم تصنف حسب المعايير الشكلية. والعلاقة التي تربط المحتوى اللفظي للاستجابة، بالجوانب الشكلية والمكونات المحددة للاختبار، علاقة وثيقة من الناحية المنطقية والنفسية. فهما ناحيتان أو جانبان متمايزان مختلفان لعملية نفسية واحدة هي المدرك. ومع ذلك يمكن النظر إلى كل منهما نظرة مستقلة عن الأخرى، كما يمكن أن يكون لكل منهما معنى مستقلاً كذلك. ويمكن أن نوضح العلاقة بينهما كالعلاقة بين الطول والوزن في الكائن الحي، فلا يوجد أحدهما بدون الآخر. ومع ذلك يمكن النظر إلى كل منهما مستقلاً عن الآخر، كما أن لكل منهما معنى مستقلاً كذلك وأسباباً مختلفة وطرقاً مختلفة للقياس، فالارتباط بينهما ليس تاماً. وبالمثل يعتبر المحتوى والشكل مظهران مختلفان لحقيقة واحدة، كما أن الارتباط بينهما ليس تاماً. فقد يشتمل التقرير على محتوى غير مألوف ومع ذلك يعتبر تقريراً فقيراً من ناحية المكونات الشكلية أو المحددات كالشكل واللون. والحركة. وقد يكون محتوى التقرير ضعيفاً وضيقاً ومع ذلك يكون مليئاً بالمكونات الشكلية المتعددة.

١ ـ يشير المحتوى بوجه عام إلى أفق الشخص ونواحي اهتماماته الخاصة. والاستجابات **الإنسانية** تشير عامة إلى دور الميول الاجتماعية والإنسانية في حياة الفرد، وإلى درجة اهتمام الفرد بسيكلوجية الآخرين. فخلو التقرير من الاستجابات الإنسانية يشير إلى عدم الإهتمام بالناس. وترجع معظم أسباب عدم الإهتمام إلى العدوان أو الخوف من الناس أو إلى أسباب مرضية على نحو ما عليه الحال بالنسبة للذهانيين الذين يهتمون بالعلاقات الإنسانية وبالآخرين، اهتماماً أقل مما هو عليه عدد العاديين والعصابيين. وقد أوضح أيمز في دراسته على الأطفال أن نسبة الاستجابات الإنسانية تزداد مع تقدم السن بالطفل من ٣٪ في سن سنتين إلى ١٦٪ في سن عشر سنوات. ويحدث العكس في حالات جنون الشيخوخة إذ تهبط النسبة إلى ٥٪.

٢ ـ أما الاستجابات **الحيوانية** فتعتبر بلا شك أهم أنواع المحتوى. ويذهب

روشاخ إلى أن النسبة الحيوانية العالية تشير إلى النمطية ومعناها الافتقار إلى الخيال وهذا التفسير ينطبق في نظره على العاديين والشواذ على السواء.

وهناك ارتباط سالب ـ ولكنه ليس عالياً ـ بين الاستجابات الحيوانية والذكاء. كما أن الحالة المزاجية للفرد، وما قد يكون لديه من كبت يؤثران في نسبة الاستجابات الحيوانية التي يعطيها تأثيراً ملحوظاً. فتزداد النسبة مع الإكتئاب وتقل مع الإنشراح والإنبساط.

* ويمكن النظر أيضاً إلى الحيوانات التي تتضمنها هذه الاستجابات من ناحية حجمها ودرجة توحشها وميلها إلى العدوان. فهناك حيوانات كبيرة وعدوانية وأخرى صغيرة وعدوانية كذلك، كماأن هناك حيوانات كبيرة غير عدوانية. وأخرى صغيرة غير عدوانية أيضاً.

وقد ذهب «رايتي» في دراسته التي قام بها على مجموعة من الجانحين إلى أن الحيوانات التي تظهر، تعكس اتجاه الفرد نحو النظام الأسري. فالحيوانات الصغيرة غير العدوانية تشير إلى الخضوع للوالدين، دون أية نزعة إلى المعارضة أو الثورة ضد أوامرهما. أما الحيوانات الصغيرة العدوانية فتشير إلى الثورة غير المثمرة وغير المجدية، والتي تعبر عن نفسها في صورة ألوان من النشاط غير المباشر أو النشاط المقنع. وقد ذهب رايتي أيضاً إلى أن إنتاج الحيوانات الصغيرة يشير إلى أن الفرد قد قبل سيطرة الوالدين عليه سواء من الناحية العقلية أو المادية، على حين أن إنتاج الحيوانات الكبيرة يشير إلى أن الفرد يشعر بالمساواة مع الكبار والوالدين ولا يقبل سيطرتها عليه. أما الحيوانات الكبيرة غير العدوانية فإنها تشير إلى أن الفرد يريد معاملة الوالدين على قدم المساواة ويعتبرها أصدقاء، بينما تشير الحيوانات الكبيرة العدوانية إلى الميل إلى النقد وعدم الثقة، وإلى عدم إرتياح الفرد لمعاملة الكبار له.

٣ ـ الاستجابات **التشريحية** فقد ربط روشاخ بينها وبين عقدة الذكاء، خصوصاً إذا وردت هذه الاستجابات من غير المختصين في التشريح. وقد فسر بلوبار ذلك بقوله أن مصدر ذلك يرجع إلى رغبة الفرد في أن يبين نفسه أمام

الفاحص بأنه «ليس غبياً» أو قد ترجع إلى التعويض عن الشعور بعدم الكفاية العقلية سواء كان هناك ما يبرر هذا الشعور أو لا يبرره. وبالإضافة إلى ذلك ترتبط هذه الاستجابات التشريحية بتوهم المرض. فإن وردت بكثرة في تقارير الأطباء والممرضين وكانت رديئة الشكل، دلت على ميل عصابي لتوهم المرض والإنشغال بالصحة. أما إن كانت جيدة الشكل، فإنه لا يكون لها دلالة خاصة في تقارير الأطباء والممرضين.

٤ ـ التفسيرات الجنسية هي التي تتصل بأعضاء الجنس وهذه لا ترد بكثرة في تقارير العاديين. وقد ترد معظم الاستجابات الجنسية العادية في مواضع معينة من البطاقات خصوصاً (البطاقات رقم ٢، ٤، ٦، ٧، ٩)، التي تحوي أجزاء شبيهة إلى حد ما بأعضاء الجنس. وقد يرجع خلو التقرير من الاستجابات الجنسية إما إلى الحياء أو إلى الكبت. وعلى العموم فإن إعطاء هذا النوع من الاستجابات يتوقف ظهوره في التقرير على العلاقة التي تربط الفاحص بالمفحوص، أكثر ما نجده بالنسبة للاستجابات الأخرى. فكلما ارتاح إليه وشعر بالاطمئنان إلى جانبه، كان أكثر ميلاً إلى إعطاء هذه الاستجابات.

٥ ـ الاستجابات المعمارية قليلة أو نادرة. وترد عادة عند البالغ المتفوق الذكاء. وهذه الاستجابات تتضمن المباني والأبراج العالية والأقبية والكبارى والنافورات والشبابيك وغيرها من الأشياء التي يصنعها الإنسان لوقايته وحمايته، وكذلك الأهرامات والمدافن التي تصنع لحفظ الموتى. وقد ذكر روشاخ أن استجابات الظلال التي تنعكس من المناظر الطبيعية كالحصون والأبراج والمعابد والأقبية والأهرامات قد تكشف عن إحساس بعدم التكامل الداخلي يحاول الفرد التعويض عنه بالإلتجاء إلى الخيال المرغوب فيه والذي عن طريقه يقيم مثل هذه الأبنية. والتاريخ مليء بأمثلة الكبار القادة والسياسيين الذين لم يشبعوا دوافع العظمة والسيطرة في النواحي السياسية والحربية، فاتجهوا إلى بناء المدن الكبيرة والقصور الفخمة.

وعلى العموم فإن تنوع محتوى الاستجابات يشير إلى اتساع الأفق وتنوع

نواحي الميول والإهتمام، على حين يشير قلة المحتوى إلى ضيق الأفق وفقر اهتمامات الفرد وميوله.

رابعاً: دلالة الاستجابات المألوفة والمبتكرة

١ ـ تشير الاستجابات المألوفة إلى درجة مشاركة الفرد الأفكار الشائعة في الجماعة التي يعيش فيها. ولكن هذا القول وحده لا يكفي إذ قد يعطى شخصان نفس عدد الاستجابات المألوفة ومع ذلك يختلف تقرير أحدهما عن الآخر اختلافاً كبيراً. وطبيعي أن التقرير الذي يحوي استجابات لونية وحركية واستجابات أصيلة يكون أكثر قوة وامتلاء من التقرير الآخر الذي يخلو من الاستجابات الحركية والذي يخلو من الخيال واللون، رغم احتوائه على نفس عدد الاستجابات المألوفة. وعلى ذلك فعدد الاستجابات المألوفة وحده ليس مقياساً دقيقاً لدرجة تقبل الفرد للأفكار الشائعة في المجتمع.

٢ ـ أما الاستجابات غير المألوفة فتشير إلى درجة من الأصالة والإبداع والخيال. ومن ثم تكثر عند أصحاب المواهب الفنية. كما تشير إلى اتجاه ميل الفرد وثقافته العامة. ومع ذلك يجب أن نفرق بين الاستجابات الأصيلة الجيدة الشكل والتي ترد عند الأذكياء وأصحاب المواهب، والاستجابات الأصيلة الرديئة الشكل والتي قد نقابلها بكثرة عند حالات الضعف العقلي وبعض حالات الفصام ومن لديهم اضطرابات عضوية.

تلك دلالة الأبعاد الأربعة التي يتم على أساسها تقدير اختبار روشاخ. ويجدر بنا أن نشير إلى أن تفسير الاختبار لا يعتمد على النظر إلا بعد واحد أو عامل واحد، بل يجب النظر إلى جميع العوامل مجتمعة وما بينها من نسب.

واختبار روشاخ يطبق على نطاق واسع في أعمال العيادات النفسية وفي مستشفيات الأمراض العقلية للكشف عن الأمراض النفسية والعقلية. سوف نورد باختصار الصورة الإجمالية التي يكون عليها التقرير في بعض الحالات.

العوامل الشكلية في اختبار روشاخ:

اعتمد روشاخ في تفسيره للأمراض النفسية والعقلية على ما أسماه بالتقرير النفسي الشكلي الذي يعتمد أساساً على دراسة العوامل الشكلية، بصرف النظر عن محتوى الاستجابات ومضمونها. والتشخيص الشكلي يقوم على دراسة العوالم المشتركة المختلفة التي نلخصها في ما أسماه روشاخ باسم «السيكو دايجرام الشكلي».

وسوف نقدم في ما يلي صورة لتشخيص الحالات المرضية المختلفة عن طريق اختبار روشاخ.

وقبل أن نقدم الصورة المرضية، يجدر بنا أن نشير إلى الصورة السوية التي نقابلها عادة في تقرير السويين من الناس.

أولاً: العاديون أو الأسوياء

غالباً ما يخلو تقرير العادي من السمات البارزة التي تشير إلى انحراف أو شذوذ في التقرير. فالاستجابات الكلية تقع بين ٢٥ إلى ٣٠٪. والاستجابات الجزئية الكبيرة تقع بين ٦٥ إلى ٧٥٪. أما الاستجابات الجزئية الدقيقة فتكون حوالي ١٠٪. أي أن نسبة الاستجابات الكلية إلى الجزئية الكبيرة إلى الجزئية الدقيقة هي النسبة العادية.

وطبيعي أن تكون نسبة استجابات الشكل الجيد في المائة نسبة عالية إذ تشير إلى ارتباط الفرد بالواقع وقدرته على التوافق العقلي مع المدركات الشكلية ولذا فإن نسبة استجابات الشكل الجيد قد تقع بين ٨٠ إلى ١٠٠٪. وإذا كان العادي يتصف بالتوافق العقلي مع الواقع، فإنه كذلك يتصف بالخيال. ولذا يحوي تقريره عدداً من الاستجابات الحركية ينحصر بين ١ ـ ٣ استجابات. وقد يزيد أحياناً على ثلاث استجابات. ويتصف العادي بالثبات الإنفعالي لذا يخلو تقريره عادة من الاستجابات اللونية الطليقة، ولا يحوي سوى الاستجابات اللونية التي يدخل معها

عنصر الشكل مع غلبة الشكل على اللون. وتكون نسبة الاستجابات اللونية بعضها إلى بعض على النحو التالي ٣ ش ل: ١ ل ش: صفر ل.

أما محتوى التقرير فواسع ومتنوع بشكل يشير إلى أفق متسع، ومن ثم تقل نسبة الاستجابات الحيوانية التي تشير إلى نمطية التفكير وجموده. وتكون عادة ٣٥ إلى ٥٠٪، وتكون نسبة الاستجابات الحيوانية إلى الإنسانية حوالي ٢: ١.

ولارتباط الشخص بالواقع ومشاركته الإتجاه العقلي العام للآخرين، فكثيراً ما يحوي التقرير استجابات مألوفة عادية، كتلك التي تظهر في معظم التقارير العادية. ومع ذلك فإن التقرير العادي يحوي كذلك استجابات أصيلة غير مألوفة تقع بين ١٠ - ٢٠٪.

أما نمط الشخصية فقد يكون من النوع المنطوي أو المنبسط أو المتعادل.

ولننتقل الآن إلى دراسة تقارير الحالات المرضية المختلفة.

ثانياً: الحالات المرضية

١ - حالات الهستيريا والوساوس المتسلطة والقهر.

تتضمن الأمراض النفسية تلك الحالات التي تتسم بالقلق الشديد وحالات النكوص والقهر والتحول أو مزيج من هذه الحالات جميعاً. والمريض النفسي، نتيجة ما لديه من نواحي الصراع، يكون غير قادر على إحداث التكيف المناسب بطريقة عادية. ولذلك يلجأ إلى حيل لاشعورية يتخلص بها من بعض ما لديه من نواحي التوتر.

* العصاب:

يعطي روشاخ أهمية كبيرة للتمييز بين السمات العصابية التي توجد عند كل فرد وبين العصاب الحقيقي. وليس هناك فرد من الأفراد لا تظهر في سلوكه سمات عصابية في وقت من الأوقات. فظروف الحياة التي نمر بها وما عليه المدنية الحديثة من التعقيد، تجعل من اليسير ظهور بعض السمات العصابية في سلوك

الفرد. وعلى كل، إذا لم يتصف السلوك بسوء التكيف وعدم القدرة على التلاؤم فليس ثمة ما يدعو إلى اعتبار الفرد عصابياً. إن الشخص العادي حين يواجه، بموقف من مواقف الإحباط يلجأ إلى أساليب متنوعة إيجابية غالباً، لإحداث التكيف، كما أن سلوكه لا يتصف بالجمود. أما العصابي فإنه عادة ما يلتزم بأسلوب واحد من أساليب التكيف ـ وغالباً ما يكون أسلوباً هروبياً من مواجهة الموقف والتخلص منه ـ ويستبعد ما عداها من الأساليب.

* إن تقرير العصابي في اختبار روشاخ يتصف بنواح أهمها ظهور صدمة اللون، وكبت الاستجابات الحركية، وإعطاء الاستجابات اللّونية الخالصة أو تلك التي يغلب فيها عامل اللون على الشكل والتي تشير في الوقت نفسه إلى مستوى إنفعالي طفلي، وكذلك ظهور مجموعة أعراض القلق. وقد لخص تسوليجر هذه المجموعة من أعراض القلق (سواء الكامن والصريح) في النواحي الآتية:

عدد الاستجابات الدقيقة (جـ) تكون فوق المتوسط، ظهور الاستجابات الأوليجوفرينية «ض» في تقرير الشخص الذكي والتي لا تشير في هذه الحالة إلى ضعف عقلي، كثرة ظهور الاستجابات الفاتح ـ الغامق والتي تشير إلى قلق مكبوت، وجود عدد كبير من الاستجابات التشريحية ذات الشكل الرديء، زيادة كبيرة في الاستجابات الشخصية وغير المألوفة والتي تكون في العادة رديئة الشكل، يكون نمط الشخصية من النوع الضيق. أما التتابع فيكون جامداً بشكل زائد عن الحد لدى الأشخاص الذين يعطون نسبة مرتفعة من الشكل، ومنطلقاً أو غير محدد عند من تظهر لديهم صدمة اللون؛ نمط الإدراك يكون من النوع (ج)، (جـ)، (ج ف) مع وجود استجابات أوليجوفرينية أحياناً؛ وجود صدمة اللون؛ قلة عدد الاستجابات الحركية. كما أن عدد الاستجابات الإنسانية الكاملة أقل من عدد الاستجابات التي تشير إلى أجزاء الإنسان؛ قلة عدد الاستجابات غير المألوفة.

ويضيف تسوليبجر إلى هذه الأعراض الخاصة التي تشير إلى فقدان الثقة وعدم الإطمئنان، نواحي أخرى يلجأ إليها المفحوص وتكشف عن نواحي القلق عنده. من ذلك مثلاً نقد البطاقة أو نقد الاستجابة أو إعطاء إجابات في صيغة

السلب أو في صيغة الاستفهام. كما يكثر في المحتوى الاستجابات التي تشير إلى الدم أو إلى الأعضاء المبتورة.

وليس من الضروري بطبيعة الحال أن تظهر كل هذه الأعراض في التقرير الواحد، ولكنها مع ذلك تتجمع في مجموعات خاصة تبعاً لنوع العصاب لدى الفرد.

(أ) الهستيريا:

والصورة التقليدية للعصاب هي الهستيريا. ومن الممكن الكشف بوضوح من حالات الهستيريا عن طريق اختبار روشاخ. ويمكن تلخيص مجموعة العوامل التي تكشف عن الهستيريا على النحو التالي:

تكون الشخصية من النوع الإنبساطي الذي يعطي نسبة منخفضة من استجابات الشكل، كما يكون نمط الخبرة عنده من النوع المنبسط كذلك. وتأخذ صدمة اللون عنده شكل الاهتمام الزائد بإعطاء استجابات اللون الخالص أو اللون والشكل مع غلبة اللون على الشكل. وهذا التناقض الظاهر بين الإتجاه نحو اللون والابتعاد عنه على نحو ما تعبر عنه صدمة اللون ـ يعتبر مظهراً من مظاهر التناقض الوجداني الذي تتسم به حالات الهستيريا. وطبيعي ألا نتوقع من مثل هذا الشخص أن يحاول التكيف الجيد (ومن ثم تقل عنده استجابات ش ل أو تنعدم). طالما أن وجود حالة الهستيريا تشير إلى أن الفرد غير قادر على إحداث التكيف السوي بطريقة عادية. والهستيري شخص غير ناضج إنفعالياً ووجدانياً. وهذا ما يتضح في كثرة الاستجابات الحركية الحيوانية على الاستجابات الحركية الإنسانية. كما تكثر عنده استجابات الشكل غير الجيد (ش -)، طالما أن الخطأ في تفسير الواقع والحقيقة يعتبر شيئاً مميزاً لحالة الهستيريا. وإذا كان الاضطراب مركزاً حول عضو من أعضاء الجسم، فقد يعطي استجابات أجزاء حيوانية أو أجزاء إنسانية أو استجابات تشريحية أكثر مما يعطي استجابات إنسانية أو حيوانية كاملة.

وقد يكون الهستيري من الجمود بحيث لا يقبل الأشكال التي في البطاقة

لأنها لا تتفق تماماً مع الواقع. ومن هنا لا يجد الفرد مخرجاً من هذا الموقف إلا برفض الاستجابة للبطاقات بحجة أنها لا تتفق والواقع تماماً.

(ب) الوساوس:

أما عصاب الوساوس فهو في هذه الصورة من العصاب التي يكون فيها التناقض الوجداني قوياً. ويكشف اختبار روشاخ عن هذه الخاصية في كثرة الاستجابات اللونية الطليقة القوية الخالصة، وصدمة اللون. كما أن نمط الشخصية يكون من النوع المتعادل أو القريب من المتعادل. والشخص الذي لديه وساوس متسلطة لا ينسلخ كلية من نفسه ولا ينطوي عليها أيضاً إنطواء تاماً. ولذا يكون لدى حالات الوساوس المنطوية اتجاهاً نحو الخيالات المتسلطة، على حين يكون لدى حالات الوساوس المنبسطة اتجاهاً نحو الأفعال القهرية. أما حالات الوساوس من النمط المتعادل؛ فهذه يغلب عليها الشك والحيرة.

وفي حالات الوساوس تظهر صدمة اللون الأحمر ولا يستبعد أن نجد معها صدمة اللون الأسود. أما العدوان والسادية اللتان تظهران عند هذه الحالات فيكشف عنهما العدد الكبير من الاستجابات البيضاء، وكثرة الاستجابات الجزئية الدقيقة. أما كبت التناقض الوجداني والعدواني فيعبر عنه عادة بالنسبة العالية جداً من الشكل الجيد، والتي قد تصل أحياناً إلى ١٠٠٪، والاتجاه نحو الاستجابات الأوليجوفرينية. كما أن عدد الاستجابات الحركية لا يكون كبيراً كما يقل عدد الاستجابات الكلية. أما التتابع فيكون عادة النوع الجامد أو المنطلق ونادراً ما يكون من النوع المنتظم. ومعظم حالات الوساوس تعطي استجابات حركية من النوع الممتد. «إن وجود الإدراك العادي والاستجابات اللونية الخالصة يجعلنا نشك في وجود عصاب الوساوس.

(جـ) القهر:

أما عصاب القهر فيتميز بحالة الضيق الإنفعالي مع زيادة نسبة الشكل. ويكون التتابع عندهم من النوع الجامد. وقد يدفع عدم الإطمئنان البعض إلى أن

يغطي باستجاباته كل جزء من أجزاء البطاقة مما يترتب عليه زيادة الإنتاج بشكل ملحوظ وبخاصة الاستجابات الجزئية الكبيرة والدقيقة. ويتجلى ضيق مجال الفرد في النسبة العالية من الاستجابات الحيوانية. وقد يركز بعض الأشخاص اهتمامه حول جزء من البطاقة ويفسره ويعيد تفسيره مراراً وتكراراً. وهذا الجزء يكون له بالطبع أهمية خاصة في نظر المفحوص، نظراً لما هو عليه من قهر وحصر. وبسبب إحساس الفرد بعدم القدرة على التكيف فإنه لا يكتفي بمعالجة الموضوع الواحد مرة واحدة بل يعيد تفسيره مرات عديدة.

٢ ـ تشخيص الحالات السيكوباتية:

لقد حاول البعض رد جميع الأمراض السيكوباتية إلى فكرة عامة. ولكن هذا ليس بالأمر السهل لأن السيكوباتية تشتمل على حالات كثيرة متنوعة وغير متجانسة. وقد اتخذ «موريس لفين» من خاصية الإشباع الغريزي المباشر والميل إلى سرعة إنهاء الفرد لألوان صراعه مع المجتمع السمة البارزة للأمراض السيكوباتية. ومن أحسن المحاولات التي قدمت لرد جميع الحالات السلوك السيكوباتي إلى أساس عام مشترك، ما قدمه «شنيدر» في تعريفه للسلوك السيكوباتي: فالشخصية السيكوباتية هي تلك الشخصية غير السوّية التي يعاني صاحبها والمجتمع من عدم سوائها. ويقصد شنيدر بكلمة غير سوّية أو منحرفة، الانحراف عن المتوسط. فلكل وسط ثقافي شخصياته السيكوباتية.

أما من حيث أسباب المرض وعلله ومن حيث تطوره الباثولوجي، فإننا نسير في مجال الفروض. لقد جرت العادة إلى إرجاع أسباب المرض السيكوباتي إلى عوامل وراثية أو إلى إصابات عضوية في أعمار مبكرة على حين يعتبرها البعض الآخر من أمثال كربلين أنها اضطرابات في النمو. وأغلب الظن أننا لا نعرف شيئاً بالتحديد عن أسباب هذا السلوك المنحرف.

ولقد تعددت التصنيفات التي قدمت للحالات السيكوباتية. فهناك تصنيف «كربلين» و«بلويلر» و«كرتشمر» و«كاهن» و«شنيدر» و«بوم» وغيرهم.

ولقد أشار «بوم» في دراسته لتشخيص الحالات السيكوباتي عن طريق اختبار روشاخ إلى وجود طريقتين يمكن أن يسير عليها التشخيص. الأولى طريقة التشخيص السلبي التي نادى بها «كوهن» والتي تسير وفق ما ذهب إليه «بلويلر» في تحديده لفكرة السيكوباتية عن طريق استبعاد بعض الصفات التي لا توجد لدى هذه الحالات. وقد أوضح «كوهن» بعض النقاط التي تفيد في تشخيص الحالات السيكوباتية عن طريق اختبار روشاخ تشخيصاً سلبياً منها: يكون التقرير غير عادي، ولا توجد فيه اضطرابات هامة في التفكير، ولا توجد فيه استجابات عصابية، وهذه إن وجدت تكون قليلة وضعيفة، كما لا يوجد فيه ما يؤكد وجود حالة الفصام أو الاضطراب العقلي والعضوي. ثم إنه بعد استبعاد هذه النواحي من التقرير فإن الخصائص «الإيجابية» التي يحتويها سوف تسمح لنا بعد ذلك بتحديد النواحي المختلفة للسيكوباتية وصورها المتعددة. ويذهب التشخيص الإيجابي إلى تحديد توزيع الصدمات المختلفة التي تظهر في التقرير سواء كانت صدمة اللون الأحمر أو صدمة اللون الأسود ثم توضيح مجموعة العوامل المختلفة في الاختبار التي غالباً ما تظهر في تقارير السيكوباتيين.

أ ـ من بين مجموعة الأعراض الثانوية التي تظهر في تقرير السيكوباتيين، الميل إلى نقد الذات وإلى توكيد التماثل في البطاقة، وإعطاء الاستجابات المترادفة والاستجابات التي تكون في صيغة النفي أو في صورة الاستفهام، ثم شدة الإهتمام بالوسط وأحياناً باستجابات المنظور وإعطاء الاستجابات التي تكشف عن الافتقار إلى الثقة بالنفس والطمأنينة والميل الشديد إلى نقد البطاقات ذاتها.

ب ـ كثيراً ما تتضمن التقارير عدداً كبيراً من الاستجابات البيضاء خصوصاً في البطاقة الأولى، كما نقابل عندهم استجابات غريبة من النوع (جـ ك) أو (ج ك) أو (جـ ج). كما يزداد عدد الاستجابات التشريحية عندهم زيادة ملحوظة، خصوصاً إذا كان السيكوباتي من النوع المنفصم أو الذي عنده وساوس المرض. وقد يحتوي التقرير على استجابات غير مألوفة جيدة ورديئة. وفي الوقت الذي تكثر فيه الاستجابات (ل)، (ل ش) تقل فيه الاستجابات (ش ل) والتي تشير إلى محاولة التكيف والتوافق مع البيئة والواقع وإلى افتقار الفرد إلى تكوين علاقات

خارجية قوية. أما التتابع فإنه غالباً ما يكون من النوع غير المتسق أو الطليق. ومن حين لحين تظهر بعض الاستجابات الحركية ذات المعنى المزدوج والتي توحي بانقسام في وظائف الأنا.

جـ - يتضح القلق الذي نجده عند الحالات السيكوباتية في زيادة التوكيد على الاستجابات التي تشير إلى خط الوسط في البطاقة، وفي صدمة الظلال وخصوصاً بالنسبة للبطاقة الرابعة وكذلك في صدمة اللون.

د - قام كل من «بوس» و«تسوليجر» بدراسة نوع من الحالات للسيكوباتية وهو النوع المناهض للمجتمع. وقد أوضح بوس وجود مستويات ثلاثة من الخروج على المجتمع. المستوى الجامع والمستوى المتوسط والمستوى الضعيف. أما المستوى الأول فيشمل الخارجين على المجتمع بصورة فعالة نشطة على حين يشمل المستوى المتوسط الحالات التي تقف من المجتمع موقفاً سلبياً. أما المستوى الأخير فيشمل الحالات التي تخرج بدرجة ضعيفة والتي تتكيف نسبياً ولكنها في الحقيقة من النوع العصابي.

هـ - بطبيعة الحال يتضح الفرق بين المجموعة الأخيرة والأولى. أما المجموعة الأخيرة والتي تنتمي بشكل ضعيف إلى السيكوباتية، فتقل عندها الاستجابات البيضاء الجزئية إلى أقل قدر ممكن، وتقل الاستجابات (ش ل) و«حر»، وقد لا توجد، كما تصل نسبة الشكل الجيد عندهم إلى ١٠٠٪، ويكون التتابع من النوع العكسي. ويكون عدد الكليات عندهم عادياً، على حين يقل عدد الجزئيات الدقيقة (وهذا ما يوحي بقلة العدوان أو اعتداله)، كما تقل نسبة الاستجابات غير المألوفة، على حين ترتفع نسبة الاستجابات الحيوانية والمألوفة. أما صفة القلق فإنها تتضح في رجحان كفة الاستجابات التي تشير إلى أجزاء الإنسان على الاستجابات التي تشير إلى الإنسان كاملاً، وكذلك رجحان كفة الاستجابات التي تشير إلى أجزاء الحيوان على الاستجابات التي تشير إلى الحيوانات كاملة، وفي ظهور الاستجابات الأوليجوفرينية «ض».

و - أما المناهضون بشكل إيجابي نشط، أي السيكوباتيون في أوضح

صورهم، فإن التقرير الذي نحصل عليه يختلف عن سابقه بشكل واضح. فعدد الاستجابات للمسافات البيضاء يزيد زيادة ملحوظة، كما أن نمط الشخصية يكون من النوع الإنبساطي - كما ترجح عندهم كفة الاستجابة اللونية الخالصة، والاستجابات التي يغلب فيها اللون على الشكل. ويحل الإتجاه نحو اللون محل صدمة اللون. ولا تظهر الاستجابات ش ل، «حر» في التقرير عادة، كما ترتفع عندهم نسبة الشكل الجيد، ويكون التتابع من النوع غير المتسق أو المنطلق عند الحالات النشطة، على حين أن يميل إلى الانتظام عند الحالات التي تقف موقفاً سلبياً من المجتمع والتي تمثل المجموعة الثانية. ويكون عدد الاستجابات الكلية كبيراً ولكنها كليات رديئة، وتفسر عادة بشدة حاجة الفرد إلى التقدير. ويكون عدد الاستجابات الجزئية الدقيقة كبيراً، وخصوصاً عند الحالات المناهضة الإيجابية (مما يشير إلى زيادة العدوان). أما نمط الإدراك عند السيكوباتي المناهض للمجتمع فهو من النوع ك - ج - جـ ف. وتزداد نسبة الاستجابات الأصيلة أما الاستجابات الحيوانية فتكون نسبتها منخفضة عند الحالات النشطة، ومتوسطة أو عادية عند الحالات التي تقف موقفاً سلبياً من المجتمع.

ز - أما نسبة الاستجابات الإنسانية إلى أجزاء الإنسان والاستجابات الحيوانية إلى أجزاء الحيوان، فإنها تشير إلى حرية الفرد المطلقة في العمل، ولذلك نجد رجحان كفة الاستجابات الإنسانية الكاملة على الاستجابات التي تشير إلى أجزاء الإنسان، وكذلك الاستجابات الحيوانية على أجزاء الحيوان.

ومن الملاحظ أن عدم وجود الاستجابات الكلية التي تشير إلى وجود ضوابط عقلية من ناحية، وإلى رغبة الفرد الملحة في إشباع حاجته إلى التقدير من ناحية أخرى، يؤدي إلى قلب العلاقة بين الاستجابات الكلية والحركية، فتصبح علاقة عكسية. وهذه العلاقة العكسية هي النمط السائد عند المجموعة المناهضة النشطة أو السالبة.

وقد ذهب «بوم» إلى إمكان تقدير مدى قابلية المرضى السيكوباتيين إلى تعديل سلوكهم: ومن هنا وضع بعض العلامات المميزة للمجموعة التي لديها

استعداد ضعيف إلى تعديل سلوكها، والمجموعة التي لديها استعداد قوي للإصلاح والتعليم. ويمكن أن نقارن بين المجموعتين على النحو التالي:

المجموعة التي لديها استعداد للإصلاح والتعلم	المجموعة ضعيفة القابلية للإصلاح والتعليم
١ ـ تكثر في تقاريرها الاستجابات ش ل	تقل في تقاريرها الاستجابات ش ل
٢ ـ تقل (أو لا توجد) عندها الاستجابات ل ش	تكثر عندها الاستجابات ل ش
٣ ـ تقل (أو لا توجد) عندها الاستجابات ل	تكثر عندها الاستجابات ل
٤ ـ تكثر عندها الاستجابات ن و جزء/ ن	تقل عندهم الاستجابات ن و جزء/ ن
٥ ـ القابلية للإيحاء كبيرة وعميقة	القابلية للإيحاء ضعيفة وسطحية
٦ ـ تقل عندهم استجابات ج ف (جـ ف)	تكثر عندهم الاستجابات ج ف (جـ ف)
٧ ـ الاستجابات الحركية من النوع الممتد	الاستجابات الحركية من النوع الخانع المستكين
٨ ـ مستوى الذكاء عال	مستوى الذكاء منخفض

٣ ـ الاكتئاب:

كان عدد حالات الإكتئاب التي درسها روشاخ قليلة نسبياً وقد درس من هذا النوع حالات السوداوية والصور الإكتئابية الحقيقية من المرض العقلي المعروف بجنون الهوس والإكتئاب، والتي تعتبر أنقى حالات الإكتئاب. وتتميز حالات الإكتئاب عموماً بوجود مجموعة من العوامل أهمها جودة الأشكال التي قدمها المفحوص. وقد تصل نسبة هذه الأشكال الجيدة إلى نسبة عالية جداً (من ٨٠ إلى ١٠٠٪)، كما أن التتابع يكون من النوع الجامد جداً. أما عدد الكليات فهو قليل، ويقع بين صفر و٣ استجابات. أما نمط الإدراك فيتميز بالضعف حيث تختفي الكليات أو تقل بدرجة ملحوظة، وغالباً ما يكون من النوع ج ـ مع استجابات أوليجوفرينية. ويكون المحتوى ضعيفاً وقليل التنوع. كما أن الاستجابات غير المألوفة قليلة. ويكون نمط الشخصية من النوع الضيق الذي يتميز بالنقص الواضح في عدد الاستجابات الحركية (صفر تقريبياً). كما تختفي تماماً الاستجابات

اللونية، ويكون معدل الاستجابات دون المتوسط. أما زمن الرجع فطويل، وتتناسب نسبة الشكل الجيد مع عدد الاستجابات الحركية تناسباً عكسياً. ويكون عدد الاستجابات جزء/ ن أكبر بكثير من عدد الاستجابات الإنسانية.

وفي حالات الإكتئاب الشديدة ترتفع نسبة الاستجابات الحيوانية إلى ما بين ٧٠ ـ ٩٠٪ ويكون عدد الاستجابات قريباً من المتوسط. ويطول زمن الرجع بشكل ظاهر، كما تقل عدد الاستجابات الإنسانية (ن) بشكل واضح فتقرب من الصفر، على حين يقدم المفحوص عدداً من الاستجابات الجزئية الإنسانية واستجابات الأشياء.

وقد أشار روشاخ إشارة عابرة إلى التكوين النفسي لحالات الإكتئاب فلاحظ أن من بين مرضاه من أعطى استجابة حركية واحدة أو أكثر، ولكن التقرير كان يخلو مع ذلك من أية استجابة لونية واحدة. ولكن روشاخ لم يذهب إلى أن جميع حالات الإكتئاب يجب أن تكون على هذا النحو.

وقد أشار «أوبرهولزر» أيضاً إلى خلو التقرير من الاستجابات اللونية في حالات الإكتئاب العصابي، كما أكد «تسوليجر» طول زمن الرجع وقلة عدد الاستجابات، وخلو التقرير من الاستجابات اللونية. وقد لاحظ جوردهام أيضاً تفضيل المريض للاستجابة إلى أجزاء المتوسطة من البطاقة وتوكيد ناحية التماثيل في الشكل.

ويذهب «جوردهام» أيضاً إلى أن السمة البارزة التي يمكن بواسطتها معرفة حالة الإكتئاب هي نمط الخبرة المكتنز Coarté.

ويلاحظ أيضاً أنه في حالات الإكتئاب الشديدة، كثيراً ما يعتبر المفحوص العمل الذي يقوم به ثقيلاً وشاقاً. ولذا يبدو عليه الامتعاض والضيق والتبرم أثناء تفسير البطاقات، وطوال فترة الإجراء والتحقيق. وقد يعبر المفحوص صراحة عن هذا الضيق على نحو ما هو واضح في حالات الملانخوليا التي تشكو باستمرار من عدم تحديد الصورة.

٤ ـ الفصام:

تتميز تقارير الفصاميين بمجموعة من الخصائص، ولكن ليس من الضروري أن تظهر جميعها في التقرير. فمن الملاحظ أن عدد الاستجابات يكون عادة متغيراً وإن كان في معظم الأحيان فوق المتوسط. ويقل زمن الرجع غالباً عند هذه الحالات، بل إن هذه سمة بارزة في كثير من الأحيان. وبسبب الإعاقة والسلبية. اللتين تتميز بهما حالات الفصام، يكثر رفض المفحوص للبطاقة وعدم الاستجابة لها، حتى بالنسبة لأبسط البطاقات كالبطاقة الخامسة مثلاً. وهناك شيء آخر يستلفت النظر ويدعو إلى التأمل وهو عدم ظهور الاستجابات المألوفة جداً كالخفاش (بالنسبة للبطاقة الخامسة). ولا يجدي التشجيع عادة إذا كان الرفض صادراً عن شخص فصامي يصعب عليه التغلب على ما لديه من عوامل الإعاقة.

أ ـ قد تكشف العوامل الشكلية عن فروق واضحة. فليس غريباً أن ينتقل المفحوص من الأشكال الجيدة البالغة الجودة إلى الأشكال الرديئة جداً. ومن هنا نجد أن نسبة الشكل الجيدة في تقارير الفصاميين منخفضة عادة. كما يخضع الإنتاج لذبذبات كبيرة حسب البطاقة التي يستجيب لها، وتظهر في التقارير استجابات أصيلة جيدة وأخرى رديئة وغريبة للغاية. ومن هنا تزداد النسبة المئوية للاستجابات الأصيلة عامة.

* يكون التتابع من النوع الطليق غير المتسق. وقد يكون منتظماً عند بعض الحالات.

* قد تكثر الاستجابات الكلية، ولكن معظمها من الشكل الرديء. غير أن هذه الزيادة لا تلاحظ في كل الحالات. ويمكن أن تظهر الاستجابات التي من النوع ك ج أو ك جـ وتكون عادة سيئة جداً بشكل يشير إلى ما لدى هذه الحالات من خلط عقلي واضطراب في التفكير.

ويسيل الفصامي إلى إعطاء استجابات جزئية دقيقة غريبة. وقد تكون في بعض الأحيان كثيرة وبشكل ملحوظ. أما الاستجابات الحركية فقليلة العدد. وقد

يحدث أحياناً أن تعطي بعض حالات الفصام التخشبي (الكتاتونيا) العدد العادي من الاستجابات الحركية، على حين تعطي بعض حالات البارانويا عدداً أكبر.

* تكون قيم اللون عند حالات الفصام من النوع الطليق، فتكثر عندهم الاستجابات اللونية الخالصة ل، والاستجابات التي غلب فيها عامل اللون على الشكل ل ش، على نحو ما هو الحال عند حالات العصاب. وقد ترتفع القيم المطلقة للاستجابات اللونية عند حالات الفصام الهيبوفريني، على حين تقل هذه القيم عن المتوسط عند حالات الفصام الكتانوني. وتنخفض بشكل ظاهر عند حالات. البارانويا. أما حالات الفصام البسيط فتكون القيم اللونية عندها منخفضة جداً (صفر غالباً). وقد تكثر التفسيرات الخاصة بالظلال الفاتح ـ الغامق والتي ترتبط بالقلق، كما يكثر عندهم الاستجابات التشريحية، وقد تصل إلى نسبة عالية جداً في بعض الحالات ومع ذلك فليست هذه سمة خاصة بحالات الفصام.

* يظهر في تقارير الفصاميين المداومة والاستمرار على إعطاء استجابات معينة وخُصوصاً في البطاقات الثلاث الأخيرة. ومعنى المداومة عدم القدرة على التعامل مع البيئة بشيء جديد، فيستمر الفرد على إعطاء الاستجابات السابقة. وقد يحدث أن ينقطع حبل المداومة في بطاقة أو اثنتين ليعود إلى الظهور مرة أخرى بعد ذلك. كأن يقول مثلاً فراشة بالنسبة (للبطاقة ٤) وفراشة بالنسبة (للبطاقة ٥)، فراشات ملتصقة ببعضها بالنسبة (للبطاقة ٧)، فراشة بالنسبة (للبطاقة ٨) كما نجد فراشات في (البطاقتين ٩، ١٠).

وقد جرت العادة أن يقسم الفصام إلى أربعة أنواع: الفصام البسيط، والهيوفرينيا والكتانونيا والبارانويا. وقد شخص روشاخ هذه الحالات المرضية الأربع ووضع لكل منها مجموعة من العوامل التي تعد مقبولة على وجه العموم. ولكن التمييز القاطع بينها ليس سهلاً سواء من الناحية الإكلينيكية أو اختبار روشاخ. فمن العسير أن نقيم حدوداً فاصلة بين حالات الهيبوفرينيا والكتاتونيا وسوف نعرض باختصار الصورة التي تعطيها كل حالة منها.

(أ) **حالة الفصام البسيط**: وتشير إلى حالة تدهور عقلي وإنفعالي. ويكون

نمط الشخصية من النوع الضيق المكتنز. ونسبة الشكل الجيد ضعيفة، بينما ترتفع نسبة الاستجابات الحيوانية. أما نمط الإدراك فضحل وفقير يخلو من النظرة الكلية. والتتابع غير منتظم. وتكثر عندهم أجزاء الإنسان بينما قد توجد الاستجابات الإنسانية الكاملة.

(ب) **حالات الهيبوفرينيا**: يكون نمط الشخصية من النوع المنبسط. وحالات الهيبوفرينيا من بين جميع حالات الفصام هي التي تعطي استجابات لونية مرتفعة القيمة جداً، وهذا يتفق وسرعة قابليتهم للتهيج الإنفعالي. وتكون نسبة الشكل الجيد عندهم ضعيفة، ونسبة الاستجابات الحيوانية مرتفعة، ونمط الإدراك من النوع الضحل (ج ـ جـ) وعدد الاستجابات غير المألوفة متوسطاً، ولكنها من النوع الردي، غالباً. وتشترك حالات الهيبوفرينيا مع جميع حالات الفصام في أن التتابع من النوع غير المنتظم.

(جـ) **حالات الكتاتونيا**: هذا النوع يشترك مع حالات الوساوس المتسلطة في التناقض الشديد والإنطوائية والنمطية. ولذا تكون هذه الحالات شديدة الإنطواء على نفسها. وهذا ما يكشف عنه نمط الشخصية كما ذهب إلى ذلك مونييه. أما نمط الإدراك فهو من النوع الكلي الخالص ك، حيث نجد حوالي عشر استجابات كلية. وتنخفض جداً نسبة الشكل الجيد على حين ترتفع نسبة الاستجابات الحيوانية ارتفاعاً كبيراً نظراً لما هم عليه من نمطية شديدة وجمود.

(د) **البارانويا**: نمط الشخصية هنا يكون من النوع المنطوي باستثناء تلك الحالات التي تميل إلى الشجار، فيكون نمط الشخصية عندهم من النوع المنبسط. وتكثر الاستجابات (ش ل) عند هذه الحالات وتتحسن نسبة الشكل الجيد عندهم، كما يظهر التحسن بشكل واضح في تقاريرهم. وتكون نسبة الاستجابات الحيوانية متوسطة. أما نمط الإدراك فيكون عادة من النوع (ك ـ ج) أو (ك ج جـ) مع ظهور استجابات (ك ج) أو (جـ) غريبة الشكل. وتشير الاستجابات الكلية الكثيرة العدد نسبياً إلى ميل حالات البارانويا إلى تنظيم أفكارهم الهذائية وهو تنظيم يظل على كل حال غير كامل في الحالات الفصامية الحقيقية

٥ ـ حالات الإصابة العضوية:

تختلف التقارير التي نحصل عليها من حالات الإصابة العضوية في المخ اختلافاً كبيراً تبعاً لمدى الإصابة وطبيعتها ومكانها. فالإصابات التي تصيب القشرة الدماغية تؤثر في بعض الوظائف العقلية مما يترتب عليه تغيرات ذات تأثير فعال. لقد قدم بعض الباحثين مجموعة من العوامل التي يمكن بواسطتها الكشف عن حالات الإصابة العضوية. ومن ذلك مثلاً.

مجموعة أوبرهولزر:

ازدياد زمن الرجع ـ نمط الشخصية من النوع المنبسط مع قدرة ضعيفة على التكيف الإنفعالي (أي رجحان كفة العوامل ل ش، ل). نسبة بسيطة من الشكل الجيد، نقص عدد الكليات الأولية الجيدة الشكل نتيجة عدم قدرة الفرد على التجريد، ولذلك يحل محلها كليات رديئة الشكل من النوع (ك ج) أو (ك) ـ نتيجة ارتباك الفرد. زيادة كبيرة في عدد الاستجابات الجزئية الدقيقة كتعبير عن ضيق الأفق النفسي وعدم القدرة على القيام بعملية التأليف والربط بين عناصر البطاقة. نقص عدد الاستجابات الجزئية الكبيرة (ج)، ارتفاع نسبة الاستجابات الحيوانية وكذلك زيادة نسبة الاستجابات الأصيلة والتي تكون من النوع الرديء جداً. قلة الاستجابات الحركية، والميل إلى المداومة على إعطاء نوع معين من الاستجابات، رفض الاستجابة.

وتتميز حالات الإصابة العضوية عن حالات الفصام بشدة الميل إلى النقد والشكوى وبذل أقصى الجهد في الاستجابة. ومن ثم يزداد الميل إلى النقد والمداومة أما حالات الفصام، فحتى مع وجود الرغبة في المشاركة، إلا أنهم لا يتصفون بالألفة.

وإلى جانب تلك المجموعة التي وضعها أوبرهولزر، هناك مجموعة أخرى ذات أهمية كبيرة في الكشف عن الحالات العضوية وهي مجموعة بتروفسكي. وتتكون مجموعة بتروفسكي من عشر علامات تشير إلى وجود الاضطراب

العضوي. ويرى أن وجود خمس منها يكفي لتشخيص الحالة. ويجدر بنا الإشارة إلى هذه العلامات التي وضعها بتروفسكي:

١ ـ عدد الاستجابات أقل من ١٥ استجابة.

٢ ـ طول زمن الرجع (أكثر من دقيقة لكل استجابة).

٣ ـ لا يوجد أكثر من استجابة حركية واحدة.

٤ ـ استجابة واحدة على الأقل من نوع «تسمية الألوان».

٥ ـ نسبة استجابات الشكل الجيد أقل من ٧٠٪.

٦ ـ الاستجابات المألوفة أقل من ٢٥٪.

٧ ـ المداومة والاستمرار على إعطاء استجابات من نوع واحد.

٨ ـ عجز الفرد عن تحسين مستوى الاستجابة، مع علمه أنها استجابة رديئة وغير صحيحة.

٩ ـ عدم ثقة الفرد في قدرته على الاستجابة. ولذا نجده يتطلب من الفاحص من حين لآخر التأييد لما يقدمه من استجابات. وكثيراً ما نسمعه بعد إعطاء الاستجابة «أليست صحيحة»؟.

١٠ ـ إعطاء الاستجابات بصورة آلية.

I ـ الاستمارة النفسية لدراسة الحالة

إن دراسة الحالة أداة قيمة تكشف لنا عن وقائع حياة الفرد ـ موضوع الدراسة ـ منذ ميلاده حتى مشكلته الراهنة. وهي تعتبر خطوة أساسية لجمع المعلومات عن «المفحوص» ومشكلاته.

أولاً: مصادر المعلومات:

نحصل على المعلومات بطريقة مباشرة من خلال المقابلة Interview مع المفحوص أو المريض، ومناقشته عن تصوره لطبيعة مشكلاته ولطبيعة الظروف التي يعيش فيها (مشاعره، رغباته، اتجاهاته، مواقفه، إحباطاته وأهدافه. . .).

هذه المعلومات تكشف لنا عن حياة الشخص ومواقفه كما يفهمها ويعيشها هو بنفسه.

١ ـ يمكن الحصول على المعلومات من مصادر أخرى مساعدة مثل: الأهل، الأقارب، الأصدقاء، المدرسين، الأطباء. . .

٢ ـ وقد نحصل على المعلومات عن طريق الاختبارات النفسية، من خلال تحليل نتائجها وتفسير دلالاتها لتحديد قدرات الفرد وتقييم سلوكه وأفعاله.

إن منهج دراسة الحالة يمكن أن يعطينا فهماً شاملاً عن حياة الفرد ومواقفه من الأحداث والخبرات التي مرّ بها. ولتحقيق ذلك، يتطلب الأمر تكامل المعلومات المستمدة من استجابات الفرد الراهنة، ومن خبراته السابقة، ومن نتائج الاختبارات.

ثانياً: مخطط دراسة الحالة:

دراسة الحالة هي دراسة فرد سويّ أو مريض. لذلك يجب علينا دراسة الحالة الفردية لفهم الإنسان من خلالها وللوصول إلى تصميم النتائج. وبناء على ذلك، فإننا نعتمد على التاريخ الشخصي للفرد.

١ ـ صفحة المعلومات الشخصية:

الاسم ..... العمر ..... الجنس ..... العنوان .....

المستوى العلمي (أو العمل) ..... المظهر العام (أنيق، مهمل)

الهوايات: مطالعة.. موسيقى، رياضة... سينما...

٢ ـ المشكلة:

أ ـ نوع المشكلة: خوف.. قلق.. خجل... يأس... شرود...

ب ـ بداية المشكلة ... تطورها ... خطورتها...

جـ ـ موقف المريض من المشكلة: مهتم... لا مبالاة... اتكالي... هل يعتمد على تشجيع الآخرين.. هل يكثر من تبرير سلوكه...

٣ ـ الوضع الاجتماعي:

إن الحصول على معلومات عن العائلة من شأنها أن تلقي الضوء على العوامل المؤثرة في الفرد اجتماعياً.

أ ـ الوضع الاجتماعي والاقتصادي... ب ـ عدد الأخوة...

جـ ـ جو المنزل: نزاع، توافق، انحرافات...

د ـ نمط التنشئة: تدليل، إهمال، قمع، لا مبالاة...

هـ ـ التربية الدينية والخلقية: تزمت ـ انفتاح...

و ـ أحداث هامة في الأسرة: سفر، طلاق، مشكلات اقتصادية، اجتماعية...

٤ ـ الوضع المدرسي:

أ ـ الدخول إلى المدرسة ... الاستجابة... درجة التحصيل...

ب ـ نشاطه: مشارك، منعزل... المواد المفضلة...

جـ ـ المشاكل السلوكية: هادئ.. مشاغب... محبوب... مكروه...

٥ ـ التاريخ الجنسي:

أ ـ الحياة الجنسية: متى اكتشف الهوية الجنسية... كيف اكتسب أول معرفة جنسية... هل مر بمشهد مع الوالدين... رد الفعل... هل هناك علاقات جنسية (غرامية).. مدى هذه العلاقة...

ب ـ الوسيلة المفضلة للإشباع: عادي.. استمناء... جنسية مثلية...

جـ ـ اضطرابات جنسية نفسية: سادية... مازوشية... برود جنسي...

٦ ـ الوضع الصحي (الطبي):

أ ـ هل هناك أمراض وراثية في العائلة... نوع المرض...

ب ـ هل توجد اضطرابات عقلية...

جـ ـ هل هناك عاهات في الأسرة... ما هي...

٧ ـ الوضع العاطفي والعلائقي:

أ ـ نمط التفاعل والعلاقات الأساسية: نمط مجابهة العالم..

ب ـ أهمية العلاقة العاطفية... مهمة، حارة، باردة...

٨ ـ الحياة اللاواعية ودينامياتها:

أ ـ أنماط الدفاع الأساسية: الكبت... النكوص... الإسقاط... التماهي... التبريد... التسامي... التعويض...

ب ـ حالة القلق الكامنة... جـ ـ مشاعر الذنب...

د ـ حالة النزوات: دافعة، محرضة، عادية. . .

٩ ـ نتائج المقابلة ـ الاختبارات:

أ ـ ملخص تبيّن فيه: القدرات، النشاط العقلي. . .

ب ـ الحالة الانفعالية. . . الصراعات: أنواعها، مداها. . .

جـ ـ تأثير الصراعات على السلوك الشخصي. . .

١٠ ـ الاستنتاج العام (تشخيص الحالة):

تشخيص دينامي مختصر وتقييم لأثر المشكلة. . . ومحاولة استبار مستقبل هذه المشكلة. . . التوجهات ذات الطابع العلاجي والإرشادي. . .

II ـ منهجية البحث السيكولوجي

أولاً: مقدمة البحث ومشكلته:

تقديم عام... ثم طرح مشكلة الدراسة، مثلاً: هل هناك مشكلات يعاني منها الشباب من خلال التحليل الكيفي لقصصهم على بطاقات اختبار تفهم الموضوع (T.A.T)؟

هل تعكس هذه المشكلات خصائص معينة يختص بها الشباب الذي يعاني منها؟ هل ترتبط هذه المشكلات بقيم اجتماعية وثقافية معينة؟ ما هي الدلالات الإكلينيكية لبعض الحالات التي تعاني من الاضطراب النفسي كما يقيسها اختبار تفهم الموضوع؟

ثانياً: أهمية البحث وأهدافه:

يهدف البحث إلى جانب الكشف عن المشكلات بطريقة إسقاطية، يهدف إلى معرفة الأسباب وإبرازها لوضع الخطط اللازمة للقضاء عليها؛ الوقوف على تشخيص الاضطرابات النفسية مما يساعد في مهمة العلاج.

تسعى الدراسة لتحقيق الأهداف التالية:

التعرف على دينامية الشخصية وبنائها النفسي لدى بعض الحالات التي تعاني من الاضطراب النفسي باستخدام اختبار تفهم الموضوع.

ثالثاً: تساؤلات البحث:

- هل يصلح اختبار تفهم الموضوع الإسقاطي في الكشف عن مشكلات الشباب؟ (أو في الكشف عن الاضطراب النفسي؟).
- ما طبيعة هذه المشكلات التي تسفر عن تحليل قصص اختبار تفهم الموضوع؟
- هل ترتبط هذه المشكلات ببعض خصائص الشخصية؟
- هل ترتبط هذه المشكلات بقيم اجتماعية وثقافية معينة؟

رابعاً: الدراسة الميدانية:

١ ـ عينة الدراسة:

تتكون عينة الدراسة من (...) أشخاص.. ذكور ـ إناث.

تعطى بيانات عن كل شخص من حيث السن، الحالة الدراسية والحالة الاجتماعية.

٢ ـ أداة الدراسة:

اخترنا ـ مثلاً ـ اختبار تفهم الموضوع الإسقاطي؛ وقد ثبتت قدرة هذا الاختبار في الكشف عن القيم والاتجاهات ومفاهيم الذات وخصائص الشخصية... إلى جانب قدرته في الكشف عن محتويات اللاشعور بما يتضمن من دوافع ونزوات ورغبات ومشاعر وانفعالات...

البطاقات المختارة (.....)، لأنها تهدف إلى الكشف ـ مثلاً ـ عن المشاكل العاطفية، والأسرية، أو أنها تهدف إلى الكشف عن طبيعة علاقة الرجل بالمرأة في مواقف الزواج، أو الصحبة، أو الصداقة...

كما تكشف عن طبيعة العلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج وما يترتب عليها من صعاب ومشاكل نفسية واجتماعية... وتهدف أيضاً إلى الكشف عن صعوبة مواقف الوداع وسعادة اللقاء، أو مواقف الانتظار وهكذا...

٣ ـ نتائج تحليل القصص والتعليق عليها:

لقد استطاعت قصص المفحوص أو المبحوث أن تعكس مشكلات عامة وخاصة، فقد أثارت قصة على البطاقة رقم (. . .) مشكلة. . . وهكذا بالنسبة لبقية البطاقات.

لقد استطاع اختبار تفهم الموضوع أن يكشف الكثير من المشكلات الاجتماعية والثقافية والجنسية والنفسية التي يعاني منها (الشباب)، كما أسقطها الباحثون على بطاقات الاختبار.

أسفر تحليل القصص عن وجود مشكلات نوعية خاصة بكل فرد، وقد ارتبطت هذه المشكلات بخصائص شخصية متباينة، كما كشفت عن القيم السائدة في المجتمع والتي تحرك هذه المشكلات. . .

III ـ دراسة حالة

تشخيص بعض حالات الاضطراب النفسي
ودلالاتها الإكلينيكية من خلال اختبار T.A.T

* مما لا شك فيه أن الأسرة هي الإطار الأول (مؤسسة) الذي يشكل شخصية الأبناء، ويساعد على نموهم النفسي والانفعالي، وذلك من خلال طبيعة وديناميات العلاقات الاجتماعية (الأسرية) التي تربط الآباء بالأبناء، والتي تنبثق من وعي الأهل بمطالب أبنائهم واحتياجاتهم المختلفة، فحاجة الطفل لوالديه لا تقتصر على إشباع الحاجات الفيزيولوجية فحسب، بل إن حاجته الماسة إليهما لما يوفران له من استقرار نفسي واتزان انفعالي.

يتضح من ذلك أن الأسرة هي صمام الأمان الذي يحمي أبناءها من الاضطرابات النفسية أو قد تكون مسؤولة عما يعتريهم من مشكلات نفسية مختلفة.

* ما هي الدلالات النفسية لبعض الحالات التي تعاني من الاضطراب النفسي كما يقيسها اختبار تفهم الموضوع (T.A.T)؟

* هل يمكن التعرف على ديناميات الشخصية وبنائها النفسي لدى بعض الحالات التي تعاني من الاضطراب النفسي باستخدام اختبار تفهم الموضوع؟

* لقد تم دراسة حالتين (كل منها منفرداً) مع تطبيق (١٢) بطاقة فقط من اختبار

تفهم الموضوع وهي البطاقات التي يمكن أن تكشف أكثر عن الدوافع والانفعالات وأنواع الصراعات الموجودة وخصوصاً النزعات المكبوتة التي لا يرغب المفحوص في الكشف عنها، أو النزعات المكبوتة التي لا يكون واعياً بها.

والبطاقات التي اختيرت هي:

(13MF - 17GF - 18GF - 2 - 3GF - 4 - 5 - 6GF - 7GF - 8GF - 9GF - 12F).

وفيما يلي عرض الحالتين:

الحالة الأولى:

فتاة في السنة الرابعة قسم لغة عربية وهي في الخامسة والعشرين من عمرها، غير متزوجة وترتيبها الخامس بين أخواتها، ضعيفة في تحصيلها الدراسي ودائمة الرسوب «متأخرة دراسياً» ولديها ست أخوات. تزوج والدها من زوجة ثانية بعد أن انفصل عن والدتها وعمر الحالة (٤ سنوات) وقد تزوجت أمها من رجل آخر وعانت الحالة بسبب ذلك كثيراً من شدة وقسوة والدها وزوجته حتى المرحلة الإعدادية، حيث انتقلت للسكن مع أخيها، وقاست حرماناً شديداً من عطف وحب والديها، وكانت تنتابها في صغرها تشنجات عصبية، وتميل الحالة للخضوع.

البطاقة رقم (2):

«بنت معها شنطة أو كتاب أو... ماذا؟ ثم فترة تفكير طويلة... هذه شكلها كأن لديها عمل، والثانية مهمومة وتفكر في الأشياء وتريد حلاً، وهذه بيوت أو جبال والفتاة تنظر لمستقبلها وطموحها. والغرض الذي رسمته لنفسها، وهذا مشغول بالحصان (قالتها بعد عدم رؤية)، تنوي الوصول إلى هدفها وتكسر الحواجز وتحقق طموحها وهذه مشكلتها مع أنها بسيطة ولكن لم تستطع».

التفسير:

تعكس الحالة إحساسها بالعجز في مواجهة المشاكل، وتصور انفصال العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة بانشغال كل فرد بنفسه ومشاكله، ثم تصور عدم انتمائها للأسرة بقولها «مشكلتها ما قدرت تحلها»، ومن ذلك يتضح اضطراب العلاقات الاجتماعية بينهم. كما يتضح مدى معاناة الحالة من الشعور بالعجز وعدم القدرة على تحقيق أهدافها وعدم قدرتها على التوافق السوي النفسي والاجتماعي مما يدل على عدم تكامل الأنا لديها. ويتضح كذلك تردد الحالة وحيرتها، وعدم قدرتها على حل مشكلاتها حتى لو كانت بسيطة، وهذا مما يزيدها إحساساً بالعجز، وعدم قدرتها على مواجهة الصعوبات والمطالب التي تفرضها عليها أسرتها مما جعلها تلجأ إلى الميكانيزمات الدفاعية.

البطاقة رقم (3GF):

«واحدة تبكي ويدها ممسكة بالباب وتستند عليه، ويدها الثانية على وجهها وتحاول أن تنظر ما في قلبها من بكاء (ثم ضحكت الحالة وحاولت الإنهاء) ثم قالت: أكيد تبكي: همّ ويأس من حياتها لم تلقَ إلا البكاء لأنها ضعيفة، تفكر أن البكاء يغسل همومها مع أنه هناك أشياء كثيرة مثلاً ترسم الخطة التي تريدها وتوصلها وهي يائسة وضعيفة ولم تجد حلاً».

التفسير النفسي:

تظهر الحالة شعورها باليأس والهمّ، وهروبها في مواجهة مشكلاتها بطريقة سوية لإحساسها بالعجز. والحالة تعلم أن هناك وسائل سوية تساعدها على تحقيق أهدافها وهذا مما يزيد إحساسها بالعجز والضعف. ويتضح ميل الحالة للنكوص والارتداد للمراحل الطفولية الأولى حيث عدم الثبات الانفعالي، والانهيار أمام المشكلات، كما يتضح فقدان التواصل الاجتماعي والاضطراب في علاقتها بالآخرين.

البطاقة رقم (4):

«هذه صورة امرأة ورجل يبعد عنها وهي تريد أن يقترب منها، هي غير شاعرة بحنانه وتحاول جذبه إليها بطريقتها، واضعة يدها على كتفه، تحاول أن تلفت نظره، وهو بعيد عنها غير مرتاح منها. والرجل ما دام يبعد زوجته ولا يحس بها فلا فائدة، والمرأة عندها أحاسيس حتى لو كانت عواطفها جامدة، رجل أحبها حتى لو لم تحبه أكيد ستحبه، ولكن هو عاطفته قاسية وبنيتها تتركه ما دام هذا حاله».

التفسير:

أثارت هذه البطاقة مشاعر وانفعالات قوية لدى الحالة وأظهرت اضطرابات ودفاعات فهي تكشف عن الصراع الذي تعاني منه نتيجة لتصدع العلاقات الزوجية بين والديها وتظهر توحدها مع شخصية المرأة المحرومة من حنان زوجها، وتسقط الحالة على الزوج صفات سلبية من تبلد الوجدان وعدم الاهتمام، وتظهر المرأة (الزوجة) بصورة المحبة العطوفة وتخفي الحالة نوازع عدائية نحو الوالد، نتيجة للقسوة الشديدة التي لاقتها منه أثناء إقامتها معه وحرمانها وهي صغيرة من حنان أمها.

البطاقة رقم (5):

«هذه امرأة وباقة ورد، يعني تحاول أن تفتح الباب، ترى الأشياء جاهزة، (هذه الصورة ليس فيها شيء) وهي تنظر على المائدة وتنوي أن تكملها ليس عندها مستقبل، عجوز وتفكر في الماضي أكثر، ولا يهمها مستقبلها».

التفسير:

تكشف الحالة عن اتجاهها نحو ذاتها، وتصور العجز واليأس الذي يملأ نفسها كما تستخدم ميكانيزم الإنكار، فترفض الواقع الذي تعيشه، وهو (المستقبل) عقلياً وانفعالياً وتحصر نفسها في التفكير في الماضي الذي تنتمي إليه عاطفياً

ووجدانياً. وتتماهى شخصية المرأة وتصفها بأنها عجوز ليس عندها مستقبل، وإنما هي تعكس ما بداخلها من الإحساس باليأس وفقدان الهدف واللامبالاة.

البطاقة رقم (6GF):

«هذه شابة تنظر إلى رجل كبير، يعني ما هذا؟ هل هو؟ لا أدري؟ نظراتها رومانسية. وهو مع أنه كبير لكن ينظر إليها، وتقول له هل أنت تحس بالذنب؟ وهي تفكر أنه أغضبها، هل ضميره يؤنبه من أجل ذنبه؟ وهو أيضاً عاطفي يحس بذنبه من نظراته إليها وينوي مصالحتها، والمهم هو أغضبها وهي غاضبة من هذا الشيء، وتنوي إذا صالحني وطيّب خاطري أغفر له وإذا لم يحس فلن أغفر، وهو سوف يتسامح».

التفسير:

تتماهى الحالة شخصية الفتاة الشابة الواقعة في صراع مع والدها، وتصور اضطراب علاقة الحب بينهما وتضع نموذجاً للأب بأنه ظالم يرضخ تحت وطأة الشعور بالذنب. وتتضح حيرة الحالة وعجزها في تساؤلاتها العديدة، والتي قد تكون دفاعات لصد الاضطرابات التي أثارتها هذه البطاقة، وتبدو اتجاهات الحالة نحو والدها بشكل متناقض، فتارة تظهره بأنه عديم الإحساس متبلّد العواطف كما في البطاقة (4)، وأخرى تصفه بأنه يحس بذنبه وضميره يؤنبه. وتظهر دفاعات الحالة في إنكار الواقع والهروب منه إلى عالم الخيال حيث تتصور والدها على قيد الحياة وأنه سوف يصالحها ويطيّب خاطرها ويتسامح معها.

البطاقة رقم (7GF):

«هذه أم وابنتها بجانبها، والبنت طفلة تفكر بعيداً يعني أمها بجانبها لكنها لا تحس بها، والبنت لا تحس بحنان أمها، والأم تحس فقط بأنه ليس بيدها شيء وأكيد سوف تتقرب من ابنتها يعني أنها تحس بها فعلاً لكنها لا تستطيع فعل شيء، والبنت تحب أمها كثيراً، والأم تغدق الحنان عليها، والبنت متضايقة لأنها بعيدة عنها، وبعد ذلك تغير الوضع وصارت تحس وتهتم بها».

التفسير :

تصور الحالة اتجاهاتها الإيجابية نحو والدتها، وتعبر عن الحرمان الشديد من حاجة أساسية وهي الحاجة لحب الوالدين، وذلك نتيجة لابتعادها عن والدتها وهي في الرابعة من عمرها، وتتضح الميكانيزم الدفاعية التي تخفف بها الحالة من اضطراباتها وقلقها في صورة النكوص والتثبيت على مرحلة الطفولة الأولى (البنت طفلة) حيث التعلق الشديد بالأم، والاعتمادية وعدم القدرة على الاستقلال. ثم التبرير الذي تنتحل به الأعذار لابتعاد والدتها عنها، وعدم الإحساس بها، بأنه ليس بيدها شيء.

وأخيراً كعادة الحالة في إنهاء كل مشكلة (قصة) بأن تركن للخيال وتهرب من الواقع بأنها سوف تقرب منها، وتحس وتهتم بها.

البطاقة رقم (8GF):

«هذه سيدة تفكر واضعة يدها على وجهها مهمومة وتحس أنها وحيدة لا أحد يهتم بها، ولا مسؤول عنها، ضائعة، وتريد أن يحس بها أحد ويراعيها لأنها تحس بتعب نفسي، وتنوي أن تغير وضعها وتخرج من الوحدة وتكوّن صداقات حتى يحسوا بها ويعيروها اهتماماً، وتكون لها قيمة وتثبت نفسها للناس».

التفسير :

صراعات واضطرابات عديدة تعاني منها الحالة، أظهرتها هذه البطاقة مثل الشعور بالاغتراب نتيجة لعدم الانتماء لأفراد أسرتها أو حتى زميلاتها، والإحساس بالضياع وقد سبق أن تماهت الحالة في البطاقة رقم (4) شخصية المرأة العجوز التي ليس لديها مستقبل، والشعور بالوحدة، ويظهر افتقار الحالة لحاجات نفسية عديد منها حاجتها إلى الانتماء للآخرين وحاجتها للحب، وحاجتها للشعور بالأمن. وتسقط الحالة ما بداخلها من صراع نفسي بقولها (نفسيتها تعبانة).

وتلجأ الحالة إلى تخفيف قلقها ومتاعبها النفسية بميكانيزم دفاعي تتخيل في

قدرتها على الاختلاط بالآخرين وخروجها من الوحدة وتكوين صداقات. وذلك حتى ترد اعتبارها لذاتها، وحتى تواجه الصراعات والإحباطات التي تعاني منها.

البطاقة رقم (9GF):

«أرى هذه هاربة، والثانية نظراتها عليها مثل الأولى، متهورة وتبعد عن القيد الذي تعيش فيه والأولى كأنها في الخارج، والثانية تنظر باتجاهها وتناديها ولكن الأولى لا تنصت لها ولا تنظر إليها، وهذه أختها تسرع في مشيتها تحاول أن تلحق بها لأنها متهورة تهرب من البيت وفي النهاية تلحقها وترجعها لصوابها».

التفسير:

توضح الحالة نمط العلاقة بأختها، وتظهر اتجاهها نحو ذاتها، ومفهومها عن نفسها، ورغبتها في مواجهة العدوان الموجه لها من البيئة بالتمرد والعصيان والتهور كما يتضح الصراع بين الرغبة اللاشعورية المكبوتة لدى الحالة في الهروب من البيت والتخلص من القيد الذي يحيط بها وبين مطالب الواقع الذي تعيشه والتي لا تتحملها، وأخيراً يظهر خضوع الحالة واستسلامها وعدم قدرتها على مواجهة مشكلاتها في مستوى السلوك بمفردها.

البطاقة رقم (12F):

«هذه امرأة كبيرة، وهذه شابة، والأولى تحاول بعيونها شرسة وعجوز وتحاول تدبر مكيدة لها، وهذه الشابة تفكر وتحس أنها تدبر لها مكيدة وتفكر ما الذي تدبره لي يا ترى؟ والصغيرة لا تعطيها الفرصة ولا تجعلها تتمادى في غلطتها. والعجوز لا تستطيع أن تصل لهدفها الشرير الذي رسمته تجاه الشابة، وفي النهاية أكيد الشابة بتفكيرها ونضجها تتغلب على العجوز وتبعد عن قيدها وخططها الشريرة».

التفسير:

توضح هذه البطاقة الصراع بين الحالة وزوجة أبيها، واضطراب العلاقة

بينهما، وتتماهى الحالة شخصية الفتاة الشابة وتتوحد معها، وتسقط صفات الخبث والشر والكيد على زوجة أبيها وتصفها بأنها عجوز تسعى من أجل تدبير المكائد والشر لها. وتعكس الحالة مخاوفها وشكوكها التي منعتها من التوافق السوي مع الآخرين، وللتخلص من التوتر النفسي تضع الحالة آمالاً تحل بها مشكلاتها لعجزها عن حلها في الواقع.

البطاقة رقم (13MF):

«ما هذا؟ (ثم تضحك الحالة) وتقول لا أدري؟ ثم تقول: هذه امرأة نائمة على ظهرها وهذا رجل، وهذه زوجته تعبة وفي حالة خطرة جداً (في حالة احتضار) وهو واضع يده على وجهه يبكي على حالتها وينوي أن يساعدها، يحاول أن يقيمها، يسندها ويفكر أن يجلب طبيباً، لكن لا يجلس ولا ينظر إليها لأنه يحبها لأنها زوجته».

التفسير:

تلجأ الحالة إلى ميكانيزم التكوين العكسي حيث تخفي دوافعها المكفوفة، وتحول المنبهات الجنسية إلى مصدر للحماية وتعكس الحالة ما بداخلها من صراع واضطرابات وإحباطات نفسية وتتماهى شخصية المرأة التي في موضع الاحتضار. وكعادة الحالة في تخليص نفسها من القلق والاضطراب النفسي تلجأ إلى مستوى الخيال وتعتمد على الآخرين في حل مشاكلها (يحاول يقومها، يسندها لأنها زوجته).

البطاقة رقم (17DF):

«ليس فيها شيء أبداً.. ما هذا؟ هذا جسد لا أعرف؟ هذه أضواء وهذه حاا كلها مفرحة، وكأنها مطربة على مسرح وفيه صخب وفلاش وأنوار، وهي مطر تحاول أن تغني في المسرح، تفكر أن تسعد الحاضرين».

التفسير:

ترتبط هذه البطاقة بالبطاقة السابقة حيث تعبر عن الدوافع المكبوتة التي تخفيها الحالة، عن طريق التكوين العكسي، حيث تحول منبهات القلق إلى مصدر لإسعاد الآخرين، وتتوحد الحالة مع المرأة التي في البطاقة، وتلجأ لأحلام اليقظة للهروب من الواقع المؤلم إلى عالم من صنعها تجد فيه راحة.

البطاقة رقم (18DF):

«امرأة كبيرة تمسك ابنتها وتحضنها، وهي حزينة عليها، وكأن لها فترة طويلة لم ترَ ابنتها، وتضع يدها على شعرها محاولة أن تنسيها المآسي وتحاول أن تجلس معها أطول فترة ممكنة لكي تعوضها عن الحرمان، وفي النهاية الوضع يكون طبيعياً وتجلس معها».

التفسير:

تظهر الحالة حاجتها إلى مساعدة الآخرين حتى تخرج من محنتها وهذا يعكس البناء النفسي الضعيف للحالة حيث لا تستطيع الاستقلال عن الآخرين وبالتالي تكشف عن حاجتها إلى الحب والأمن، والانتماء، وهي الأشياء التي حرمت منها الحالة وهي صغيرة. ولما كانت معطيات هذه البطاقة تثير لدى الحالة صراعات ومشاعر مؤلمة، فإن الحالة تميل إلى إزالة التوتر والاضطراب وإحداث نوع من التوازن والراحة وذلك من خلال النهاية السعيدة التي تحلم بها وتكتفي بها على مستوى الخيال دون مستوى السلوك.

*** التعقيب على الحالة الأولى:**

من خلال المقابلة الشخصية للحالة، ومن خلال استجابتها على اختبار تفهم الموضوع اتضح لنا ما يلي: كشفت عن البناء النفسي للحالة والذي يتسم بالعجز عن تحقيق الأهداف في إطار الواقع والاكتفاء بالتعبير عنها في الخيال.

كما كشفت عن افتقارها إلى إشباع بعض الحاجات النفسية الهامة مثل

الحاجة للحب وللأمن والانتماء والسند نتيجة افتقارها للترابط الأسري والجو النفسي السليم.

وبرز شعور الحالة بالاغتراب، والضيق، والعجز، واضطراب العلاقات الاجتماعية وكذلك ظهر ميلها إلى الخضوع والاستسلام والانطواء والتفكير في الماضي وانعدام الطموح والتطلع للمستقبل مما أدى إلى انخفاض مستواها التحصيلي. واتضح هروبها من مواجهة مشكلاتها بطريقة سوية واستخدامها للميكانيزمات الدفاعية حتى تتخفف من مشاعر الضيق والتوتر والقلق بتقديرها لذاتها.

ولم تخف المعاناة النفسية المريرة التي تعيشها الحالة، والصراعات والإحباطات التي جعلتها تميل إلى النكوص والرجوع إلى المراحل الطفولية الأولى، والتثبت على الحاجة إلى حنان الأم.

الحالة الثانية:

في السنة الرابعة في كلية الطب، مجتهدة طموحة، ترتيبها الثانية بين أخواتها الأربع وكلهن إناث، تزوجت الحالة وعمرها ١٨ سنة بناء على رغبة والدتها من رجل أكبر منها بـ ٨ سنوات يحاول إرضاءها بشتى الوسائل، وكانت الحالة رافضة لهذا الزوج لأنه ليس وسيماً. ولكنها بدأت تتقبله إلى حد ما، ولديها منه ولد عمره ٤ سنوات تتركه دائماً في رعاية والدها وأخواتها.

نشأت الحالة بين أب خليجي تعليمه جامعي وموظف في المطار هادئ غير حازم يعطي مطلق الحرية لبناته بدون توجيه ويسمح لهن بالسفر بمفردهن، وهو يفضل ابنته الثالثة كثيراً. وأم مصرية، كانت تعمل ممرضة، وتميل إلى تفضيل بناتها الصغار.

ومن وجهة نظر الحالة فإن أمها شديدة القسوة على بناتها مسيطرة دائماً تعاقب (الحالة) لأنها تشبه بنت خالتها في سوء تصرفاتها ولا تظهر ميلاً نحوها بل دائماً تتهمها بأنها سبب في إصابتها بمرض السكر ولذا فإن الحالة تميل لوالدها أكثر وتشعر بكراهية نحو والدتها.

وقد ظلت الحالة مع أختها الكبرى في القاهرة حتى السنة الثالثة في المرحلة الابتدائية وكانت تحضر «للسعودية» في الإجازات فقط لرؤية والدتها. وقد امتازت شخصية الحالة بالمرح وعاشت طفولة هادئة كما تذكر، ولكنها تعاني كأخواتها من أزمات عصبية قضم الأظافر، والحالة تميل إلى اتباع هوى النفس وتضع الملامة على تقصير الأهل في توجيهها.

البطاقة الثانية (2):

«الأب يعمل مزارع، ويبذل جهداً من أجل أن يعلم ابنته، والأم حامل وتعبة تقاسي وتعيش عذاب الأب، والبنت فيها حب للدراسة وترى الجهد الذي يبذله الأب تنظر عليه بعطف وتحس بالألم الذي فيه، والبنت هدفها ـ ورغم فقرهم ـ أن تتعلم من أجل أن تعوض عليهم عندما تكبر، وهي تريد أن تصل لأعلى درجة في التعليم بالرغم من إحساسها بثقلها على أهلها».

التفسير:

تتماهى الحالة شخصية الفتاة الموجودة في الصورة، وترغب في تحقيق الطموح العلمي وتعكس الحالة اتجاهاتها نحو والديها، وتصور الترابط الأسري بينهم وإحساس كل منهم بالآخر، ويظهر حب الحالة وميلها لوالدها وإحساسها به، وتوضح الحالة مستوى طموحها الذي يدفعها لأعلى، وما هي إلا عملية تعويض لتحقق ذاتها في مجال التعليم وتشعر الحالة بالذنب وما هو إلا عدوان موجه نحو الذات كما يتضح شعور الحالة بالذنب من إرهاق أهلها معها في سبيل تحقيق أهدافها العلمية.

البطاقة رقم (3GF):

«فتاة تبكي من قسوة أهلها، والبكاء وسيلة للراحة، ليس بيدها شيء والبكاء وسيلة للهروب، وتفكر إذا كانت المشكلة صعبة ستهرب أو تتخلص من نفسها، وممكن أن تكون مندمجة في موقف تريد أن تعيشه، مثلاً تتخيل نفسها ممثلة، أو

موقف يحتاج بكاء لو مات أحد كيف تبكي، تجلس وتنتظر لترى ما يجري، ممكن أن تتحسن الأمور أو تقرأ في القرآن يريحها وتنام».

التفسير:

أثارت هذه البطاقة اضطرابات عديدة لدى الحالة جعلتها تصوغ عدداً من القصص وكلها تتفق في دلالاتها الدينامية، وقد لجأت الحالة إلى دفاعات عديدة لتخلص نفسها من الصراع، والقلق، فقد عبرت عن عجزها باللجوء إلى النوم والاستسلام أو التسويف في حل المشاكل، ولكن بررت ذلك بقولها «ليس بيدها شيء» وأظهرت شعورها بالاغتراب ورغبتها في الانفصال عن هذا العالم إلى عالم آخر «تهرب أو تتخلص من نفسها» كما اتضح اندماج الحالة في عالم الخيال «تتخيل نفسها ممثلة» وكذلك ميل الحالة إلى الأساليب الطفولية الأولى (البكاء) كعملية نكوص في مواجهة المشكلات عند عجزها في تحقيق أهدافها ولجوئها إلى الحيل اللاشعورية.

كما اتضح عدم قدرتها على معايشة المواقف الاجتماعية بطريقة طبيعية سوية مما يجعلها تتكلف السلوك المرغوب اجتماعياً حتى تخفي نوازع العداء «لو مات أحد كيف تبكي» ثم وضعت الحالة عدداً من الحلول تظهر بها عقلانيتها بعد أن كشفت لا شعورياً عن مشاعرها المشبوهة بالعدوان نحو الذات.

البطاقة رقم (4):

«فتاة تريد رجلاً وتسعى لتتزوجه، وترغب به، وهو لا يعطيها أهمية، وممكن أن يكونا على علاقة ببعضهما وعرف عنها أشياء ويريد أن يتركها، وهي تحاول توضيح موقفها لأنها تحبه جداً وهو متشبث برأيه، والله إن كان يحبها وهذه حركة من أجل أن يختبرها يمكن أن يرجع لها، وإن كان يتسلى بها انتهزها فرصة عندما عرف عنها هذا الشيء ليتركها. وفي الصورة فتاة حقودة قد تكون وقّعت بينهم بحكاية ملفقة شوهت سمعتها من أجل أن تأخذه لها وكرّهته بها (الحب بيموت على طول)».

التفسير:

تتفحص الحالة صورة الفتاة الموجودة في الصورة وتعكس الحالة اضطراب في علاقتها الزوجية كما تعكس مشاعر القلق والمخاوف من الانفصال عن زوجها التي أصبحت تهدد حياتها. كما تسقط الحالة مشاعر الحقد والكراهية والسوء على الأخريات لعدوان موجه نحو الآخرين، وتظهر شعورها باليأس والإحباط (الحب بيموت على طول)، ومن الحاجات الواضحة والصريحة الجنس مع إظهار تفاعلات خاصة بالترميز (رغبة، حب).

البطاقة رقم (5):

«أم تطمئن على ابنها أو ابنتها، هل نام أم لا؟ ماذا يفعلون في الدراسة؟ هل يدرسون أو يلعبون؟ وعملية مراقبة للأشياء سترتاح لو كانوا يدرسون، وتنصحهم، قد تكون تسألهم إذا كانوا يريدون مساعدة، والحجرة مرتبة تهتم بالجو المحيط بأولادها، وأرى مزهرية ورد طبيعي تنقي الجو، منظر جميل يدفعهم للمذاكرة أكثر، وفيه أباجورة البنت تدرس، الأباجورة توفر إضاءة جيدة، ويمكن أن تكون الأم واقعة في مشكلة تريد أن تفتح موضوعاً، ولكن عينيها ليس فيها حنان وعطف».

التفسير:

تلجأ الحالة إلى الهروب والسلبية في مواجهة المشاكل، كما تعكس الحالة اتجاهاتها نحو والدتها وطبيعة علاقتها بها وتظهر نمط شخصية والدتها مسيطرة، وتظهر رغبتها في تعديل وتغيير سلوكها. وتشير قصتها إلى حياة أسرة مفككة وعلاقات ضعيفة، ومحاولاتها أن تلمس العاطفة والحب.

البطاقة رقم (6):

«زوج يبدو أنه سمع شيئاً عن زوجته وعينيه كلها شر، ويبدو أنها بريئة، ونظرات استغراب مفاجئة منها، تحاول أن تقول له أن الكلام غير صادق قد يكون

يستفزها، أو يلفق الكلام من عنده ليرى ردة فعلها، ويشرب سيجارة لا مبالاة، وشكله لا يحبها لأنه يستخدم أسلوب التهديد والزعيق ولا يتفاهم معها، ويبدو لبسها محتشماً، وهو يعاندها وفي نفس الوقت متمسك بها. وهو شارد وهي مرتخية، ويبدو عليه أنه سيء، ويفكر أن كل النساء هكذا ويمكن أن تكون امرأته مثلهم، ويمكن في المستقبل أن تغيّر من طباعه وإذا لم تستطع يتركوا بعضهم أفضل».

التفسير:

هذه البطاقة تؤكد ما ظهر في البطاقة رقم (4) وتعكس شدة اضطرابات العلاقات الزوجية وانعدام الثقة بينهما. وتسقط على زوجها صفات الغلظة والقسوة والشدة واللامبالاة وعدم التفاهم والأسلوب الاستفزازي الذي يتبعه معها. وتتقمص الحالة الصفات المرغوبة اجتماعياً من احتشام وبراءة واسترخاء، وتحاول تخفيض التوتر والقلق لديها فتتخيل قدرتها على تعديل سلوكه في المستقبل، وإلا ستنتهي المشكلة بحل حازم وهو الانفصال.

البطاقة رقم (7FG):

«أم وابنتها (البنت ممكن أن تكون حاملة لعبة أو ابنها)، والبنت تشعر بمأساة تتألم في حياتها، أو يوجد مشاكل. وهي صغيرة ووالدة في نفس الوقت ولا تستطيع تحمل المسؤولية، والبنت تحكي لأمها عن مشاكلها وهمومها ممكن أن تلاقي صدر حنون ترتاح لكلامها. والأم تنصح ابنتها كيف تتعامل مع زوجها وابنها، وممكن أن يكون تقدم لها عريس وتحاول أن تقنعها بالزواج، من نظرات عينيها هي رافضة لأنها صغيرة والأم هادئة لا تستعمل العنف، وقد تكون البنت منطوية لا تحب الاندماج مع غيرها من الأطفال، أو قد تكون متأخرة دراسياً وأمها تحاول أن تقدم لها النصح والبنت ليست مقتنعة لكلام أمها، ولكنها هادئة ويمكن أن يكون التأثير عليها، وفي النهاية سوف تمشي مثل ما تقول أمها».

التفسير:

أظهرت الحالة عدم قدرتها على التوافق الزواجي، وعدم قدرتها على تحمل مسؤولية الزواج ورعاية ولدها، كما يتضح شعورها بالأسى والألم والوحدة وتظهر حاجتها للحب والأمن، ويظهر استخدامها للتبرير الذي تخفف به من إحساسها بالعجز وتضع الحالة افتراضات عديدة وكلها توضح عدم قدرتها على اتخاذ القرار بنفسها، وعدم قدرتها على معارضة الآخرين، وخضوعها لسيطرة والدتها، ويعتبر هذا تغطية لأسلوب القسوة المتبع من قبل الأم بقولها «الأم هادئة لا تستعمل العنف» كما يتضح لجوء الحالة إلى استخدام أسلوب النكوص في قولها «ممكن أن يكون تقدم لها عريس» كما تسقط الحالة صورة مشوهة عن ذاتها وغير إيجابية بقولها «منطوية متأخرة دراسياً».

البطاقة رقم (8FG):

«امرأة تحمل هموماً وتفكر في المستقبل، من ثم تستطيع أن تتغلب على الأمور التي تعترضها. قد تكون هناك مشاكل مع أسرتها أو مع زوجها شكلها ليس بيدها شيء تجلس دائماً وحيدة تفكر وترمي همومها وراء ظهرها.. أو من المحتمل أن تكون تفكر في أولادها أو في سوء المعيشة ممكن أن تكون تريد أن تتحسن معيشتها، أن تعمل، أو يكون زوجها متوفي ومتحملة مسؤولية أولادها، أو تكون لا تزال عازبة وتعيش منطوية، وإذا جلست تفكر كثيراً أن تصل لنتيجة وتضع خطوات تمشي عليها لتحقق ما تريد، أو أن أهلها غصبوها لكي تتزوج، فهي في حيرة وتسلم الأمر لله».

التفسير:

أثارت هذه البطاقة اضطرابات ودفاعات عديدة جعلتها تصوغ قصصاً كثيرة وكلها لها دلالة دينامية واحدة، فالحالة تحركها دوافع الخوف من المستقبل لأنه مجهول بالنسبة لها. كما ينتابها الشعور بالوحدة والعجز والحيرة والتسويف في حل مشكلاتها، وتعاني من القلق والتوتر وقد لجأت الحالة إلى كبت الخبرات

المؤلمة (ترمي همومها وراء ظهرها) وذلك لتستعيد حالة الاتزان وتزيل عنها التوتر.

ويتضح سوء التوافق الاجتماعي للحالة مع زوجها وأسرتها، والآخرين، وميلها للوحدة وعدم الاختلاط. كما يتضح لجوء الحالة إلى النكوص كما في البطاقة السابقة وأيضاً إسقاط صورة مشوهة عن نفسها، كما يتضح إنكار وجود الزوج نظراً لما يتصف به من اللامبالاة والسلبية.

البطاقة رقم (9FG):

«فتاتان إحداهن أهلها متمسكين بالقيم ولا يعطوها حريتها، وتعيش في كبت، ترى زميلتها تجري لأنها تتمتع بحرية مطلقة تتمنى أن تكون مثلها تنظر لها نظرات غيرة أو حقد عليها، وقد يكون فيها شعور بالنقص، ولكن يبدو أن الحرية قادتها لأمر سيء تحاول أن تهرب منه، البنت الثانية لا تعرف الذي وصلت له، وتتمنى أن تكون مثلها ولكنها خاطئة تحكم على الشكل الخارجي.

وإذا كانت مثقفة وواعية تعرف أنه خطأ، وممكن أن تفعل مثلهم بدون وعي لأنه ليس هناك أحد من أهلها علمها ما هو صحيح وعواقب الحرية بلا حدود. أو تكون البنت الواقفة على الشجرة رأت صديقتها في مأزق وذاهبة لمساعدتها. ولكن أهلها لا يسمحون لها. وهي مقتنعة في الطريق الصحيح وزميلتها التي كانت على هواها واقعة في أخطاء كثيرة وتحاول أن تهرب من خلال صديقة وفية تحل مشاكلها وترجع للطريق السليم».

التفسير:

تعكس الحالة الاضطراب النفسي الذي نشأ من خلال شعورها بالذنب وتبرر الحالة ذلك بتفريط الأهل وعدم توجيههم وتوعيتهم بعواقب الحرية المطلقة.

ويظهر معاناة الحالة من الصراع بين التمسك بالقيم وبين الحرية المطلقة، ويظهر عجز الحالة في الانسحاب والهروب من مواجهة مشكلاتها، والاعتماد على

الآخرين في التغلب على الصعوبات وتعديل السلوك وهذه البطاقة تتطابق مع البطاقة السابقة من حيث الإحساس بالعجز والانطواء.

البطاقة رقم (12):

«شاب يقف وراء أمه، لكنها خبيثة أو شديدة قد يكون يفكر أن يرتبط بفتاة يريدها لكن أمه ترفض، ويبدو أنها تفتري عليها، لأنها تشوه صورتها، والولد تبدو عليه الحيرة غير قادر أن يقاوم تأثير حبه للبنت أو الأم، ولكن أمه وراءه تقنعه أن يتركها وشكله طيب ينقاد لكلامها. أو يكون متزوج وهي لا تحب زوجته، وتحاول أن توسوس له لتشوه صورتها وهو في حيرة بين أمه وزوجته وفي النهاية سينقاد لأمه ويضحي بزوجته، وينظر لها بشفقة وحب، ولكن وجود أمه يحول بينهما».

التفسير:

كشفت الحالة في هذه البطاقة ما أخفته في بطاقات سابقة من حقيقة مشاعرها نحو والدتها واتجاهاتها السلبية، والصورة المرسومة في ذهنها عن الأم، والتي عممتها على جميع الأمهات (أنها متسلطة مستبدة شديدة خبيثة، تفتري الأكاذيب والحيل، وتوسوس بالشر دائماً).

وتصور الحالة ما بداخلها من صراع نتيجة الاختلاف بين رغباتها وبين مطالب والدتها ثم تصور حيرتها، وأخيراً عجزها وعدم قدرتها على مفارقة والدتها فتنقاد لأوامرها، وتبرير ذلك بشيء منطقي ومقبول اجتماعياً وهو طاعة الأم وتفضيلها عن كل شيء وبذلك تحفظ الأنا من الصراعات، وتبقي على توازنها النفسي وتخفف من حدة التوتر والقلق لديها.

البطاقة رقم (13MF):

«فتاة ورجل غرر بها وشكلهم تلاميذ من الكتب الموضوعة، ليس عندهم وعي كامل، ويبدو أن أهلها ليس عندهم مانع يدرس معها وهي لا تهتم بالآخرين وشكلها مرتخية أو مرتاحة».

التفسير:

ميكانزمات دفاعية عديدة تستخدمها الحالة مثل النكوص في قولها (شكلهم تلاميذ) لتزيح عن نفسها الألم النفسي وتسقط على الآخرين صفات الخديعة والمكر، والكذب واللامبالاة وعدم الوعي وتبرر أخطاءها بتفريط أهلها في إعطاء الحرية بدون توعية وتوجيه. وتخفي الحالة مشاعر العدوان في مواجهة نحو الآخرين.

البطاقة رقم (17FG):

«فتاة فوق جسر هاربة من مشاكلها، تنظر للنهر تفكر في التخلص من نفسها، ترمي نفسها في النهر لتهرب من مشاكلها إما لسوء معاملة الأب أو الأم أو الزوج. أو فتاة وقعت في الفحشاء تريد أن تنتحر كي لا تجلب العار لأهلها. ولكن الشمس ووجود العمال يعملون تبين أن الحياة لا تنتهي، أو ممكن أن تكون تعمل في المصنع ورئيسها طردها فذهبت للنهر تشكي همومها. إذا كان عندها عقل تصبر والشمس تبين أن الدنيا ما زالت مضيئة ولم يأت الظلام لتكتئب وتستسلم للأمور، والشمس تعطيها القوة والشجاعة في مواجهة المشاكل».

التفسير:

صراعات نفسية عديدة تعاني منها الحالة، . . سوء توافق نفسي واجتماعي وعجز في حل المشكلات، هروب وانسحاب من المجتمع، شعور بالنقص. وكعادة الحالة بعد أن تفرغ ما بداخلها وتكشف عن ذاتها، فإنها تبرز عقلانيتها في مواجهة المشكلات بحكمة وبصيرة، وتظهر تفاؤلها وقدرتها على التغلب على الصعاب.

البطاقة رقم (18GF):

«امرأة تخنق زوجها، يبدو عليها أنها متضايقة منه، وقاست وهذا احتمال ضعيف لأنه أقوى منها لا يستطيع أن يسكت لها من أجل قوته الجسمية. أو أنها

تخنق سيدة ممكن أن تكون على علاقة بزوجها، أو أم تخنق ابنتها ممكن أن تكون فعلت فعلاً شوهت سمعة أسرتها، ولكن بالرغم من أنها تخنقها يبدو على وجهها الحزن غلبت عليه العاطفة. وإذا كانت الأم شديدة لا أظن أنها تستطيع أن تقتل ابنتها أو زوجها أو واحدة على علاقة معه، خسارة أن تضيع عمرها على أناس لا يستأهلون».

التفسير:

تبرز هذه البطاقة مشاعر العدوان المكبوتة لدى الحالة نحو زوجها والآخرين ونحو ذاتها والرغبة في التكفير (أم تخنق ابنتها). كما أظهرت الصراع بين رغبة الحالة في الانتقام من زوجها، وبين عدم قدرتها على تحقيق ذلك.

*** التعقيب على الحالة الثانية:**

من خلاصة المقابلة الشخصية للحالة والاختبارات التي أجريت لها (اختبار تفهم الموضوع) اتضح أن نتائجها جميعاً متسقة. وكلها كشفت معاً عن الصراعات التي تعاني منها الحالة، والدفاعات التي لجأت إليها. فقد ظهر سوء توافقها النفسي والاجتماعي وعجزها عن التوافق بين مطالب الأنا وواقع المجتمع، ونتيجة لتذبذب المعاملة واختلاف أساليب التنشئة والاتجاهات لدى الوالدين وتغيب الأب باستمرار، وعدم قيامه بوظيفته في حالة وجوده فقد أصبحت الحالة غير مستقرة مترددة، عاجزة عن معالجة الأمور واختيار الأسلوب الصحيح، مما أدى إلى وقوعها في أخطاء كثيرة، جعلتها أسيرة للاضطراب النفسي.

وتلجأ الحالة إلى الميكانيزمات الدفاعية للتخلص من التوتر، وتميل إلى إظهار نفسها بمظهر القوة والتفاؤل، وذلك حتى تعيش لحظتها في راحة. فنجدها تستخدم التعويض في الدراسة حيث تتفوق وتضع أهدافاً غالية أمامها كما يتضح عدم نضجها الانفعالي والنفسي وخضوعها لسيطرة والدتها، وعدم قدرتها على الاستقلال عنها أو معارضتها.

كما يتضح أن الحالة تميل للاستعراض ويحكم سلوكها النزوة ولا تحكمها نوازع الضمير وهذا التناقض في شخصية الحالة يعتبر مؤثر على ضعف إيمانها مما نتج عنه شعورها بعدم الاستقرار وسوء التوافق.

التعقيب على الحالتين (التقييم):

١ ـ من خلال استجابة الحالتين على اختبار تفهم الموضوع، اتضح بنيان شخصيتهما، وتم التعرف على أهم ميكانيزمات الدفاع الرئيسية وتتمثل في الإسقاط، الكبت، التبرير، التكوين العكسي، الإنكار، النكوص، القلب، والتعويض.

٢ ـ لقد كشفت القصص التي صاغتها كل منهما عن طريقتهما في معالجة المواقف الاجتماعية، والعلاقات الإنسانية، كما كشفت عن حقيقة مشاعرهما الداخلية، وعن الشحنات الانفعالية الموجبة والسالبة تجاه الذات أو الزوج أو الوالدين أو الآخرين.

٣ ـ كما أظهرتا عدم قدرتهما على التوفيق بين مطالب الأنا والأنا الأعلى والواقع، مما أدى إلى وقوعهما في صراعات عديدة، ومن ثم محاولة الخروج من هذه الصراعات والتغلب عليها بمساعدة الآخرين لعجزهما عن الاستقلال بمواجهة مشكلاتهم بمفردهما كذلك تميلان إلى الانسحاب عن الواقع إلى عالم الخيال، أو التسويف في حل المشكلات كما كشفت القصص عن حاجات قوية محبطة غير مشبعة.

٤ ـ لقد اتضح أن الحالة الأولى عصابية ولديها بوادر للشعور بالاكتئاب والانطواء والابتعاد عن الروابط الإيجابية الوثيقة مع الآخرين، كما أنها تعاني من القلق الناتج عن الحرمان من الحب. وأنها تعاني من مشكلات تتعلق بالعدوان الموجه نحو الآخرين والتي تسبب لها الشعور بالذنب فتظهر استسلامها وخضوعها للبيئة.

كما اتضح أن الحالة الثانية تعاني من القلق الناتج عن الخوف من العقاب أو

الهجران أو الانفصال عن زوجها الذي تتوقع أن يحدث لها، وتعاني من الشعور بالذنب ومن اضطراب في علاقتها الاجتماعية مع زوجها والآخرين.

وتتضح مشاعر العدوان الموجه نحو الذات (للتكفير) ونحو الآخرين للانتقام كما تتضح شدة معاناتها النفسية، والاضطرابات العصبية التي تنفس عنها في قضم الأظافر وتميل إلى إخماد صراعاتها والحصول على راحة للنفس ولو مؤقتة وذلك بإظهار العقل والحكمة في معالجة الأمور وقدرتها على ذلك في المستقبل، أي أنها تحل مشكلاتها على مستوى التخيل وليس على مستوى السلوك والواقع، ولذا دائماً تظهر نفسها بالمظهر الذي يرضى عنه الجميع.

٥ ـ يتضح أن الحالتين ينقصهما التوجيه الذاتي نتيجة لضعف الجهاز النفسي بمكوناته، مما أدى إلى عدم قدرتهما على الاختيار الصحيح والسلوك السوي، وكذلك ينقصهما التوجيه الخارجي من قبل الوالدين مما أضعف بالتالي قدرتهما على مواجهة مشكلاتهما، وقدرتهما على التفاعل الاجتماعي والتوافق النفسي السوي، ولذا فهما بحاجة إلى برنامج إرشادي أو علاج نفسي يساعدهما في التغلب على مشكلاتهما وتحقيق قدر كبير من التوافق مع البيئة[1].

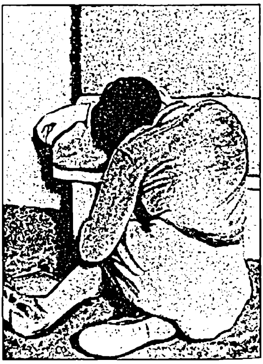
---

(١) انظر تفصيل هذه الحالة في مجلة: علم النفس، العدد ٤٤، السنة الحادية عشر، الهيئة المصرية العامة، القاهرة ١٩٩٧.

ملحق الصور



بطاقة رقم (2)



بطاقة رقم (3 BM)



بطاقة رقم (3 GF)



بطاقة رقم (6 GF)



بطاقة رقم (5)



بطاقة رقم (4)



بطاقة رقم (6 BM)



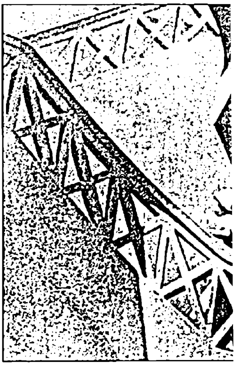
بطاقة رقم (7 GF)



بطاقة رقم (8 BM)


بطاقة رقم (13 B)


بطاقة رقم (15)


بطاقة رقم (13 G)


بطاقة رقم (14)

بطاقة رق



بطاقة رقم (17 GF)



بطاقة رقم (18 GF)



بطاقة رقم (19)



بطاقة رقم (18 BM)



بطاقة رقم (20)

المراجع

١ ـ رمزي إسحق: علم النفس الفردي، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٥.

٢ ـ سلامة أحمد عبد العزيز: استمارة بيلاك لرصد وتحليل استجابات المفحوص لاختبار تفهم الموضوع (كراسة التعليمات)، التقدم، القاهرة، بدون تاريخ.

٣ ـ عبد الغفار عبد السلام، فراج عثمان لبيب: الشخصية والصحة النفسية، العرفان، بيروت ١٩٦٦.

٤ ـ غنيم، سيد محمد ـ برادة، هدى عبد الحميد: التشخيص النفسي، دراسات في اختبار الـ روشاخ، القاهرة ١٩٦٥، الجزء الأول.

٥ ـ فرويد: خمس حالات من التحليل النفسي، جزءان، ترجمة صلاح مخيمر، عبده مخائيل رزق، الأنجلو، القاهرة ١٩٧٩.

٦ ـ فرويد: معالم التحليل النفسي، ترجمة محمد عثمان نجاتي، الشروق، بيروت ١٩٨٣.

٧ ـ فرويد: النظرية العامة للأمراض العصابية، ترجمة جورج طرابيشي، الطليعة، بيروت ١٩٨٠.

٨ ـ فرويد: الأنا والهو، ترجمة محمد عثمان نجاتي، الشروق، بيروت ١٩٨٠.

٩ ـ فرويد: ما فوق مبدأ اللذة، ترجمة إسحق رمزي، المعارف، القاهرة ١٩٨٠.

١٠ ـ فرويد: حياتي والتحليل النفسي، ترجمة مصطفى زيور، المعارف، القاهرة ١٩٨١.

١١ ـ فرويد: الطوطم والحرام، ترجمة جورج طرابيشي، الطليعة، بيروت ١٩٨٣.

١٢ ـ كلوبفر ـ دافيدسون: تكنيك الروشاخ، ترجمة سعد جلال، القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية، ١٩٦٥.

١٣ ـ الأعسر صفاء يوسف: اختبار تكملة الجمل لـ روتر، النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٣.

١٤ ـ لازاروس: الشخصية، ترجمة محمد سيد غنيم، الشروق، بيروت ١٩٨١.

١٥ ـ مليكة لويس: علم النفس الإكلينيكي، التشخيص والتنبؤ في الطريقة الإكلينيكية، الهيئة المصرية، القاهرة ١٩٧٧، الجزء الأول.

١٦ ـ نوتكات برنارد: سيكولوجية الشخصية، ترجمة صلاح مخير، عبده مخائيل رزق، القاهرة ١٩٧٦.

١٧ ـ هنا عطية محمود: علم النفس الإكلينيكي، الجزء الأول، التشخيص، النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٦.

١٨ ـ هول وليندزي: نظريات الشخصية، ترجمة فرج أحمد فرج ولطفي فطيم، الهيئة المصرية العامة، القاهرة ١٩٧١.

١٩ ـ المليجي عبد المنعم: اختبار تداعي الأفكار للتشخيص السيكولوجي، المعارف، القاهرة ١٩٦١.

ـ الاستخبارات الشائعة لاختبار تفهم الموضوع، المركز القومي للبحوث الاجتماعية، القاهرة ١٩٧٥.

المراجع الأجنبية

(اللغة الفرنسية)

1 - Anzieu: Les méthodes projectives, éd. P.U.F., Paris 1980.

2 - Bohm E.: Traité de psychodiagnostic de Rorschach. Trad. Bertherivier, éd. P.U.F., Paris 1955.

3 - Blum G.S.: Les théories psychannalytiques de la personnalité, éd. P.U.F., Paris 1955.

4 - Beck S.J.: Le test de Rorschach, 1 vol. éd. P.U.F., Paris 1968.

5 - Freud: Métapsychologie, trad. Daplandre et Pontalis, éd. Gal., Paris 1978.

6 - Horney K.: La personnalité névrotique dans notre temps.

7 - Loosli-Usteri: Manuel pratique du test de Rorschach. éd. Hermann, Paris 1976.

- Manuel du «Thematic Apperception Test» Murray H.A., trad. Meunier G. Centre de psychologie appliquée, Paris 1950.

المراجع الأجنبية

(اللغة الإنكليزية)

1 - Bellak I.: Projective psychology, Greve, Press Inc. New York, 1955.

2 - Murray H.: Explcrations in personality. N.Y. Oxford University, Press 1953.

3 - Rorschach H.: Psychodiagnostics: A diagonitic Test based on perception. Bern: Hans Huber.

4 - Thomkins S.M.: The thematic Apprerception Test.

- The theory and technique of interpretation. New York Grune.

5 - Klepfer, Kelley: The Rorschach Technique.

6 - Beck S.: Rorschach Test.

7 - Rohda A.R.: Exploration in personality.

الفهرس

الاختبارات الإسقاطية

نظرياتها - تقنياتها - اجراءاتها

مفهوم الشخصية في علم النفس هو بناء علمي أعد لعرض وتوضيح الحقيقة النفسية للفرد. ورغم محاولات التوحيد العديدة فقد بقي علم النفس يضم تحت جناحيه عدداً هائلاً من النظريات والمدارس حيث تدرس كل واحدة منها الشخصية من منظورها الخاص. وتقدم كل نظرية تفسيراً وإدراكاً معينين.

ولقد أصبحت الاختبارات الإسقاطية من الأدوات الهامة التي يستعان بها، في الوقوف على الجوانب المختلفة للشخصية، وتشخيص الحالات السوية والمرضية، ومعرفة ما يعانيه الفرد من مشكلات وصراعات.

ومصطلح اختبار إسقاطي يشير إلى بعض الوسائل غير المباشرة في دراسة الشخصية والتي بواسطتها يمكن الكشف عن شخصية الفرد نتيجة ما تتيحه من مادة مناسبة يُسقط عليها الفرد رغباته ودوافعه ومشاعره ومدركاته دون أن يفطن إلى ما يقوم به.

فالاختبارات النفسية وسائل تعين على الفحص والكشف والتشخيص. ويمكن الإفادة منها في دراسة الشخصية والعيادات النفسية، لكشف صراعات الفرد ومشكلاته.

دار المنهل اللبناني

تلفون: ٠١/٦٣١٦٥٤ - ٠٣/٢٢٦٣٢٥ - تلفاكس: ٠١/٦٣٣٤٣٢